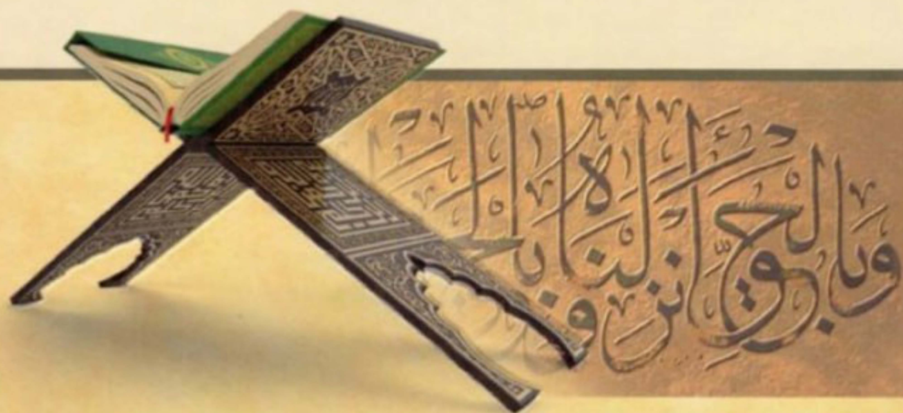
أعلام القرآن



إعداد

فايز بن سياف السريح

أعلام القرآن

ⓒ دار الحضارة للنشر والتوزيع، ١٤٤١ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
العتيبي، فايز بن سياف بن فايز السريح
أعلام القرآن (فايز بن سياف بن فايز السريح العتيبي)
ط ١، الرياض ١٤٤١ هـ
٣٠٤ص؛ ١٤x٢٠سم
ردمك: ٥-٦٧-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨
١ ـ القرآن ـ مباحث عامة أ ـ العنوان
ديوي ٢٢٩ ٦٢١٥ / ١٤٤١

رقم الإيداع: ١٤٤١/٦٢١٥
ردمك: ٥-٦٧-٨٢٩٠-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى
١٤٤١هـ ـ ٢٠٢٠م



دار الحضارة للنشر والتوزيع
ص.ب ١٠٢٨٢٣ الرياض ١١٦٨٥
هاتف: ٢٤١٦١٣٩ ـ ٢٤٢٢٥٢٨ فاكس: ٢٧٠٢٧١٩
فاكس: ٢٤٢٢٥٢٨ تحويلة ١٠٣
الرقم الموحد: ٩٢٠٠٠٠٩٠٨

أعلام القرآن

إعداد

فايز بن سيّاف السريح

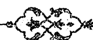
دار الحضارة للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمدُ لله الذي جعل العلم به أشرف معلوم، وأنزلَ كتابه عَلَمًا عليه، ودليلًا إليه، ففاق سَـبْكُه كلَّ نثر، وبَزَّ كلَّ منظوم، وأزكى صلاة وأعطر سلام على البدر البادي، والنبيِّ الهادي؛ أشرف الأعلام، وأطهر الأنام، وعلى مَن تبعه بإحسان، وسلَّم تسليمًا يدوم.

وبعد: فإن كتابَ الله ينبوع العلوم، ومِرقاة المدارك والفهوم؛ كنا في لُجَّة ظلام الضلالة فاسْتَنَرْنا به، وكنا في دَرَكات الجهل والهوى فارتقينا به، هو مائدة الله لعباده، والحبل الواصل بينهم وبينه، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ۝ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾ [ص: ٨٧، ٨٨]، قد أودعه الله من كل علمٍ علمًا، وجعله الله نورًا لمن رزقه بصيرة وفهمًا، بل كان تِبْيانًا لكل شيءٍ كما وصفه الله ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، فهو المعراجُ إلى السماء، والنافذة إلى الضياء، قد حوى من صادق الأخبار ما فيه مُعْتبَر، وذَكَر مِن حُسْن الوعظِ ما فيه مُدَّكَر.



ولما كانت مباحث القرآن شــتى، وعلومه متنوعة، بذل العلماء مُهَجَهم، وأَفْنَوْا حياتهم، ونفائس أعمارهم؛ طلبًا في إدراك نفائس القرآن، فلكل عالمٍ ومُتَعَلِّم حظٌّ مِن تَدَبُّر القرآن العظيم وفهمه ليس لأحــد أن يزاحمه فيــه، وكان من تلك العلوم الحقيقة بالــدرس والتأليف، والجمعِ والتصنيف علمُ (أعلام القرآن)؛ حيثُ ذكــر القرآن أُممًا وأفــرادًا، وطوائف وفِرقًا، ونساءً ورجالًا، وأمكنةً وأزمنةً، وقد أحببت أن أجمع في هذا السِّــفْر اللطيفِ بعضًــا مما وقفتُ عليــه من أعلام القرآن؛ سواءً نصَّ القرآن على اســمه فكان علمًا باسمه، أو أشار إليه إشارةً؛ مســتفيدًا في هذا الجمع من مصادر شتى، وموارد متنوعة مــن كتب التفســير، والتاريــخ، والأعلام، والمعاجم، والتراجم، ونحوها.

وقد قسمت الكتاب على النحو الآتي:

- **أعلام الأنبياء والرسل.**
- **أعلام الكتب.**
- **أعلام الصالحين.**
- **أعلام المجرمين.**
- **أعلام النساء.**

أعلام الأماكن.

أعلام الأزمنة.

أعلام الأقوام والطوائف.

أعلام متفرقة.

وإني لأرجو من الله تعالى أن يجعل هذا العمل لي رفعةً عنده، وأن يتقبَّله بقبول حسن، وأن يبارك فيه، وفيمن قرأه وأفاد منه.

وصلى الله وسلم وبارَك على نبينا محمد.

أعلام

الأنبياء والرسل



آدم عليه السلام



هو آدمُ أبو البشر عليه السلام، خلقه الله بيده؛ تشريفًا له على جميع المخلوقات، وقبض قبضة من جميع الأرض؛ سَهْلها وحَزْنها[١]، وطيِّبها وخبيثها، ليكون النسل على هذه الطبائع، فكان ترابًا أولًا، ثم ألقى عليه الماء فصار طينًا، ثم لما طالت مدة بقاء الماء على الطين تغيَّر ذلك الطين، فصار حمأً مسنونًا، طينًا أسود، ثم أَيْبَسَهُ بعدما صوَّره، فصار كالفخار الذي له صلصلة ـ وهو في هذه الأطوار جسد بلا روح ـ فلما تكامَل خَلْقُ جسده نفخ فيه الروح، فانقلب ذلك الجسد الذي كان جمادًا إنسانًا له عظام ولحم وأعصاب وعروق وروح هي حقيقة الإنسان.

وقد أعدَّه الله لكل علم وخير، ثم أتم عليه النعمة، فعلَّمه أسماء الأشياء كلها، فأراد الله أن يُرِي الملائكة كمال هذا المخلوق، فعرض هذه المسمَّيات عليهم، وقال لهم: ﴿أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، فعجَزت الملائكة عليهم السلام عن معرفة أسماء هذه المسميات، وقالوا: ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ

---

(١) الحَزْن من الأرض: الخَشِن الغليظ.

إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٢]، فقال الله: ﴿ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴾ [البقرة: ٣٣]، فشاهدت الملائكة من كمال هذا المخلوق وعلمه ما لم يكن لهم في حساب، وعرفوا بذلك على وجه المشاهدة كمال حكمة الله في خَلْق آدم، وعظَّموا آدم عليه السلام غاية التعظيم.

وقد أراد الله عز وجل أن يُظهر هذا التعظيم والاحترام لآدم عليه السلام من الملائكة ظاهرًا وباطنًا، فقال الله للملائكة: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ [البقرة: ٣٤] إكرامًا له وتبجيلًا، وعبادة منكم لله، فبادَرُوا كلهم بالسجود، إلَّا إبليس أبى واستكبر، وكان إبليس بين الملائكة، وليس منهم؛ فقد كان من الجن المخلوقين من نار السَّموم، وقد وجَّه الله إليه الأمر بالسجود معهم، وكان قبل ذلك مُبْطِنًا للكفر بالله، والحسد لهذا المخلوق الذي فضَّله الله هذا التفضيل؛ فحمله كِبْرُه وكفره على الامتناع عن السجود لآدم كفرًا واستكبارًا، واعترض على ربه، وقدح في حكمته، فقال: ﴿ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴾ [ص: ٧٦]، فقال الله له: ﴿ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٣] فلم يخضع الخبيث لربه، ولم يَتُبْ إليه، بل بارَزَه بالعداوة، وصمَّم التصميم الجازم على عداوة آدم عليه السلام وذريته، ووطَّن نفسه ـ لما علم أنه حتم عليه الشقاء الأبدي ـ أن يدعو

الذرية بقوله وفعله وجنوده إلى أن يكونوا من حزبه الذين كُتِبَت لهم دار البوار، فقال: ﴿أَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤] ليتفرغ لإعطاء العداوات حقها في آدم وذريته.

ولما كانت حكمة الله اقتضت أن يكون الآدمي مركَّبًا من طبائع متباينة، وأخلاق طيبة أو خبيثة، وكان لا بد من تمييز هذه الأخلاق وتصفيتها بتقدير أسبابها من الابتلاء والامتحان الذي من أعظمه تمكين هذا العدو من دعوتهم إلى كل شر، فأجابه سبحانه: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ﴾ [ص: ٨٠، ٨١] فقال الخبيث لربه معلنًا معصيته وعداوته لآدم وذريته: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، فمكَّنه الله تعالى من الأمر الذي يريده إبليس لآدم وذريته، فقال الله له: ﴿ٱذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ۝ وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾ [الإسراء: ٦٣، ٦٤].

ثم إن الله تعالى بعد ذلك أتمَّ نعمته على آدم عليه السلام، فخلق منه زوجته حواء من جنسه وعلى شكله[1]؛ ليسكن إليها، وتتمُّ المقاصد المتعدِّدة من الزواج، وتحصل الذرية بذلك،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٥٢٥) بلفظ: «إن الله تعالى لما خلق آدم، خُلِقَت حواء من ضلعه القصير».

وأدخلهما الجنة، وبيَّن له ولزوجته عداوةَ الشيطان، ووجوبَ الحذر منه، وأباح لهما الأكل من جميع ثمار الجنة، إلَّا شجرة معينــة فيها، حرَّمهــا عليهما، فمكثَــا في الجنة ما شــاء الله، وعدُوُّهما يراقبهمــا، وينظر الفرصة فيهما، فلما رأى ســرور آدم عليه السلام بهذه الجنة، ورغبته العظيمة في دوام البقاء فيها، جاءه في صــورة الصَّدِيق الناصــح، فقال: يا آدم، هــل أدُلُّك على شجرة إذا أكلت منها خُلِّدت في هذه الجنة، ودام لك الـمُلك الذي لا يبلى؟ فلم يَزَلْ يوســوس ويُزَيِّن ويَعِد ويُمَنِّي، ويُلْقِي عليهما من النصائح ـ وهي أكبر الغــش ـ حتى غرَّهما، فأكلَا من الشــجرة التي نهاهما الله عنها وحرَّمها عليهما، فلما أكلَا منها بــدت لهما ســوآتهما بعدمــا كانــا مســتورَين، وطَفِقَا يَخْصِفان[1] على أبدانهما العارية من أوراق تلك الجنة؛ ليكون بدل اللباس، فناداهما ربهما: ﴿ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾ [الأعراف: ٢٢] فأوقع الله في قلبَيهما التوبة التامة، والإنابة الصادقة، وقالَا: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ [الأعــراف: ٢٣] فتــاب الله عليهما، ومحا الذنب الذي أصابَا، ولكن الأمر الذي حذَّرهما الله منه، وهو الخروج من هذه الجنة إن تناولَا منها، قد تحتَّم ومضى، فخرجَا منها إلى الأرض التي اختلط خيرها بشــرِّها،

---

(١) أي: يَصِلان الورق بعضه ببعض ويُلْصِقان بعضه على بعض.

وسروروها بكدَرها، وأخبرهما الله أنه لا بد أن يبتليهما وذريتهما، وأن مَن آمن وعمل صالحًا كانت عاقبته خيرًا من حالته الأولى، ومن كذَّب وتولَّى فآخِرُ أمْرِه الشقاء الأبدي، والعذاب السرمدي[١]، وحذَّر الله ذرية آدم من الشيطان، وأبدلهم الله بذلك اللباس الذي نزعه الشيطان من الأبوَين لباسًا يواري السوآت من الريش وغيره، فيحصل به الجمال الظاهر في الحياة، ولباسًا أعلى من ذلك، وهو لباس التقوى، الذي هو لباس القلب والروح بالإيمان والإخلاص والإنابة، والتحلِّي بكل خُلُق جميل، والتخلِّي عن كل خُلُق رذيل؛ ثم إن الله بثَّ من آدم وزوجه رجالًا كثيرًا ونساءً، ونشرهم في الأرض، واستخلفهم فيها؛ لينظر كيف يعملون، وعاش آدم عليه السلام حتى رأى ذريته، فلما قضى الله الموت على آدم عليه السلام أرسل إليه الملائكة الكرام عليهم السلام، فقبضوا روحه، وغسلوه، وكفَّنوه، وحنَّطوه، وحفروا له ولَحَدُوه، وصلَّوْا عليه، ثم أدخلوه قبره، فوضعوه فيه، ثم حَثَوْا عليه التراب، ثم قالوا: يا بني آدم، هذه سنتكم، وعَزَّوْا فيه ابنَه ووصيه شيثًا عليه السلام، وكان ذلك يوم الجمعة، وكان عمره عليه السلام ألف سنة.

---

(١) أي: الدائم الذي لا انقطاع له.

ابنا آدم

هما قابيلُ وهابيــلُ ابنا آدم عليه السلام، وقد قــصَّ الله علينا نبأهما في ســورة المائدة، لقد قضت شــريعة الله في ذلك الحين أن يتزوج ذكرُ كلِّ بطن بأنثــى البطن الآخر، حيث كانت حواء تحمل في كل بطــن ذكرًا وأنثى، وكانت أخت هابيل دميمــة، وأخت قابيــل جميلة، فــأراد قابيل ـ وهو الأكبر ـ أن يستأثر بأخته على أخيه؛ لجمالها وحُسنها، وهي في شــريعة الله لأخيه هابيل، فرفض هابيــل ذلك، ووقع النزاع بين الأخوَين، فأمر آدم عليه السلام قابيــل أن يُزوِّج هابيل إيَّاها، فأبى قابيل ذلك، فأمرهمــا آدم عليه السلام أن يُقرِّبَا قربانًا، فمن تُقُبِّل منه فهــي له، فقرَّب هابيل جذعةً[1] ســمينة من خيار ماشــيته؛ وكان صاحب غنم، وقرَّب قابيل حزمة من رديء زَرْعــه؛ وكان صاحب زرع، فنزلت نارٌ من الســماء فأكلت قربان هابيل، وتركت قربــان قابيل، فغضب قابيل لذلك أشــد الغضب، وقال لأخيه: تُقُبِّل قربانك ولم يُتقبَّل

(١) الجذعة من الحيوان: هي الشابَّة الفَتيَّة.

منــي، واللهِ لأقتلنك حتى لا تنكح أختــي. فقال له هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨].

ثم حذَّره ونصح له، وأنذره عذابَ الآخرة؛ لعل وعسى أن يصرفه ذلك عن عزمه على قتله، فقال: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، لكن قابيل حسد أخاه، فطوَّعت له نفسه قَتْل أخيه فقتله غدرًا، فلما قتله وقف غيــرَ بعيد عنه، ينظر ما قدَّمــت يداه وفعلت، وأحسَّ بوطأة الجناية على ذاتــه ووجدانه، لا يدري ما يصنع بجثة أخيه، وبعد مدة خاف عليه من السِّباع أن تأكله، فحمله على ظهره، فبعــث الله غرابًا ليُرِيَه كيف يــواري(١) جثة أخيه، حيث جاء هذا الغراب إلى غراب آخر ميت، فحفر له بمنقاره، ووارى جثته تحت التراب، فلما رأى قابيل ذلك قال: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِيَ سَوْءَةَ أَخِي﴾ [المائدة: ٣١]، فكان قابيل أول مَن سنَّ القتل في بني آدم، وكانت تلك أول جريمة تقع على الأرض بعد نزول آدم عليه السلام فيها.

---

(١) أي: يدفنها ويسترها.

إدريس عليه السلام

هو نبي الله إدريس بن يارد، من ذرية شيث بن آدم أبي البشر عليهما السلام، وكان إدريس عليه السلام قد وُلِدَ ببابل، وهو أول مَن أُعْطِي النبوة من بني آدم بعد آدم وشيث عليهما السلام، وقد أدرك من حياة آدم عليه السلام ثلاثمائة سنة وثماني سنين، وقد أثنى عليه الله في كتابه، ووصفه بأنه كان من الصابرين، ومن الصالحين، وأخبر سبحانه بأنه كان صِدِّيقًا نبيًّا، وأنه رفعه مكانًا عَلِيًّا، وقد أخذ عليه السلام في أول عمره بعلم شيث بن آدم، ولما كبر آتاه الله النبوة، فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعةَ آدم وشيث، فأطاعه نفر قليل، وخالَفه جمعٌ كبير، فنوى أن يفارقهم، وأمر مَن أطاعه منهم بذلك، فثقل عليهم الرحيل عن أوطانهم، فقالوا له: وأين نجد إذا رحلنا مثل بابل، فقال: إذا هاجرنا رزقنا الله غيرها، فخرج وخرجوا معه، حتى وصلوا إلى أرض مصر، فرأوا النيل، فأقام إدريس عليه السلام ومن معه بمصر، وأخذ يدعو الناس إلى عبادة الله ومكارم الأخلاق، وأنزل الله عليه ثلاثين صحيفة، وهو أول مَن خَطَّ بالقلم، ونظر في علم

النجوم والحساب، وأول من خاط الثياب ولبس المخيط، وكانوا من قبله يلبسون الجلود، وهو أول مَن اتخذ السلاح، واشتهر عليه السلام بالمواعظ والحِكَم والآداب، فمِن حِكَمِه عليه السلام قوله: «**خير الدنيا حسرة، وشرها ندم**»، وقوله: «**السعيد مَن نظر إلى نفسه، وشفاعتُه عند ربه أعماله الصالحة**»، وقوله: «**الصبر مع الإيمان يُورِث الظَّفَر**»، وقد مَرَّ به رسول الله ﷺ في حادثة الإسراء والمعراج، والتقى به في السماء الرابعة[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (٢٦٤ ـ ١٦٤).



نوح عليه السلام



هو نبي الله نوح بن لامَك، من ذرية شـيث بن آدم عليه السلام، أول رسـول بُعِثَ إلى أهل الأرض، حيث مكث البشـر بعد آدم عليه السلام عشرة قرون كلها على الإسلام، ثم اختلفوا بعد ذلك وأشـركوا بالله، وكانت بداية الشرك في قوم نوح لما مات من قومه أناسٌ صالحون فحزنـوا عليهم، ثم بعـد ذلك صوَّرُوا تماثيلهم؛ ليتذكَّروا بها أحوالهـم، وما كانوا عليه من الصلاح والعبادة، فلما هلك أولئك، ونُسِي العلم، عُبِدَتْ هذه الأصنام من دون الله عز وجل، فبعث الله نوحًـا عليه السلام يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فما آمَن من قومه إلَّا قليل منهم، ولم يَزَلْ نوح عليه السلام يدعو قومه ليلًا ونهارًا، وسـرًّا وجهارًا، وما زادهم ذلك إلَّا إعراضًا عن الهدى، وتواصيًا فيما بينهم، ومَن بعدهم مِن ذريتهم علـى الإقامة على عبادة هذه الأوثـان، فلما رأى نوح عليه السلام أن التذكير لا ينفع فيهم بوجه من الوجوه، وأنه كلما جاء قرن كان أخبث مما قبله، دعا نوحٌ عليه السلام ربَّه فقال: ﴿رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا﴾ [نـوح: ٢٦]، فأجـاب الله دعوته،

وأمره أن يصنع الفُلْك[١] برعاية منه، وحُسْن نظر وتعليم من الله له هذه الصنعة الجديدة التي امتنَّ الله بها على العباد، وصار نوح عليه السلام له الفضل والابتداء بهذه الصناعة التي حصل بها من المنافع الدينية والدنيوية، وأخبره الله تعالى بتحتُّم إغراقِهم، وأنه لا ينبغي أن يُخاطب ربه فيهم؛ فإنهم ظالمون، وجعل نوح عليه السلام يصنع الفُلْك، وكلما مرَّ عليه ملأ من قومه سَخِرُوا منه، فقال لهم: إن تسخروا منا اليوم فإنَّا نسخر منكم إذا وقع الهلاك بكم، وأوحى الله تعالى إليه أنه إذا جاء ذلك الوقت وفار التنور[٢]، فلتحمل فيها من البهائم من كلٍّ زوجَين اثنين؛ ذكرًا وأنثى؛ ليبقى نسلها، وأمره أن يحمل معه جميع مَن آمَن معه من رجال ونساء، وأمره أن يحمل أهله إلَّا مَن سبق عليه القول بالهلاك، فلما أركب نوح عليه السلام جميع مَن أُمِرَ بحملهم قال لهم: سَمُّوا الله كلَّما جَرَتْ وكلَّما رَسَتْ، فحينئذٍ فجَّر الله الأرضَ عيونًا، وأمر السماء أن تَصُبَّ الماء المنهمر الكثير، فالتقت مياه السماء بمياه الأرض، وساحت على الأماكن المنخفضة، ثم ارتفعت شيئًا فشيئًا على كل المرتفعات حتى غَطَّتْ قِمَمَ الجبال الشاهقة، والسفينةُ تجري بهم في موج كالجبال تضرب يمينًا وشمالًا.

---

(١) الفُلْك: السفينة.

(٢) التنور: قيل: هو وجه الأرض، وقيل: مكان النار الذي يُخْبَز فيه.

في تلك الحال رأى نوح عليه السلام ابنَه الكافر الذي كان على مِلَّةِ قومه، وقد اعتزل أباه حتى في هذه الحال، فرآه مثل سائر قومه قد فَرَّ هاربًا من المياه الجارفة، فناداه نوح عليه السلام قائلًا: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]، فتمادى به الغرور في تلك الحال، فقال لأبيه: ﴿سَـَٔاوِيٓ إِلَىٰ جَبَلٖ يَعۡصِمُنِي مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾ [هود: ٤٣]، فلم يخطر بباله أن المياه سترتفع فوق رؤوس الجبال، فقال له نوح عليه السلام: ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود: ٤٣]، فلا يَعْصِم جبلٌ ولا حصن، ولا غير ذلك من أمر الله إلَّا مَن رَحِمَ الله، ورحمتُه في تلك الحال متعيِّنة في ركوب السفينة مع نوح عليه السلام، ﴿وَحَالَ بَيۡنَهُمَا ٱلۡمَوۡجُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡمُغۡرَقِينَ﴾ [هود: ٤٣]، فأغرق الله جميع الكافرين، ونَجَّى نوحًا عليه السلام ومَن معه أجمعين، وكان هذا الطوفان آيةً على أن ما جاء به نوح عليه السلام من التوحيد والرسالة والدين حق، وأن مَن خالفه فإنه مُبْطِل، ثم أمر الله السماء أن تُقْلِع عن الماء، والأرض أن تبلع ما فيها، ونقص الماءُ شيئًا فشيئًا، واستوت السفينة بعد غَيْض الماء على جبل الجودي، وحزن نوح عليه السلام على ابنه، فقال مناديًا رَبَّهُ مترفِّقًا متضرِّعًا: يا رب ﴿إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ﴾ [هود: ٤٥]، فقال له ربه: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [هود: ٤٦]، وهذا عتابٌ منه سبحانه لنوح عليه السلام، وتعليم له وموعظة، فقال

نــوح عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٌۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [هــود: ٤٧]، ثــم إن نوحًا عليه السلام هبط بعد ذلك إلى الأرض، وبارَك الله له في ذريته، وجعل ذريته هــم الباقين، فــكان أولاده «يافث» الذي ملأت ذريته المشــرق، و«حام» الذي ملأت ذريته المغرب، و«سام» الذي ملأت ذريته ما بين ذلك، ومكث عليه السلام في قومه ألف سنة إلّا خمســين عامًا، ومكث بعد هلاكهم ما شاء الله أن يمكث، وهو من أُولي العزم من المرسَــلين، وأول الرسل إلى الناس، وهو الأب الثاني للبشــر عليه الصلاة والسلام، وقد أوصى نوح عليه السلام ابنه عند موته بوصيــة عظيمة قال فيهــا: «آمرك باثنتيــن، وأنهاك عن اثنتين، آمرك بلا إلٰه إلّا الله؛ فإن السماوات السبع، والأرضين الســبع، لو وُضِعَتْ في كفة، ووُضِعَت لا إلٰه إلّا إلٰه في كفة، رَجَحَــتْ بهــن لا إلٰــه إلّا الله، ولو أن الســماوات الســبع، والأرضين الســبع كنَّ حلقــة مُبْهَمَةً فضمَّتهــن لا إلٰه إلّا الله، وســبحان الله وبحمده، فإن بها صلات كل شيء، وبها يرزق الخلق، وأنهاك عن الشرك والكِبْر».

هود عليه السلام

هو نبي الله هود بن شـالخ، من ذرية نوح عليه السلام، أول مَن تكلَّم بالعربية، بعثه الله تعالى إلى قومه عـادٍ الأولى، وكانوا عربًا يُقيمون بالأحقاف؛ وهي جبال الرمل، وكانت باليمن من عُمَان وحضرموت بأرض مُطِلَّة على البحر يقال لها «الشِّحْر»، وكان اسـم واديهم مُغِيث، وكانوا كثيرًا ما يسـكنون الخيام ذوات الأعمدة الضخام، فلما كثر شـرُّهم، وتجبَّروا على عباد الله، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥] مع شـركهم بربهم، وتكذيبهم لرسـله، وكانوا أوَّلَ مَن عبد الأصنـام بعد حادثة الطوفان، حيث كانت لهم أصنام ثلاثة: صدا، وصمودا، وهرا.

فبعث الله إليهم هودًا عليه السلام يدعوهـم إلى عبادة الله وحده، وينهاهم عن الشـرك بالخالق، والتجبُّر على الخَلْق، فدعاهم بكل وسـيلة، وذكَّرهم بما أنعم الله عليهم به من خير الدنيا، والبَسْطة في الرزق والقوة، فرَدُّوا دعوته، وتكبَّروا عن إجابته، وقالوا: ﴿مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [الشـعراء: ١٥٤]، فخوَّفوه بآلهتهم إن لم يَنْتَهِ أن تَمَسَّهُ بجنون أو سـوء، فتحدَّاهم عَلَنًا، وقال لهم جهارًا: ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟

أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ۝ مِن دُونِهِۦۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ۝ إِنِّي تَوَكَّلۡتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [هود: ٥٤، ٥٥]، فلم يصلوا إليه بسوء، فلما حذَّرهم من طغيانهم تولَّى عنهم، وأخبرهم بنزول العذاب عليهم، فجاءهم العذاب معترضًا في الأفق، وكان الوقت وقت شدة عظيمة وحاجة شديدة إلى المطر، فاستبشروا وقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٞ مُّمۡطِرُنَاۚ﴾ [الأحقاف: ٢٤]، قال الله: ﴿بَلۡ هُوَ مَا ٱسۡتَعۡجَلۡتُم بِهِۦۖ﴾ [الأحقاف: ٢٤] بقولكم: ﴿فَأۡتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٦]، فبعدما كانت الدنيا لهم ضاحكة، والعز بليغًا[1]، ومطالب الحياة متوفِّرة، وقد خضع لهم مَن حولهم من الأقطار والقبائل، إذ أرسل الله إليهم ريحًا صرصرًا في أيام نَحِسات ﴿سَخَّرَهَا عَلَيۡهِمۡ سَبۡعَ لَيَالٖ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومٗاۖ فَتَرَى ٱلۡقَوۡمَ فِيهَا صَرۡعَىٰ كَأَنَّهُمۡ أَعۡجَازُ نَخۡلٍ خَاوِيَةٖ﴾ [الحاقة: ٧] ﴿وَأُتۡبِعُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [هود: ٦٠]، ونجَّى الله هودًا عليه السلام ومَن معه من المؤمنين، ومات عليه السلام بعد زمن من هذه الحادثة في شرقي حضرموت.

(١) أي: بالغًا مقدارًا عاليًا، وكأنه لا مزيد عليه.

صالح عليه السلام

هو نبي الله صالح بن عبيد بن آسف، من ذرية نوح عليه السلام، بعثه الله إلى قومه ثمود، وكانوا عربًا بعد عاد الأولى يسكنون منطقة الحِجْر التي كانت بين الحجاز وتبوك، وكانوا أهل مواشٍ كثيرة وحَرْث وزروع، وكانوا يتَّخذون من السهول قصورًا، ومن الجبال بيوتًا، فكفروا بنِعَم الله تعالى، وعبدوا الأصنام، فأرسل الله إليهم أخاهم صالحًا عليه السلام من قبيلتهم، يعرفون نَسَبَهُ وحَسَبه، وفضله وكماله، وصدقه وأمانته، فدعاهم إلى عبادة الله وحده، وتَرْك ما كانوا يعبدون من دونه، وذَكَّرَهم بنِعَم الله وبأيامه بالأُمم المجاورة لهم، فلم يتبعه إلَّا القليل منهم، وحين ذَكَّرَهم وأقام الأدلة والبراهين على وجوب توحيد الله اشمأزُّوا منه، ونفروا واستكبروا، واجتمعوا في ناديهم، وأرادوا تعجيزَه، فقالوا لصالح: إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلى صخرة قريبة منهم ـ ناقةً مِن صِفَتِها كَيْت وكَيْت، وذكروا أوصافًا سَمَّوْها ونعتوها، وتعنَّتوا فيها، وأن تكون عُشَرَاء طويلة، من صفتها كذا وكذا.

فقال لهم صالح عليه السلام: أرأيتم إن أجبتُكم إلى ما سألتم

على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئتكم به، وتصدقوني فيما أُرْسِلتُ به؟ قالوا: نعم، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك، ثم قام إلى مُصَلَّاه، فصلى لله ﷿، ثم دعا ربه ﷿ أن يجيبهم إلى ما طلبوا.

فأمر الله ﷿ صخرةً فانفطرتْ عن ناقةٍ عظيمة عُشَراء، على الصفة التي نعتوها، فآمَن بعضهم، واستمرَّ أكثرهم على عنادهم وكفرهم، وقال لهم صالح ﵇: ذَرُوها تأكُلْ في أرض الله، على الله رزقُها، ولكم نَفْعُها، تَرِدُ الماء يومًا، فتَرِدُ القبيلة بأَسْرِها على ضَرْعها، كلٌّ يَصْدُر[1] عن ضرعها قد ملأ آنِيَتَهُ، ثم تَرِدُون الماء أنتم في اليوم الثاني، فمكثت الناقة على هذا ما شاء الله، وكان في قريتهم تسعةُ رهطٍ من شياطينهم قد قاوَموا ما جاء به صالح ﵇ أشدَّ المقاومة، يَصُدُّون عن سبيل الله، ويُفْسِدون في الأرض ولا يُصْلِحون، وكان صالح ﵇ قد حَذَّرهم مِن عَقْر الناقة؛ لما رأى من كِبْرِهم ورَدِّهم الحق، فعقد أولئك الملأ الأشرار مجلسًا عامًّا ليتَّفِقُوا على عَقْر الناقة، فلما اتفقوا على ذلك انتدبوا لذلك الأمر الشنيع أشقى القبيلة ـ قُدار بن سالف ـ فانبعث[2] واستعدَّ، وتكفَّل لهم بعقرها، وهم جميعهم راضون، بل آمِرُون، فعقرها، فكان هذا العقر

---

(١) أي: يرجع.

(٢) أي: أُرْسِل.

مُؤْذِنًا بهلاك القبيلة بأســرها، فلما شــعر صالح ﵇ بالأمر، ورأى منظرًا فظيعًا، عَلِم أن العذاب قــد تحتَّم لا محالة؛ لأن الجريمة قد تفاقمت، فقال لهم صالح ﵇: تمتَّعوا في داركم ثلاثة أيام، ذلك وعدٌ غير مكذوب، ففي أثناء هذه المدة اتَّفق هؤلاء الرهط التســعة على أمرٍ أغلظَ من عَقْرِ الناقة، ألَا وهو قتلُ نبيهم صالــح ﵇، وتعاهَدوا وتعاقَــدوا على هذه الفعلة المنكرة، وحلفوا الأيمان الـمُغَلَّظة، وكتموا أمرهم خشــيةً مِن مَنْع أهل بيته؛ لأنه كان من بيت عزٍّ وشرف، وقالوا: لنُبَيِّتَنَّه[1] وأهله، ثم إذا ظُنَّ بنا أننا قتلناه حلفنا لأوليائه أنَّنا ما شــهدنا مَهْلِك أهله، وإنَّا لصادقون، فدَبَّروا هذا المكر العظيم، ولكنهم يمكرون ويمكر الله بهم، فحيــن كَمنوا في أصل جبلٍ لينظروا الفرصة لقتل صالح ﵇ بدأ الله ﷻ بعقوبتهم، فكانوا ســلفًا مُقَدَّمًا لقومهم إلى نــار جهنم، فأرســل الله صخرة من أعلى الجبل فشَــدَخَتْهم[2]، وقُتِلُوا أشــنع قِتْلة وأفظعها، وأصبحت ثمود يوم الخميــس، وهو اليــوم الأول من أيــام النَّظِرَة[3]، ووجوههم مُصْفَرَّة كما أنذرهم صالح ﵇، فلما أمســوا نادَوْا بأجمعهم: ألَا قد مضى يومٌ مِن الأجل.

---

(١) أي: لنقتُلَنَّهم ليلاً.

(٢) الشَّدْخ: التهشيم والتحطيم.

(٣) النَّظِرة: الإمهال.

ثم أصبحوا فـي اليوم الثاني من أيـام التأجيل، وهو يوم الجمعة، ووجوههم مُحْمَرَّة، فلما أمسـوا نادَوا: ألَا قد مضى يومان من الأجل.

ثم أصبحوا في اليوم الثالث من أيـام التأجيل، وهو يوم السبت، ووجوههم مُسْـوَدَّة، فلما أمْسَـوْا نادوا: ألا قد مضى الأجل.

فلما كان صبيحـة يوم الأحـد تحنَّطوا وتأهَّبـوا وقعدوا ينظرون ماذا يحل بهم من العذاب العظيـم، والنكال الأليم، لا يدرون كيف يُفْعَل بهم، ولا من أي جهة يأتيهم العذاب.

فلما أشـرقت شـمس يوم العذاب جاءتهـم صيحة من فوقهم، ورجفةٌ من أسفل منهم، فأصبحوا خامدين قد فاضت أرواحهم، وزهقت أنفسـهم، وسـكنت حركاتهم، ونجَّى الله صالحـًا عليه السلام ومَن معه مـن المؤمنين، وتولـى عنهم، وقال: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعـراف: ٧٩]، ثم إن صالحًا عليه السلام انتقل بعد ذلك إلى حرم الله بمكة، فأقام فيه حتى توفَّاه الله عز وجل.

إبراهيم عليه السلام

هو أبو الأنبياء خليـل الرحمٰن إبراهيم بـن آزر، من ذرية سـام بن نوح عليه السلام، وُلِد ببابل بأرض العـراق، وكان أُمَّةً[1] في إيمانه ودعوته، ومواقفه وآثاره، بعثه الله تعالى رسولًا إلى قومه في العراق، وكانوا يعبدون الكواكب والأصنام، وهم فلاسـفة الصابئة الذيـن هم من أخبث الطوائـف، وأعظمها ضررًا على الخلق، فدعاهم إبراهيم عليه السلام إلـى الإيمان بالله، وعبادته وحده دون ما سـواه، وذكر تعالى في كتابه العزيز في مواضع شـتى مناظرته لأبيه وقومه، فلم يَـزَلْ إبراهيم عليه السلام مع قومه في دعوة وجدال، وقد أفحمهم، وأبطل جميع حُجَجِهم وشُـبَهِهم، وفي ذات يوم خرجوا لعيدٍ من أعيادهم، وخرج معهم، فنظر نظرةً في النجوم، فقال: إني سـقيم؛ لأنه خَشِـيَ إن تَخَلَّـف لغير هذه الوسيلة لم يدرك مطلوبَه؛ لأنه تظاهَرَ بعداوتها، والنهي الأكيد عنها وجهاد أهلها، فلما برزوا جميعًا إلـى الصحراء كَرَّ راجعًا إلى بيت أصنامهـم، فحطَّمَها كلها إلَّا صنمًا كبيـرًا أبقى عليه

---

(١) أي: إمامًا جامعًا لخصال الخير.

ليُلْزِمهم بالحجة، فلما رجعوا من عيدهم بادروا إلى أصنامهم، فرأوا فيها أفظع منظــرٍ رآه أهلُها، فقالوا: ﴿مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩، ٦٠]، فلما تحقَّقوا أنه هو الــذي حطمها أتَوْا به على مرأى النــاس ومَسْــمَعٍ، فقالوا لــه: ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٢]، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبيــاء: ٦٣]، فَسُــقِط فــي أيديهم[1]، وظهر الحق، وزهق الباطل، فوبَّخَهُم الخليل عليه السلام بعد إقامة الحجة عليهم، فلما أَعْيَتْهُــم المقاومة بالبراهين والحجج عدلوا إلى استعمال قوتهم وبطشــهم في عقوبة إبراهيم عليه السلام، فقالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٦٨]، فأوقدوا نارًا عظيمة فألْقَــوْه فيها، فقال وهو فــي تلك الحال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»، فقال الله تعالى للنار: ﴿يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فكانت الدوابُّ كلها تُطْفِئ النار عن إبراهيم عليه السلام إلَّا الوَزَغ[2]، فإنه جعل ينفخها عليه، فأنجاه الله تعالى من النار، ولم تَضُرَّه بشيء، وانتصر عليهم خليل الرحمٰن بالحجة والبرهــان، ثم خــرج إبراهيم عليه السلام من بيــن أظْهُرِهم

---

(١) أي: نَدِموا على فعلهم وتَحيَّروا.

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧)، لفظ البخاري: أن رسول الله ﷺ أمر بقتل الوزغ، وقال: كان ينفخ على إبراهيم عليه السلام.

مهاجِرًا بزوجته وابن أخيه لوط عليه السلام إلى الديار الشــامية، وفي أثناء مدة إقامته بالشــام ذهب إلى مصر بزوجته سارة، وكانت من أَحْسَــن نســاء العالمين، فلما رآها ملك مصر، وكان جبارًا عنيدًا، لم يملك نفســه حتى أرادها على نفســها[1]، فدعت الله عليه، فكاد أن يمــوت، ثم أُطْلِقَ، ثم عاد ثانيــة، وكلما أرادها دعت عليه فصُرِع، ثم دعت له فأُطْلِق، فكفاها الله شرَّه، ووهبها جارية هي هاجر القبطية، وكانت ســارة عاقرًا منذ كانت شابَّة، فوهبت هذه الجاريةَ لإبراهيم عليه السلام ليتســرَّى بها لعلَّ الله يرزقه منها ولدًا، فأتت هاجر بإسماعيل على كِبَرٍ من إبراهيم، ففرح به فرحًا شديدًا، ولكن سارة أدركتها الغَيْرَة، فحلفت أن لا يساكنها بها، وذلك لحكمة أرادها الله، فذهب بها وبابنها إسماعيل إلى مكة، ولما كبر ابنه إســماعيل أمره الله أن يبنــي الكعبة البيت الحرام معه، وأن يُؤذِّن في النــاس بالحج إلى بيت الله الحرام، وأنزل الله على إبراهيم عليه السلام صُحُفًا ليهتــدي بها أتباعه، ثم إنه لما كبرت سِنُّه أنجبت امرأته المؤمنة الصالحة سارة على الكبر ابنه إســحاق، وبقــي إبراهيــم عليه السلام حيًّــا حتــى رأى حفيده يعقوب عليه السلام، ومــات إبراهيم عليه السلام عن مائة وخمس وســبعين ســنة، ودُفِن في الخليل بأرض فلســطين، وتولــى دفنه ابناه إسماعيل وإسحاق، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

---

(١) أي: حاول التعدي عليها للفاحشة.



لوط عليه السلام



هو نبي الله لوط بن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، فإبراهيم وهاران وناحور إخوة، بعث الله لوطًا عليه السلام إلى قومه بعد أن نزح عن مَحِلَّةِ عمه الخليل عليه السلام، بأمره له وإذنه، فنزل بمدينة سَدُوم من أرض غور زُغَر، وكان أهلها من أفجر أهل الأرض وأكفرهم، وأسْوَئِهم طويةً، وأرْدَئِهم سريرةً وسيرةً؛ يقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكرات، ويفعلون الفاحشة بالذُّكْران من العالمين، فدعاهم لوط عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تعاطي هذه الفواحش والمنكرات، والأفعال المستقبَحات، فتمادَوْا في ضلالهم وكفرهم وفجورهم وغَيِّهم، وقالوا عن لوط عليه السلام وأهله: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢]، فعند ذلك دعا عليهم نبيهم الكريم، فسأل ربَّ العالمين أن ينصره على القوم المفسدين، فغار الله لغَيْرَته، وغضب لغضبته، واستجاب لدعوته، وبعث رُسُلَه الكرام وملائكته العظام على صورة شُبَّان حِسَان؛ اختبارًا من الله تعالى لقوم لوط، وإقامةً

للحجة عليهم، فاستضافوا(١) لوطًا، وكان ذلك عند غروب الشمس، فساءَ لوطًا ذلك، وضاق بهم ذَرْعًا(٢)، وقال: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٌ﴾ [هود: ٧٧]؛ لعلمه بما عليه قومه من هذه الجرأة الشنيعة، فقال لهم لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ: والله يا هؤلاء، ما أعلم على وجه الأرض أهلَ بلد أخبث من هؤلاء، ثم مشى قليلًا، ثم أعاد ذلك عليهم حتى كرَّره أربع مرات، ولكن الملائكة الكرام عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مكثوا؛ لأنهم أُمِرُوا أن لا يُهْلِكوهم حتى يشهد عليهم نبيهم بذلك، فلم يعلم أحد بوجود هؤلاء الشبان الحِسَان إلَّا أهل بيت لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخرجت والهة امرأةُ لوط ـ وكانت على دين قومها ـ فأخبرت القوم الخبر، وقالت: إن في بيت لوط رجالًا ما رأيت مثل وجوههم قط، فجاء القوم مسرعين إلى بيت لوط، ووقع ما خاف منه لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ، فجعل لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ يمانع قومَه الدخولَ ويدافعهم الباب، والباب مغلق، وهم يرومون فتحه ووُلُوجَه، ويقولون: لا أَرَب لنا في نسائنا، وإنك لتعلم مرادنا وغرضنا من غير النساء، وهو عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعِظُهم وينهاهم من وراء الباب، فلما ضاق عليه الأمر وعسر عليه الحال قال هذا المقال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود: ٨٠]، فقالت الملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: ﴿يَٰلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوٓاْ إِلَيۡكَ﴾ [هود: ٨١]، ثم

(١) أي: طلبوا منه أن يستقبلهم ضُيوفًا عنده.

(٢) أي: ضاق صدره.

خرج عليهم جبريل عليه السلام، فضرب وجوههم بطرف جناحه، فطُمِسَتْ أعينهم، فكان هذا عذابًا مُعَجَّلًا لهم، فرجعوا يتحسَّسون الجدران، ويتوعَّدون رسول الرحمن، ويقولون: إذا كان الغد كان لنا وله شأن.

وعندها أمر الملائكة الكرام عليهم السلام لوطًا عليه السلام أن يَسْرِي[1] بأهله في أول الليل إلَّا امرأته فلا يَسْرِ بها، وأمروه أيضًا أن يُلِحَّ في السير حتى يخرج من ديارهم، وينجو من العذاب الذي سيَحُلُّ بهم، فلما كان الصباح جاءهم من أمر الله ما لا يُرَدُّ، ومن البأس الشديد ما لا يمكن أن يُصَدَّ، فاقتلع جبريلُ عليه السلام بطرف جناحه قريتهم من قرارها، وما معهم من الحيوانات، فرفع الجميع حتى بلغ بهم عنان السماء، حتى سمعت الملائكةُ أصوات دِيَكَتِهم، ونُباحَ كلابهم، ثم قلبها عليهم، فجعل عاليها سافلها[2]، وغشاها بمطرٍ من حجارةٍ من سجيل[3] متتابعة، مرقومة[4] على كل حجر اسم صاحبه الذي سقط عليه من الحاضرين منهم في بلدهم، والغائبين عنها من المسافرين، والنازحين، والشاذِّين منها.

---

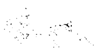
(١) السُّرَى: السَّيْر بالليل.

(٢) رواه الطبري في تفسيره ١٢/ ٥٣٦، وأبو الشيخ في كتاب العظمة عن السُّدي ٢/ ٧٩٨.

(٣) سجيل: أي: طين محترق بالنار.

(٤) أي: مختومة.

وجعل الله مكان تلك البلاد بحـــرًا مُنْتِنة، لا يُنتَفَع بمائها، ولا بما حولها من الأراضي المتاخمة لها، لرداءتها ودناءتها، فصارت عبرة وعظة، وآية على قدرة الله تعالى وعظمته، وعزته في انتقامه ممن خالَف أمره، وكذَّب رسله، واتَّبَع هواه وعصى مولاه، ثم إن لوطًا عليه السلام بعد ذلك انتقل هـــو وابنتاه إلى قرية صفرة بأرض الشام، وأقام بها حتى توفاه الله عز وجل.





إسماعيل عليه السلام



هو المولود البِكْر لإبراهيم الخليل عليه السلام، وقد رزقه الله له على كِبَر مِن هاجر القبطية المصرية، ثم أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام أن يأخذه وأمَّه إلى وادٍ غير ذي زرع في بلاد الحجاز، حيث لا سكن ولا ماء ولا زرع، وزوَّدهما إبراهيم عليه السلام بسقاء فيه ماء، وجراب فيه تمر، ووضعهما عند دَوْحة[1] قريبة من محل بئر زمزم، ثم قَفَّى إبراهيم عليه السلام منطلقًا، فتَبِعَتْه هاجر فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس به إنس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها. فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يُضَيِّعنا، ثم رجعت.

فانطلق إبراهيم عليه السلام، حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يرونه، استقبل بوجهه البيتَ، ثم رفع يدَيه إلى السماء، ودعا بهذه الدعوات، فقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ

---

(١) أي: شجرة عظيمة.

تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ثم استسلمت هاجر لأمر ربها، وجعلت تأكل من ذلك التمر، وتشرب من ذلك الماء حتى نَفِدَا، فعطشت ثم عطش ابنها، فجعل يتلوَّى من العطش، فذهبت لعلَّها ترى أحدًا، أو تجد مُغِيثًا، فصعدت أدنى جبل منها وهو الصفا، وتطلَّعت فلم تَرَ أحدًا، ثم ذهبت إلى المروة فصعدت عليه فتطلَّعت، فلم تَرَ أحدًا، ثم جعلت تتردَّد في ذلك الموضع وهي مكروبة مستغيثة بالله لها ولابنها، وبينما هي تمشي تلتفت نحو ابنها خشية السباع عليه، فإذا هبطت الوادي سعت حتى تصعد من جانبه الآخر؛ لئلا يخفى ابنها عن بصرها، فلما تمّت سبع مرات تسمَّعت حِسَّ الملَك، فبحث في الموضع الذي فيه زمزم فنبع الماء، فاشتدَّ فرحُ أمِّ إسماعيل به، فشربت منه وأرضعت ولدها، وحمدت الله على هذه النعمة العظيمة، وحَوَّطَت على الماء لئلا يَسِيح، ثم نزلت بها قبيلة من قبائل العرب يقال لهم: جُرْهُم، فأقاموا عندها.

فلما شَبَّ إسماعيل عليه السلام وتعلَّم العربية، وكان أول مَن تكلَّم بالعربية الفصيحة البليغة، تزوَّج عليه السلام امرأة من جُرْهُم، وفي أثناء هذه المدة ماتت أمه هاجر رضي الله عنها، وجاء إبراهيم عليه السلام بغَيْبَة إسماعيل عليه السلام حيث كان في الصيد، فدخل على امرأته، فسألها عن زوجها وعن عيشهم، فأخبرته أن زوجها قد ذهب

يتصيَّد، وأن عيشهم عيشُ الشـــدة، فقال لها: إذا جاء زوجك فأقرئيه مني السلام، وقولي له يُغَيِّر عتبة بابه، ورجع من فوره لحكمةٍ أرادها الله، فلما جاء إســـماعيل عليه السلام كأنه آنَسَ شـــيئًا، فسأل امرأته، فأخبرته أنه جاءهم شيخ بهذا الوصف، وأنه سأل عنك فأخبرته، وسألنا عن عيشـــنا فأخبرته أننا في شدة، وهو يقرأ عليك الســـلام، ويقول لك: غَيِّرْ عتبة بابـــك، فقال: ذاك أبي، وأنتِ العتبة، الحقي بأهلك.

ثم بعد ذلك تزوَّج إســـماعيل عليه السلام غيرها، وبعد مدة جاء إبراهيـــم عليه السلام مرة أخرى وإســـماعيل عليه السلام أيضًا فـــي الصيد، فدخل على امرأته، فسألها عن إسماعيل فأخبرته، وسألها عن عيشهم فأخبرته أنهم في نعمة وخير، وكانت امرأةً طيبة شاكرة لله ولزوجها، ثم قال لها: إذا جاء زوجك فأَقْرِئي عليه السلام، وقولي له: يُثَبِّتْ عتبةَ بابه، ثم رجع أيضًا من فَوْرِه قبل مواجهة إســـماعيل لحكمة أرادها الله، فلما رجع إســـماعيل عليه السلام من صيده قال: هل جاءكم مـــن أحد؟ فقالت: جاءنا شـــيخ بهذا الوصف، فقال: هل قال لكم من شـــيء؟ فقالت: سألنا عنك فأخبرته، وسألنا عن عيشنا فأخبرته أنَّا في نعمة، وأثنيتُ على الله، فقال إســـماعيل عليه السلام: فما قـــال؟ قالت: هـــو يقرأ عليك الســـلام، ويأمرك أن تُثَبِّتَ عتبة بابك، فقال: ذاك أبي، وأنت العتبة، أمرني أن أُمْسِكَكِ.

ثم عاد إبراهيم عليه السلام مرة ثالثة فوجد إسماعيل يَبْرِي نبلًا عند زمزم، فلما رآه قام إليه، فصنعَا كما يصنع الوالد الشفيق بولده، فقال: يا إسماعيل، إن الله أمرني أن أبني هنا بيتًا يكون معبدًا للخلق إلى يوم القيامة، قال: سأُعِينُك على ذلك، فجعلَا يرفعان القواعد من البيت، إبراهيم عليه السلام يبني، وإسماعيل عليه السلام يناوله الحجارة، وهما يقولان: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧ ـ ١٢٩][(١)].

فلما تَمَّ بنيان البيت أمر الله الخليل عليه السلام أن يدعو الناس، ويُؤَذِّن فيهم بالحج لهذا البيت، فجعل يدعو الناس وهم يَفِدُون إلى هذا البيت من كل فَجٍّ عميق؛ ليشهدوا منافع لهم.

وبعد أن تمكَّن حُبُّ إسماعيل من قلب إبراهيم عليهما السلام أراد الله تعالى أن يمتحن خليله إبراهيم عليه السلام، فأمره في المنام أن يذبح إسماعيل، ورؤيا الأنبياء وحي من الله، فقال لإسماعيل: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فقال إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]، فلما خضعَا لأمر الله، وأسلمَا له، وألقاه على وجهه،

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٤).

وهَمَّ أن يذبحه من قفاه، جـاء الفرج من الله تبارك وتعالى، وفداه الله بكبشٍ عظيم، وكان هذا قبل ولادة إسحاق ﷺ بسنين، وكان إسماعيل ﷺ رسولًا نبيًّا، وكان صادق الوعد مع الله ومع الناس، وكان يدعو إلى الله، ويأمر أهله بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وكان مَرْضِيًّا عند الله، وقد بعثه الله لأهل مكة ومن حولها، فاستجابوا له واتَّبَعُوه، ودخلوا في ديـن الله، يعبدون رب البيـت مؤمنين به موحِّدين له سبحانه، ومات إسـماعيل ﷺ بمكة، ودُفِن بالحِجْر مع أمه هاجر ﵂، وكان عمره يوم مات مائة وسبعًا وثلاثين سنة.

إسحاق عليه السلام

هو نبي الله إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام، رزقه الله به بعد ابنه البكر إسماعيل عليه السلام، وهو بشارة الملائكة، وذلك حين أرسل الله ملائكته لإهلاك قرى قوم لوط، فمَرُّوا على إبراهيم عليه السلام في طريقهم، وكانوا في صورة آدميين، فلما دخلوا عليه وسلَّموا ردَّ عليهم السلامَ، وبادَرهم بالضيافة، فراغ إلى أهله[1] بسرعة، فجاء بعجلٍ سمينٍ مشوي على الرَّضْف[2]، فقرَّبه إليهم، فقال: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٧] ﴿فَلَمَّا رَءَآ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [الذاريات: ٢٨]، فظن أنهم لصوص، فقالوا له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ﴾ [هود: ٧٠]، وبشَّروه بغلام عليم، وكانت سارة زوجة إبراهيم عليه السلام قائمة في خدمتهم، فلما سمعت بهذه البشارة دَهِشَت وضربت وجهها بكفها متعجِّبة، وقالت: ﴿يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ﴾ [هود: ٧٢]، فقالت الملائكة عليهم السلام: ﴿أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ ۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣]،

---

(١) أي: ذهب إلى أهله متخفيًا منهم.

(٢) الرَّضْف: الحجارة المُحْمَاة بالشمس أو بالنار.

وبعد هذه الحادثة بقرابة عام وُلِد إسحاق ﷺ، وكان عمر أبيه حين وُلِد مائة سنة، وعُمر أمه سارة تسعين سنة، وكانت ولادته بعد أخيه إسماعيل بأربع عشرة سنة، وولادته ﷺ آية من آيات الله تبارك وتعالى، وقد جعل الله إسحاق نبيًّا من الأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام، وجعل له لسان صِدْق عَلِيًّا، وجعله من المصطفَيْن الأخيار، وأرسله إلى الكنعانيين في بلاد الشام وفلسطين يدعوهم إلى عبادة الله وحده، وعاش إسحاق ﷺ في فلسطين حتى توفَّاه الله تعالى، ودفنه ابناه العيص ويعقوب بمدينة الخليل، وكان عمره حين مات مائة وثمانين سنة.

يعقوب عليه السلام

هو نبي الله يعقوب بن إســحاق بن إبراهيــم الخليل عليهم السلام، ويسمى إسرائيل أيضًا، وقد بَشَّرَت به الملائكة جدَّه إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ﴾ [هــود: ٧١]، وكان يعقــوب عليه السلام نبيًّا إلى الكنعانيين بأرض فلســطين، وكانت رســالته متمِّمة لرسالة أبيه إسحاق عليه السلام، وكان له اثنا عشر ولدًا، وحظي منهم يوسف عليه السلام بمكانة خاصة من قلب أبيه يعقوب، فتآمــر عليه إخوته، وألقَوْه في البئر، وذكروا لأبيهم أن الذئب أكلــه، فحزن يعقوب لفراقه حزنًا شــديدًا، وأصابه العمى من شــدة الحزن، ثــم رَدَّ الله إليه بصره، وجمــع بينه وبين ولــده بعد مدة من الزمــن، وقد حرَّم يعقوب عليه السلام على نفســه لحوم الإبل، حيث مــرض يومًا مرضًا شديدًا، فنذر لله أنه ســيمتنع عن أحب الطعام إليه؛ تقرُّبًا إلى الله إن شفاه من مرضه، ولما شــفاه الله وفَّى بنذره، والتزم بنوه من بعده بذلك، وحرَّموا ذلك الطعام على أنفســهم، مقتدِين بأبيهم يعقوب عليه السلام، وعندمــا حضر يعقوب عليه السلام المــوت وأحسَّ بدُنُوِّ الأجل جمع أبناءه، وأخذ يوصيهم بالتمسُّك بالإيمان بالله تعالى، وسطر القرآن العظيم هذه الوصية العظيمة في سورة البقرة، حيث

قال تعالى: ﴿ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ١٣٣]، ودُفِن يعقوب عليه السلام بمدينة الخليل بأرض فلسطين، وكان عمره حين مات مائة وثمانين سنة.

يوسف عليه السلام

هو نبي الله يوسف بن يعقوب عليهما السلام، وُلِد بأرض كنعان، وكان له أخ شقيق يُدعى بنيامين، وله إخوة عشرة غير أشقاء، تُوُفِّيَت والدته وهو صغير، فتعلَّق يعقوب بابنَيْه يوسف وبنيامين، ورأى يوسف عليه السلام في المنام أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر له ساجدين، فقصَّها على أبيه يعقوب، فأمره أبوه بإخفاء الرؤيا عن إخوته؛ لكيلا يحسدوه ويَكِيدوا له، فأثار إخوتَه تعلُّقُ أبيهما بابنَيْه، وخاصة يوسف، فدبَّروا مكيدة لقتله والتخلص منه، أو إلقائه في أرض بعيدة، أو في بئر، فيأخذه بعض المسافرين.

ولما عزموا على تنفيذ فعلتهم طلبوا من أبيهم يعقوب أن يُرْسِلَهُ معهم، فخاف عليه أن يأكله الذئب وهم عنه غافلون، ولكن إخوته ما زالوا بأبيهم حتى أقنعوه بخروجه معهم للعب خارج المدينة، واستقر رأيهم أن يُلقوه في البئر، فأرسله يعقوب معهم، فلما ذهبوا به بعيدًا، وفعلوا فعلتهم المنكَرة، أوحى الله تعالى إلى يوسف في هذه الحال: لتُخبِرَنَّهم بصنيعهم هذا وهم لا يشعرون بك حالَ إخبارك لهم، ثم رجعوا بعد ذلك إلى

أبيهم عِشاءً يتباكَوْن، وقالوا لأبيهم: قد أكله الذئب حيث ذهبنا نستبق وتركناه عند متاعنا، ولطَّخوا قميصه بدمٍ غير دمه، ونَسُوا أن يمزِّقوا الثوب، ففطن يعقوب لكيدهم، وقال لهم: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨]، وفي هذه الأثناء مرَّ بالبئر جماعة من المسافرين، فأخذوا يوسف وباعوه بثمن قليل، وقال الذي اشتراه من مصر لامرأته: أحْسِنِي إليه وأَكْرِمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدًا، فلما بلغ يوسف عليه السلام أَشُدَّه أعطاه الله الحكمة والفِقه في الدين، وشبَّ يوسف عليه السلام، وكان في الجمال والحُسنِ بمكان، فراودتْه امرأة العزيز عن نفسه، فامتنع يوسف، وصرف الله عنه السوء والفحشاء، وتسابقَا نحو الباب؛ يوسف لينجو من مَكْرِها، وهي تمنعه من الخروج، فأمسكت بقميصه فشقَّته من الخلف، وعند ذلك وجدَا زوجها عند الباب، ثم ادَّعت أنه راوَدَها عن نفسها، فأظهر الله براءته، حيث شهد شاهدٌ من أهل البيت: إن كان قميص يوسف شُقَّ من أمامه فذلك قرينة على صدقها؛ لأنها كانت تمنعه من نفسها، فهو كاذب، وإن كان قميصه شُقَّ من خلفه فذلك قرينة على صدقه؛ لكونها كانت تُراوِده وهو هارب عنها، فهي كاذبة.

فلما شاهَد العزيز أن قميص يوسف عليه السلام شُقَّ من خلفه تحقَّق من صدق يوسف، وقال العزيز ليوسف: يا يوسف،

اضرِبْ عن هذا الأمر صفحًـــا، ولا تذكره لأحد، واطلبي أنتِ المغفرة لإثمك؛ فإنك كنتِ من الآثمين؛ بسبب مراودة يوسف عن نفسه.

فانتشر الخبر وذاع في المدينة بين أوساط النساء، وقالت بعض النساء: زوجة العزيز تدعو عبدها إلى نفسها، قد وصل حُبُّه شغاف قلبها[1]، إنَّا لنراها بســبب مُراوَدَتها له وحُبِّها إياه وهو عبدٌ لها لفي ضلالٍ مبين.

فلما ســمعت امرأة العزيز إنكارهن عليهــا بعثت إليهن تدعوهن، وهَيَّأت لهن محلًّا فيه فراش ووسائد، وأعطت لكل واحــدة من المدعــوات ســكينًا تقطع بــه الطعــام، وقالت ليوسف عليه السلام: اخرج عليهن، فلما نظرن إليه أعْظَمْنَه، واندهشن لحُسْــنه وجمالــه، وجرَّحــن أيديهن مــن شــدة الانبهار به بالسكاكين الـمُعَدَّة لقطع الطعام، وقلن: ﴿حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوســف: ٣١]، فقالت امرأة العزيز: هذا هو الفتى الــذي عَيَّرتُنَّني بســبب حبّــه، ولقد طلبتــه، واحتَلْتُ لإغوائه، فامتنع، ولئن لم يفعل ما أطلب منه مستقبلًا ليدخلنَّ السجن، وليكونن من الأذلاء.

ولكن يوســف عليه السلام اعتصــم بربه، وفضَّل الســجن على ارتكاب الفاحشــة، فقــرَّروا بعــد ذلك أن يســجنوه، فدخل

---

(١) شغاف القلب: غلافه.

السجن، ودخل معه فَتَيان، وطلبَا منه تفسير رؤياهما، فأخذ يوسف ﷺ يدعوهما إلى عبادة الله وحده، ثم فسَّر لصاحبَيه الرؤيا، فأما الأول فإنه يعود لعمله فيسقي للملك، وأما الثاني فيُقتَل ويُصلَب، ويأكل الطيرُ من رأسه.

وأوصى يوسف ﷺ ساقي الملك أن يخبر الملك بشأنه، وأنه قد سُجِن بغير تهمة، فأنسى الشيطانُ الساقيَ ذِكْرَ يوسف عند الملك، فمكث يوسف ﷺ في السجن بعد ذلك عدة سنين، ثم إن الملك بعد ذلك رأى رؤيا في منامه، فسأل عن تأويلها، فعجَز الحاضرون عن ذلك، وقالوا للملك: تلك أضغاث أحلام، وفي هذه اللحظة تذكَّر الساقي يوسف ﷺ، فذهب إليه في سجنه، وطلب منه تفسير الرؤيا، ففسَّرها يوسف ﷺ.

ولما بلغ الملك تأويل يوسف ﷺ للرؤيا أُعجب به وطلب رؤيته، وأمر بإخراجه من السجن، فرفض يوسف ﷺ الخروج حتى تظهر براءته أولًا، فأقرَّت امرأة العزيز بجرمها، واعترفت بصدق يوسف فيما ادَّعاه من براءته مما رَمَتْهُ به، فخرج يوسف ﷺ من سجنه، واستخلصه[1] الملك لنفسه، وجعله أمينًا على خزائن مصر، ومكَّن الله ليوسف في الأرض، ثم بعد مدة جاء إخوة يوسف من فلسطين إلى أرض مصر يطلبون شراء القمح؛ لقحطٍ عَمَّ بلادهم، فعرفهم يوسف ﷺ

---

(١) أي: جعله مُقَرَّبًا منه خالصًا له دون شريك.

ولم يعرفـوه، فباعهم القمـحَ، وطلب منهم إحضـار أخيهم بنيامين في المـرة القادمة، ثم عادوا وأخبـروا أباهم بذلك، وطلبوا منه أن يرسل معهم بنيامين، فرفض، وذَكَّرَهم بما فعلوا بيوسف، وبعد إلحاحٍ منهم وافق، بشرط أن يأخذ منهم العهد والميثاق أن يَرُدُّوه إليه، ففعلوا، ثم أوصاهم إذا دخلوا مصر ألَّا يدخلوا من باب واحد، خوفًا عليهم من الحسـد، فلما قَدِموا على يوسف عليه السلام ومعهم أخوه الشقيق ضمَّ إليه أخاه الشقيق، وقال له سرًّا: إني أنا أخوك الشقيق يوسف، فلا تحزن لما كان يصنعه إخوتك مـن الإيذاء والحقـد عليَّ وعليـك، ثم أمر يوسف عليه السلام خُدَّامه بتحميل إبل إخوته بالطعام، وجعل مكيال الملك الذي يكيل به الطعام للناس في وعاء أخيه الشقيق دون علمهم، فلما ارتحل إخوة يوسف عائدين إلى أهلهم نادى منادٍ في إثرهم: يا أصحاب الإبل المحمَّلة بالـمِيرة، إنكم لسارقون. قال إخوة يوسف لمن نادى في إثرهم ومن معه من أصحابه: ماذا ضاع منكم حتى تتَّهمونا بالسـرقة؟ قالوا: ضاع منَّا صاع الملك الذي يكيل به، ولمن جاء بصـاعِ الملك قبل التفتيش جُعْلٌ، وهو حِمْل جَمَلٍ.

فقال لهم إخوة يوسـف: والله لقـد علمتـم نزاهتنا كما رأيتموه من أحوالنا، وأنَّا ما جئنا أرض مصر لنفسد فيها، وما كنا في حياتنا سارقين.

قال المنادي وأصحابه: فما جزاء من سرقه عندكم إن كنتم كاذبين في دعواكم البراءة من السرقة؟

قال لهم إخوة يوسف: جزاء السارق عندنا أن مَن وُجِد المسروق في وعائه يسلَّم برقبته للمسروق منه يسترِقُّه.

فأرجعوهم إلى يوسف ﷺ لتفتيش أوعيتهم، فبدأ يوسف بتفتيش أوعية إخوته غير الأشقاء قبل تفتيش وعاء أخيه الشقيق؛ سترًا للحيلة، ثم فتَّش وعاء شقيقه، وأخرج صاع الملك منه، فقال إخوة يوسف: إن يسرق فلا عجب، فقد سرق شقيقُه يوسف من قبل سرقته، فقال لهم يوسف في نفسه: ﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧]، فحاولوا استعطافه بأخْذ أحدهم مكانَه رحمةً بأبيهم الطاعن في السن، ولكن يوسف ﷺ رفض عرضهم، فلما يئسوا من إجابة يوسف لطلبهم انفردوا عن الناس للتشاوُر، فقال أكبرهم: أُذكِّركم أن أباكم قد أخذ عليكم عهدًا من الله على أن تردُّوا إليه ابنه إلَّا أن يُحاط بكم بما لا تقدرون على دفعه، ومن قبل ذلك قد فرَّطتم في يوسف، ولم تَفُوا بعهدكم لأبيكم فيه، فلن أترك أرض مصر حتى يأذن لي أبي بالرجوع إليه، أو يقضي الله لي بأخذ أخي، ثم أمرهم كبيرهم بأن يرجعوا إلى أبيهم ويخبروه بما حدث، ولأنهم أهل لإساءة الظن قالوا لأبيهم: اسأل أهل مصر، واسأل أصحاب القافلة التي جئنا معها، فلم

يصدقهم أبوهم في مقالهم هذا، وصبر فلم يشتكِ إلَّا إلى الله، فحزن واشتد حزنه حتى فَقَدَ بصره، ثم أمرهم أبوهم بالذهاب إلى مصر ليبحثوا عن ولدَيه، ثم عــادوا إلى مصر، فعرفوا أن العزيز هو أخوهم يوســف ﷺ، واعتذروا إليه فعفا عنهم، ثم أعطاهم قميصه ليطرحــوه على وجه أبيه ليعــود إليه بصره، وطلب منهم أن يعودوا ويأتوا بأهلهم أجمعين، وجاء البشــير إلى يعقــوب ﷺ فألقى على وجهــه القميص، فــرَدَّ الله إليه بصره، وتاب الله على إخوة يوسف بعد اســتغفار أبيهم لهم، وتحقَّقت رؤيا يوسف ﷺ بعد أربعين سنة عاش فيها الحرمانَ والفقد بسبب الظلم والحسد، واجتمع شمل الأحبة بعد فُرْقَةٍ، واســتقرّت عائلة يعقــوب ﷺ بــأرض مصر، وهــم آمنون مطمئنون، وبعد ذلك توفي يعقوب ﷺ، ثــم أعقبه وفاة ابنه يوسف ﷺ، ودُفِنَا في مصر.





شعيب عليه السلام



هو نبي الله شعيب بن ميكيل، من ذرية إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان فصيحًا مُفَوَّهًا، حيث كان بعض السلف يُلَقِّب شعيبًا بخطيب الأنبياء[1]؛ لفصاحته وعُلُوِّ عبارته، وبلاغته في دعوته لقومه، وقد بعثه الله تعالى إلى أهل مدين، وكانوا قومًا من العرب يسكنون مدينة مَدْيَن، وكانوا كفارًا يعبدون الأيكة ـ وهي شجرة من الأَيْك ـ وكانوا من أسوأ الناس معاملةً؛ حيث كانوا يقطعون السبيل، ويَبْخَسُون المكيال والميزان، ويُطفِّفون فيهما، فدعاهم شعيب عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، ونهاهم عن تَعاطِي هذه الأفعال القبيحة؛ من بَخْس الناس أشياءهم، وإخافتهم لهم في طرقاتهم، فآمَن به بعضهم، وكفر أكثرهم، فأخذوا يحتقرون شعيبًا عليه السلام ويستهزؤون به، وقد كانوا يُثْنُون عليه قبل هذا، ويقولون عنه: ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، فوعظهم شعيب عليه السلام، وذَكَّرَهم بمصير مَن قبلهم من الأُمم، وكيف دَمَّرهم الله بأمرٍ

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٠٧١).

منه، فذكَّرهم بقــوم نوحٍ، وبقوم هود، وبقــوم صالح، وبقوم لوط، وبَيَّنَ لهم أن ســبيل النجاة في العودة إلى الله ﷻ، فما كان منهم إلَّا أن هَدَّدُوا شعيبًا بالقتل، أو بطرده من قريتهم، ثم خَيَّرُوه بين النفي أو العودة إلى مِلَّتِهم، ولكن شعيبًا عليه السلام ثبت بمــن آمن معه علــى ديــن الله تعالى، ولــم يأبَــهْ لتهديدهم ووعيدهم، فاســتكبر هؤلاء المشــركون وتمرَّدوا على نَبِيِّهم الكريــم، وطالَبوه بأن يُنَــزِّل عليهم العقاب، فيُسْــقِط عليهم كِسَفًا[1] من السماء إن كان من الصادقين، فأنزل الله تعالى بهم أنواعًا من العقوبات، وأشــكالًا من البَلِيَّات، فسلَّط الله عليهم الرجفة فأسكنت الحركات، وأخذهم بصيحة عظيمة أخمدت الأصوات، وأرسل عليهم ظُلَّةً من شَرَرِ النار من سائر أرجائها والجهات، ونجَّى الله تعالى شعيبًا عليه السلام ومَن معه من المؤمنين، ثم إن شعيبًا عليه السلام لما حَلَّ عليهم العذاب تولَّى عنهم، ونعاهم إلى أنفســهم، مُوَبِّخًا ومُؤَنِّبًــا ومُقَرِّعًا لهم، حيــث قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَقَدۡ أَبۡلَغۡتُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحۡتُ لَكُمۡۖ فَكَيۡفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوۡمٖ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

---

(١) أي: قِطَعًا.



أيوب عليه السلام



هو نبي الله أيوب بن أموص، وينتهي نسبه إلى إبراهيم الخليل عليه السلام، وكان بَرًّا تقيًا رحيمًا بالمساكين، يكفُل الأيتام والأرامل، ويُكرِم الضيف، ويُبَلِّغُ ابنَ السبيل[1]، شاكرًا لأنعم الله تعالى، وبلغ من الكرم أنه لا يتناول طعامًا حتى يكون لديه ضيف فقير، وكان عليه السلام كثير المال من سائر صنوفه وأنواعه؛ من الأنعام، والعبيد، والمواشي، والأراضي المتَّسعة بأرض البثينة من أرض حوران بالشام، وكان له أولاد وأهلون كثير، فسُلِبَ منه ذلك كله، وابْتُلِي في جسده بأنواع البلاء، ولم يَبْقَ منه عضو سليم سوى قلبه ولسانه، يذكر الله عز وجل بهما، وهو في ذلك كله صابر محتسب ذاكِرٌ لله عز وجل في ليله ونهاره، وصباحه ومسائه، وطال مرضه حتى عافَه[2] الجليس، وأوحش منه الأنيس، وأُخْرِج من بلده، وانقطع عنه الناس، ولم يَبْقَ أحدٌ يحنو عليه سوى زوجته، التي كانت ترعى له حقَّه، وتعرف قديم إحسانه إليها، وشفقته عليها، فكانت تتردَّد إليه، فتُصْلِح

---

(١) ابن السبيل: المسافر الذي فقد ماله وانقطعت به الطريق.

(٢) أي: تَجَنَّبَه.

من شــأنه، وتُعِينه على قضاء حاجاته، وتقوم بمصلحته، فلما ضعف حالها، وقَــلَّ مالها، اضطــرت إلى أن تخــدم الناس بالأجر؛ لتُطْعِم أيوب عليه السلام، فرضي الله عنهــا وأرضاها، وهي صابرة معــه على ما حَلَّ بهمــا من فراق المــال والولد، وما يختصُّ بها مــن المصيبة بالزوج، وضِيــق ذات اليد، وخدمة الناس بعد الســعادة والنعمة والخدمة والحُرمة، ولم يَزِد هذا كله أيوب عليه السلام إلَّا صبرًا واحتســابًا وحمدًا وشكرًا لربه، حتى أن المثل ليُضْرَب بصبره عليه السلام، ويُضْرَب المثل أيضًا بما حصل له من أنواع المصائب والبلايا، ومكــث أيوب عليه السلام في بلواه ثماني عشرة سنة، تســاقَط فيها لحمه، حتى لم يَبْقَ إلَّا العظم والعصب، فكانت امرأته تأتيه بالرماد تفرشه تحته، فلما طال عليها قالت: يا أيوب، لو دعوتَ ربك لفرَّج عنك، فقال عليه السلام: قد عشت سبعين سنة صحيحًا، فهو قليلٌ لله أن أصبرَ له سبعين سنة[1].

وفي يوم من الأيام جاء لأيــوب عليه السلام رجلان من إخوانه كانَا من أخَصِّ إخوانه له، فقال أحدهمــا لصاحبه: يعلم الله، لقد أذنــب أيوب ذنبًــا ما أذنبَه أحــد من العالميــن. قال له صاحبه: وما ذاك؟ قال: منذ ثماني عشــرة سنة لم يرحمه ربه فيكشف ما به.

---

(١) نقله ابن كثير في تفسيره عن السُّدِّيِّ.

فلما راحَا إليه لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك له، فقال أيوب: لا أدري ما تقول، غير أن الله يعلم أني كنت أمُرُّ على الرجلين يتنازعان، فيذكران الله، فأرجع إلى بيتي فأُكَفِّر عنهما، كراهيةَ أن يذكرَا الله إلَّا في حق.

ثم إن زوجة أيوب ضاق عليها الحال، فلم تجد أحدًا يستخدمها، فعمدت فباعت لبعض بنات الأشراف إحدى ضفيرتيها بطعام طيب كثير، فأتت به أيوب، فقال: من أين لك هذا؟ وأنكره.

فقالت: خدمتُ به أناسًا، فلما كان الغد لم تجد أحدًا، فباعت الضفيرة الأخرى بطعام، فأتته به، فأنكره أيضًا، وحلف لا يأكله حتى تخبره من أين لها هذا الطعام، فكشفت خمارها عن رأسها، فلما رأى رأسها محلوقًا قال في دعائه: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فأوحى الله إلى أيوب في مكانه أن ﴿ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ﴾ [ص: ٤٢]، فاستبطأته زوجته فتلقَّته تنظر إليه، وأقبل عليها قد أذهب الله ما به من البلاء، وهو على أحسن ما كان من حال، فلما رأته قالت: أيْ بارك الله فيك، هل رأيت نبي الله هذا المبتلى، فوالله على ذلك ما رأيت رجلًا أشبه به منك إذ كان صحيحًا، قال: فإني أنا هو[١].

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٨/ ٢٤٦٠).

فأذهب الله ما في باطنه وظاهره من البلاء، ثم أعاد الله له أهله وماله، وأعطـاه من النعم والخيرات شـيئًا كثيرًا، وصار بهذا الصبر قدوةً للصابرين، وسَلْوَةً للمبتلين، وكان في مرضه قد وجد على زوجته المرأةِ البارَّة الرحيمة في بعض شـيء، فحلف أن يجلدها مائة جلدة، فخفَّف الله عنه وعنها، وقيل له: خُذْ بيدك حزمة حشيش أو علف أو شماريخ، أو نحوها، فيها مائة عود، فاضرب به ولا تَحْنَـث، وتوفي بعد مدة من الزمن أسوةُ الصابرين أيوب عليه السلام بسهل حوران بأرض الشام.





موسى عليه السلام



هو نبي الله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام، من أعظم أنبياء بني إسرائيل، وُلِد في عهد فرعون مصر الذي اشتهر بظُلمه وبطشه، وزاد طغيان فرعون عندما أبلغه أحد السحرة عن ولادة مولود من بني إسرائيل تكون نهاية فرعون على يده، فدفعته خشيته على ملكه لذبح أطفال بني إسرائيل، واستحياء[١] نسائهم، وفي ظل هذه المقتلة وُلِد موسى عليه السلام، فكتمت أمه أمره خوفًا عليه من القتل، فألهمها الله لأن تضعه في تابوت، وتُلقِيه في اليم، ففعلت ذلك، وأوصله اليم إلى قصر فرعون، فلما رأته امرأة فرعون أسكن الله محبتَه في قلبها، وقالت لفرعون وجنوده: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، ثم أمرت المرضعات بإرضاعه، فحرَّم الله عليه الرضاعة منهن، حتى جاءت أخت موسى عليه السلام، وقالت: هل أدُلُّكم على من يرضعه لكم؟ فدَلَّتْهم على أمه، فعاد لأمه كما وعدها الله من قبل، فأرضعته أمه،

(١) أي: استبقائهم على قيد الحياة للخدمة.

وقرَّت عينها برجوع ابنها إليها، ثم عاش موسى عليه السلام في قصر فرعون إلى أن بلغ أشُدَّه، وفي يوم من الأيام مرَّ موسى عليه السلام على رجُلَيْن من أهل مصر يتشاجران، أحدهما من قومه من بني إسرائيل، والآخر قبطي من قوم فرعون، فاستغاثه الذي من قومه، فاستجاب له موسى، فضرب الآخر فصرعه بتلك الضربة وأرداه قتيلًا، ثم توارى موسى عليه السلام عن الأنظار، واستغفر ربه فغفر له، وذاع الخبر في مصر حتى بلغ القصر، فجاء رجل من أقصى مصر يسعى إلى موسى عليه السلام، فأخبره بما يُحاك له من فرعون ومَلَئِه لقتله، ونصح له هذا الرجل بأن يخرج مُسْرِعًا من مصر لئلا يُقتَل، فخرج موسى عليه السلام من مصر مسرعًا خائفًا يترقب حتى بلغ ماء مدين، فوجد عليه رعاة يسقون، وعلى جانبهم امرأتان تنتظران فراغ الرعاة من سَقْيِهم، فقام موسى عليه السلام فسقى لهما، ثم تولى إلى ظل الشجرة، وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤]، وبينما هو في تلك الحال جاءته إحداهما تمشي على استحياء، فقالت: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]، فاستجاب موسى عليه السلام لهذه الدعوة الكريمة، فلما جلس إلى أبيها ـ وكان شيخًا كبيرًا ـ فقصَّ عليه موسى ما حدث له في مصر، فقال له هذا الشيخ الكبير: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، فأشارت إحداهن على أبيها أن يستأجر موسى عليه السلام؛ لأمانته وقوته، فعرض عليه أن يستأجره ثماني

سنين مقابل أن يُزوِّجه إحدى ابنتَيه هاتَين، فوافق موسى عليه السلام على عرضه، وتزوَّج بإحداهن، وقضى في مَدْيَن عشر سنين، ثم لما قضى موسى عليه السلام الأجل سار بأهله عائدًا إلى مصر.

فلما كان موسى في الطريق رأى نارًا، فأمر أهله بالمكوث حتى يأتي منها بخبر، فتوجَّه موسى عليه السلام إلى النار، فلما أتاها كلَّمه الله، وأمره أن يُلْقِي عصاه، فـإذا هي تتحوَّل بأمر الله إلى حية تسعى، فخاف موسى عليه السلام منها، فأمره الله بأن يأخذها ولا يخاف، فرجعت عصا مرة أخرى، ثم أمره الله أن يضم يده إلى جناحه، فخرجت بيضاء من غير سوء، ثم أمره بأن يتوجَّه إلى فرعون ويدعوه، ويعرض عليها هذه الآيات، فطلب موسى عليه السلام من ربه أن يُرسِل معه أخاه هارون؛ ليعضده ويسانده في مواجهة فرعون وملئه، فأجابه ربه، فسار موسى بأخيه هارون إلى فرعون، فدعاه إلى عبادة الله وحده، وأن يرسل معه بني إسرائيل، فكذَّبه فرعون واتَّهمه بالسحر، ودعاه إلى مواجهة سَحَرَتِه، فواعَدَه موسى في ضحى يوم الزينة[1]، فجمع فرعون سحرته من جميع أنحاء مصر، وكانت مصر في تلك الفترة مشتهرة بالسحر والسحرة، فلما جاء السحرة لفرعون قالوا له: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٣]، قال فرعون: ﴿نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٤]، فجُمع

(١) أي: يوم عيدٍ لهم يتزينون ويجتمعون فيه.

الناس لهذا الميقات، فتواجَه موسى عليه السلام بسحرة فرعون، فألقى السحرةُ حبالهم وعِصِيَّهم، ﴿وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٤٤]، وسحروا أعين الناس واسترهبوهم، فألقى موسى عليه السلام عصاه فإذا هي حيَّة تسعى، فابتلعت سِحْرَهُم بأمر الله، فلما رأى السحرة ذلك ذُهِلوا وخَرُّوا لله سُجَّدًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٢١]، فغضب فرعون أشد الغضب، وهدَّد السحرة بالقتل والصلب، لكنهم أبَوْا وامتنعوا، فقتلهم فرعون جميعًا، وصلبهم على جذوع النخل، وصبر موسى وهارون ومَن آمن من بني إسرائيل على ظلم فرعون وطغيانه، ودعا موسى عليه السلام ربه: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس: ٨٨]، وكان هارون عليه السلام يُؤَمِّن على دعاء أخيه، فاستجاب الله لهما، وأوحى إلى موسى عليه السلام بأن يخرج من مصر ليلًا بمن آمن معه، فسار فرعون بجنوده في إثره، فأدركهم عند شروق الشمس من اليوم العاشر من شهر محرَّم، فلما التقى الجمعان قال أصحاب موسى: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]، قال موسى عليه السلام: ﴿كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٢]، فأوحى الله إلى موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، فشقَّ الله لهم فيه طريقًا يابسًا آمنًا، وعَبَرَ موسى عليه السلام ومن معه البحر آمنين إلى الضفة الأخرى، ولحقهم فرعون بجنوده، فلما بلغوا وسط

الماء أطبق الله عليهم البحر فهلكوا جميعًا، وندم فرعون حين أدركه الغـرق، وقـال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]، ولكن قوله كان بعد فوات الآوان، فلـم تُنَجِّه هذه الكلمـات ولم تُغْنِ عنه شـيئًا، فأقام موسـى عليه السلام مع بني إسـرائيل في سـيناء، وظَلَّلَ الله عليهم الغمام، وأكرمهم بإنزال الـمَنِّ والسلوى، وفَجَّر لهم من الحَجَر اثنتي عشـرة عينًا، وكلَّم الله موسى عليه السلام مرة أخرى على جبل الطور، وأنزل عليه ألواحًا من السماء قد كُتِبت عليها التوراة، ثم عبد بنو إسـرائيل العجل الذي صنعه لهم السـامري أثناء ذهاب موسـى عليه السلام إلى ميقات ربه، فلما تأخَّـرُوا في توبتهم وإعطـاء العهد رفـع الله فوقهم جبـل الطـور، وطلب منهم موسـى عليه السلام دخـول الأرض المقدَّسـة ـ أرض فلسـطين ـ فاتحيـن، ولكنهم جَبُنُـوا وقعدوا عن الجهاد في سـبيل الله، وقالوا لموسـى: ﴿إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، فعند ذلك قال موسـى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [المائـدة: ٢٥]، فحرَّم الله عليهم دخولها، وكتب عليهـم التيه في صحراء سـيناء أربعين سـنة، وتوفي موسى عليه السلام في هذه الفترة من التِّيه.

هارون عليه السلام

هو نبي الله هارون بن عمران، من ذرية يعقوب بن إسحاق عليهم السلام، وهو النبي الكريم الوزير الشقيق لموسى عليهما السلام، وكان هارون عليه السلام أكبر من موسى عليه السلام، حيث وُلِد هارون قبل أن يأمر فرعون بقتل أبناء بني إسرائيل، ولما كلَّم الله موسى عليه السلام على جبل الطور، وكلَّفه بالذهاب إلى فرعون، سأل موسى عليه السلام ربَّه أن يُرْسِل معه أخاه هارون؛ ليكون وزيرًا ومساعدًا ورِدْءًا[1] له، ولا يُعرَف أحدٌ أعظم في مِنَّتِه على أخيه من موسى عليه السلام، فوهب الله لموسى أخاه هارون نبيًّا رحمة منه، فكان هارون نِعْمَ الأخ الصالح، والشقيق الطيِّب، والنبي المؤازِر، والوزير المعاوِن، واليد اليمنى، والساعد الكبير، والنصير باللسان، والمعين بالرأي والبدن، وكان هارون عليه السلام أفصح من موسى عليه السلام، وهي فضيلة شهد بها أخوه له، وكان هارون عليه السلام صادقًا، أمينًا، تقيًّا، صالحًا، هيِّنًا، ليِّنًا، سهلًا، مطيعًا لموسى عليه السلام بالرغم من كونه أكبرَ منه سنًّا، وكان معظم

---

(١) أي: مُعِينًا.

وحي الله تعالى إلى هارون على لسان موسى عليهما السلام، وبعد هلاك فرعون ونجاة موسى ومن معه استخلف موسى عليه السلام أخاه هارون على بني إسرائيل حين أراد الذهاب إلى جبل الطور لمناجاة ربه تبارك وتعالى، وأثناء غياب موسى عليه السلام عَبَدَ بنو إسرائيل العجل، ونهاهم هارون عليه السلام عن هذا الفعل، وزجرهم حيث قال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوٓاْ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٠]، فقالوا له: ﴿لَن نَّبۡرَحَ عَلَيۡهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرۡجِعَ إِلَيۡنَا مُوسَىٰ﴾ [طه: ٩١]، فرجع موسى عليه السلام غضبان أسفًا بعد أن أخبره الله تعالى بما صنع قومه من بعده، فأخذ يلوم أخاه هارون عليه السلام ويأخذ بلحيته ورأسه، ويقول له: ﴿يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذۡ رَأَيۡتَهُمۡ ضَلُّوٓاْ ۝ أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيۡتَ أَمۡرِي﴾ [طه: ٩٢، ٩٣]، فأجابه هارون عليه السلام قائلًا: ﴿يَبۡنَؤُمَّ لَا تَأۡخُذۡ بِلِحۡيَتِي وَلَا بِرَأۡسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقۡتَ بَيۡنَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَمۡ تَرۡقُبۡ قَوۡلِي﴾ [طه: ٩٤]، ومات النبي الوزير هارون عليه السلام سنة ثمانٍ أو سبع وخمسين وأربعمائة وألف قبل المسيح عليه السلام، في جبل هور على تخوم أرض أدوم في مدة التيه في السنة الثالثة من الخروج من مصر.

الخضر عليه السلام

هو نبي من أنبياء الله تعالى، وسُـــمِّيَ الخضر بهذا الاسم؛ لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هـــي تهتزُّ من خلفه خضراء، وعاصَر الخضر موسى عليه السلام، والتقى به، وذلك أن موسى عليه السلام في يوم من الأيام قام خطيبًا في بني إسرائيل، فسُئِل: أيُّ الناس أعلم؟ فقال موسى عليه السلام: أنا. فعاتب الله على موسى إذ لم يَرُدَّ العلم إليه، وأوحى إليه: بل عبـــد من عبادي بمجمع البحرَين هو أعلم منك، فسأل موسى ربه: كيف السبيل إليه. فأوحى الله إليه أن تأخذ حوتًا في مِكْتَلٍ، فحيثمـــا فَقَدْتَ الحوت فاتبعْه، فخرج موسى عليه السلام ومعه فتاه يوشـــع بن نون، ومعهما حوت ميت، وجَدًّا في السير، فلما وصلَا ملتقى البحرين جلسَا عند صخرة، فنام موسى وفتاه، وكان في جوف الصخرة عينٌ يقال لها: عين الحياة، لا يصيب من مائها شـــيء إلَّا حيا، فأصاب الحوت من مـــاء تلك العيـــن، فتحرك الحوت، وانســـلَّ من المكتل فدخل البحر، وأمســـك الله عن الحوت جريان الماء، فصار عليه كالطاق، فلما استيقظ موسى نَسِي صاحبُه أن يخبره بأمر الحوت، فانطلقَا بقيةَ يومهما وليلتهما، حتى إذا كان من

الغد شعر موسى بالجوع، فقال ليوشع: أحضر إلينا الغداء؛ فقد لقينا من سفرنا هذا تعبًا. قال له يوشع: أتذكر حين لجأنا إلى الصخرة التي استرحنا عندها؟ فإني نسيت أن أخبرك ما كان من أمر الحوت، وما أنساني أن أذكر ذلك لك إلَّا الشيطان؛ فإن الحوت الميت دبَّت فيه الحياة، وقفز في البحر، واتخذ له فيه طريقًا، وكان أمره مما يُعجَب منه. قال موسى عليه السلام: ما حصل هو ما كُنَّا نطلبه؛ فإنه علامة لي على مكان العبد الصالح. فرجعَا يَقُصَّان آثار مشيهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فلما وصلَا إلى الصخرة إذ هما برجل مُسَجًّى[1] بثوب، مستلقيًا على قفاه، فسلَّم عليه موسى، فكشف الخضر عن وجهه الثوب، واستغرب الخضرُ رجلًا يسلِّم عليه في تلك البلاد، فسأل موسى وقال: وأنَّى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى. قال الخضر: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم.

فقال موسى: أتأذن لي أن أتبعك؛ لتُعَلِّمني من العلم الذي علَّمك الله إياه ما أسترشد به وأنتفع؟

قال له الخضر: يا موسى، إنك على علمٍ من علم الله، علَّمك الله إياه لا أعلمه، وأنا على علمٍ من علم الله علَّمَنيه الله لا تعلمه. قال موسى: بل أتبعك. فقال له الخضر: إنك يا موسى لن تُطِيق أن تصبر على اتباعي وملازمتي؟ وكيف

---

(١) أي: مُغَطًّى.

لك الصبر على ما ســأفعله من أمورٍ تخفى عليك مما علَّمنيه الله تعالى؟

قال موسى: ستجدني إن شاء الله صابرًا على ما أراه منك، ولا أخالف لك أمرًا تأمرني به.

فوافَق الخضـــر، وقال له: فإن صاحَبْتَنِي فلا تســألني عن شيء تنكره حتى أُبَيِّن لك من أمره ما خَفِي عليك دون سؤال منك.

فانطلقا يمشيان على الســاحل، فمرَّت بهما سفينة، فطلبَا من أهلها أن يركبا معهـــم، فحملوهم بغير أجر، فلما ركبا قَلَعَ الخَضِر لوحًا من ألواح من الســفينة بالقَدُوم فخرقها. فقال له موسى: أَخَرَقْتَ الســفينة لتُغرِق أهلَها وقد حملونا بغير أجر؟ لقد فعلتَ أمرًا منكرًا. قال لــه الخَضِر: لقد قلت لك من أول الأمر: إنك لن تســتطيع الصبــر على صحبتي. قال موســى معتذرًا: لا تؤاخذني بنسياني شرطَك عليَّ، ولا تُكَلِّفْني مشقةً في تعلُّمي منك، وعامِلْني بيسر ورِفْق. فقَبِل الخَضِر عُذْرَه.

ثم خرجا من السفينة، فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصرَا غلامًا يلعب مع الغلمان، فقتله الخَضِر، فأنكر موســى عليه، وقال له: كيف قتلتَ نفسًا طاهرة لم تبلغ حدَّ التكليف، ولم تقتل نفسًا حتى تستحق القتلَ بها؟ لقد فَعَلْتَ أمرًا منكرًا عظيمًا. فقال الخَضِر لموسى معاتبًا ومُذَكِّرًا: ألم أقل لك: إنك

لن تستطيع معي صبرًا على ما ترى من أفعالي مما لم تُحِط به خُبْرًا؟ قال موسى له: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة فاتركني ولا تصاحبني، قد بلغتَ العذرَ في شأني ولم تُقَصِّر؛ حيث أخبرتَني أني لن أستطيع معك صبرًا.

فذهب موسى والخَضِر حتى أتيا أهل قرية، فطلبَا منهم طعامًا على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، فوجدَا فيها حائطًا مائلًا يوشك أن يسقط، فعدَّل الخَضِر مَيْلَه حتى صار مستويًا، قال له موسى: لو شئتَ لأخذت على هذا العمل أجرًا تصرفه في تحصيل طعامنا حيث لم يُضَيِّفُونا.

حينها قال الخَضِر لموسى: هذا وقتُ الفراق بيني وبينك، سأخبرك بما أنكرتَ عليَّ من أفعالي التي فعلتُها، والتي لم تستطع صبرًا على تَرْك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها.

• أما السفينة التي خرقتُها فإنها كانت لأناسٍ مساكين يعملون في البحر عليها سعيًا وراء الرزق، فأردت أن أعيبها بذلك الخرق؛ لأن أمامهم ملكًا يأخذ كل سفينة صالحة غصبًا من أصحابها.

• وأما الغلام الذي قتلتُه فكان في علم الله كافرًا، وكان أبوه وأمه مؤمِنَيْن، فخشينا لو بقي الغلام حيًّا لَحمل والديه على الكفر والطغيان لأجل محبتهما إياه، فأردنا أن يُبْدِل الله أبوَيه بمن هو خير منه صلاحًا ودينًا وبِرًّا بهما.

• وأما الحائط الذي عدَّلتُ مَيْلَه حتى استوى فإنه كان لغلامين يتيمين في القرية التي فيها الجدار، وكان تحته كنزٌ لهما من الذهب والفضة، وكان أبوهما رجلًا صالحًا، فأراد ربك أن يكبَرا ويبلغَا قوتهما، ويستخرجَا كنزهما؛ رحمةً من ربك بهما، وما فعلتُ يا موسى جميع الذي رأيتَني فعلتُه عن أمري ومن تلقاء نفسي، وإنما فعلته عن أمر الله، وذلك الذي بَيَّنْتُ لك أسبابه هو عاقبة الأمور التي لم تستطع صبرًا على تَرْك السؤال عنها والإنكار عليَّ فيها(١).

واختلف العلماء في حياة الخضر عليه السلام أو موته على قولَين:

ـ فذهب بعضهم ـ كالقرطبي والنووي وغيرهما ـ إلى أنه حي، وأنه شرب من (عين الحياة) التي مَن شرب منها لا يموت إلَّا قُرْبَ قيام الساعة، ومستندهم في ذلك غالِبُه مبني على حكايات عن بعض مَنْ يُظَنُّ به الصلاح، ومنامات، وأحاديث مرفوعة عن أنس وعلي، وغيرهما، وكلها ضعيفة لا تقوم بها الحجة.

ـ وذهب آخرون ـ كالبخاري وابن حجر وابن كثير وابن الجوزي وغيرهم ـ إلى وفاته قبل بعثة المصطفى ﷺ، وهو الراجح.

---

(١) أخرجه مطولاً البخاري (١٢٢) (٤٧٢٧)، ومسلم (٢٣٨٠).



يوشع بن نون عليه السلام



هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، حيث كان خادمًا لموسى عليه السلام وتابعًا له، وهو أحد الرجلَين اللَّذَيْن شجَّعَا بني إسرائيل على دخول أرض كنعان، حيث ذكرهما الله في كتابه في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [المائدة: ٢٣]، وكان موسى عليه السلام قد قرَّبه إلى نفسه، واتخذه تلميذًا، وأخذه معه في رحلته العجيبة إلى الخضر عليه السلام، وكان يوشع أحد الرجلَين اللَّذَيْن عَهِدَ إليهما موسى عليه السلام بأن يَقْسِمَا الأرض بين أسباط بني إسرائيل بعد موسى عليه السلام، وأمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يعهد إلى يوشع تدبير أمرِ بني إسرائيل بعد وفاته، فعهد إليه موسى بذلك، فصار نبيًّا من بعده، وكان بنو إسرائيل حينها في التيه والضياع الذي كتبه الله عليهم في صحراء سيناء، وقد استمرَّت مدة التيه أربعين عامًا، وبعد انقضاء هذه المدة خرج يوشع عليه السلام بمن بقي منهم، فذهبوا إلى بيت المقدس، ونظم يوشع عليه السلام جيشًا من بني إسرائيل،

وقَسَّمَه إلى اثْنَيْ عشر قسمًا حسب الأسباط، واستطاع أن يفتح بهم أريحا، ثم بيت المقدس، ثم لَبِثَ فيهم سبعًا وعشرين سنة يحكم بينهم بالتوراة التي أُنزلت على موسى عليه السلام، وبعد موت يوشع عليه السلام عاد بنو إسرائيل إلى ضلالهم وفسادهم، وعبدوا الأصنام، وكان من أشهر أصنامهم في تلك الفترة: عشتار وأدونيس.





داود عليه السلام



هو داود بن إيشا، من ذرية يهوذا بن إسحاق عليه السلام، وهو نبيٌّ رسول، ومَلِك خليفة على بني إسرائيل، وكان جنديًّا في جيش طالوت، واشترك في المعركة الفاصلة ضد جالوت وجنوده الكافرين، وقَتَلَ داودُ عليه السلام جالوتَ، وانهزم جيش الكفّار بعد قَتْل قائدهم، ثم تزوَّج داود عليه السلام من ابنة طالوت، فأصبح ملكًا بعد ذلك على بني إسرائيل، وكان عمره حين ذلك ثلاثين سنة، فحكم بني إسرائيل بالعدل، وطبّق عليهم أحكام التوراة التي ضيَّعوها، وتتابعت انتصاراتهم على يدَيه، وأعزَّ الله تعالى بني إسرائيل به بعد أن كانوا في ذل وهوان، فلما بلغ داود عليه السلام سن الأربعين آتاه الله النبوة والعلم مع الملك والحكم، وجعله رسولًا لبني إسرائيل، وأنزل الله على عبده داود الزبور، الذي هو مُكَمِّلٌ للتوراة التي أنزلها الله على موسى عليه السلام، وآتاه الله صوتًا حسنًا في ذِكْرِه لربه وتسبيحه، وكانت الجبال والطير تُسَبِّح معه، ويسمع صوتها وهي تسبح ربها معه، وكان عليه السلام يأمر أن تُسْرَج دابته فيقرأ الزبور كلَّه قبل أن تُسْرَج[1]، وامتنَّ الله

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤١٧).

على داود عليه السلام فألان له الحديد، فكان بين يديه بإذن الله كالعجين، يَفْتِلُه بيده، فلا يحتاج إلى نار ولا مِطْرَقة، وعلَّمه سبحانه مَنْطِقَ الطير، وصنع الدروع التي يلبسها الجنود في الحروب، وكان داود عليه السلام يأكل من كَسْب يده، وكان مِن أكثر عباد الله عبادةً وذِكْرًا، حيث كان له محراب للعبادة، فلم يَشْغَلْه ما هو فيه من الملك والسلطان عن عبادة ربه الرحمٰن، وكان عليه السلام يصوم يومًا ويُفْطِر يومًا، وكان يصلي أكثر الليل، وكان ابنه سليمان يساعده في ملكه وإدارته للبلاد، وذكر القرآن استدراك سليمان على أبيه داود في حُكْمٍ أصدره الأب، فعدَّل له الابن، فأخذ الأب داود عليه السلام بحكم ابنه سليمان عليه السلام، ومات داود عليه السلام وكان عمره مائة سنة، وخلفه من بعده في المُلك والنبوة ابنه سليمان عليه السلام.



سليمان عليه السلام



هو نبي الله الملك سليمان بن داود، من ذرية إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام ، آتـــاه الله النبـــوة والــمُلك مثل أبيـــه، وقد كان مســاعدًا لأبيه داود في حياته، فلمــا تُوُفِّي ورثه فـــي النبوة والرســالة، وفي الملك والخلافة، وزاده الله ملكًا عظيمًا على ملك أبيه لم يحصل لأحد قبله ولا بعده، فســخَّر الله له الريح تجري بأمـــره وتدبيره بســهولة حيـــث أراد، غُدُوُّها شـــهر، ورَوَاحُها شهر، وفجَّر الله له النحاس من باطن الأرض، وسَخَّر الله له الجن والشياطين والعفاريت يعملون له الأعمال الشاقة بحسب إرادته، فيعملون له ما يشـــاء من محاريب(١) وتماثيل وجِفان(٢) كالجوابِي(٣)، وقدور راســيات، وســخَّر الله له من الجنود من الإنـــس والجن والطيـــر، فهم يُوزَعُـــون(٤) بتدبير عجيب ونظام فريد، وعلَّمه الله منطق الطير وسائر الحيوانات،

---

(١) المحاريب: أبنية كبيرة مرتفعة.

(٢) الجفان: جمع جفنة، وهي إناء كبير.

(٣) الجوابي: جمع جابية، وهي حوض كبير.

(٤) أي: يُساقُون.

فكانت تخاطبه ويفهم كلامها، ومن هذا مخاطبة الهدهد، وسماع كلام النملة إذ نادت في قومها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] فتبسَّم ضاحكًا من قولها، وقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩].

وكان سليمان عليه السلام داعية إلى الإسلام، ولَمَّا عَلِم من الهدهد ما كانت عليه ملكة سبأ وقومها من كفر وعبادة للشمس قام بواجبه في دعوتهم إلى الله تعالى، وهَدَّدَهم بعد رفضه لهَدِيَّتِهم، فلما وصلت ملكة سبأ لسليمان ورأت ما هو فيه من قوة، وأنه على حقٍّ أسلمت لله رب العالمين، فاتَّسعت رقعة مملكته وحدود سلطانه، وأذعن له ملوك عصره، وقام سليمان عليه السلام بتجديد بناء المسجد الأقصى في بيت المقدس، ليُصلِّي فيه المسلمون من شعبه.

وقضى الله تعالى بموت نبيه سليمان عليه السلام حينما كان واقفًا أمام الجن وهم يعملون الأعمال الشاقة، وهو متكئ على عصاه، فمات ولم تشعر الجن بموته، فأرسل الله دابَّة الأرض ـ الأَرَضة ـ فأكلت عصاه، فانكسرت العصا، وسقطت جُثَّتُه على الأرض، وتفاجَأ الجن بموته الذي مضى عليه وقتٌ طويل، وبذلك علموا أنهم لا يعلمون الغيب ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ

ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

وبوفاة سليمان عليه السلام نشب الخلاف بين بني إسرائيل، وتنازَعُوا على الملك، وانقسمت مملكتهم إلى مملكة في الشمال، ومملكة في الجنوب، ووقع القتل بينهم، وشاع الفجور والكفر، وضُيِّعَت التوراة، وكانت وفاته عليه السلام بالقدس حيث دُفِن فيه، وكان ذلك قبل المسيح عليه السلام بتسعمائة وثلاثين سنة.



إلياس عليه السلام



هـو نبـي الله إلياس بن ياسـين، مـن ذريـة هارون بن عمران عليه السلام، بعثه الله تعالى رسـولًا إلى أهـل بعلبك غربي دمشـق، فقام بدعوتهم إلى عبـادة الله وحده لا شـريك له، وأخبرهم بأن الله هو ربهم ورب آبائهم الأولين، وأمرهم عليه السلام بتقـوى الله، ونهاهم عن عبـادة صنمهم «بَعْـل»، حيث كانوا يعتقدون فيه الألوهية، ويعتبرونه ربًّا لهم يدعونه ويطلبون منه ويتضرَّعون إليه، فأنكر عليهم إلياس ذلك، فكذَّبوه، ورفضوا دعوته، وأصَرُّوا على كُفْرِهـم، فأهلكهم الله تعالى بعذاب من عنده، ونجَّى عبده إلياس عليه السلام والذين آمنوا معه، ووصف الله عبده إلياس عليه السلام بأنه رسول مؤمن مُحْسِـنٌ عابد لله سبحانه، وأبقى الله ذِكْرَه الحَسَن فيمن جاء من بعده، وجعله قدوة حسنة في الدعوة إليه سبحانه وتعالى.



اليسع عليه السلام



هو نبي الله اليسع بن أخطوب، من ذرية يوسف عليه السلام، وقد نشأ اليســع على يَدَيْ إلياس عليه السلام، وكان مستخفيًا معه بجبل قاسيون، فلما مات إلياس عليه السلام خلفه اليسع في قومه، ونَبَّأَه الله بعده، حيث أخذ يدعو قومه إلى الله تعالى مستمســكًا بمنهاج إلياس عليه السلام وشــريعته، وقد كثرت في زمانه الأحداث العظام والخطايا الجســام، وكثر الملوك الجبابرة في الأرض، فقتلوا الأنبياء، وشَــرَّدُوا الصالحين والأولياء، فذَكَّرَهم اليســع بالله تعالى، ووَعَظَهُم وخَوَّفَهم من عــذاب الله وعقابه، ولكنهم لم يأبهوا بدعوته، ولم يسمعوا نصيحته، فســلَّط الله على هؤلاء الأشــرار اللئام مَن يســومهم ســوء العذاب، وتوفَّى الله نبيَّه اليسع عليه السلام، وكانت وفاته ســنة أربعين وثمانمائة قبل المسيح عيسى عليه السلام، ودُفِن بالسَّامرة.

ذو الكفل عليه السلام

هو نبي من أنبياء بني إسرائيل، وسُمِّي بذي الكفل؛ لأنه تكفَّل ببعض الطاعات فوفى بها، وكان مُقامه بالشام، وكان في زمنه نبي من أنبياء بني إسرائيل قد كبر سنه، قيل: إنه اليسع عليه السلام، ففكَّر أن يستخلف رجلًا على الناس يعمل عليهم في حياته حتى ينظر كيف يعمل، فجمع الناس فقال: مَن يتقبَّل مني بثلاثٍ أستخلفه؛ يصوم النهار، ويقوم الليل، ولا يغضب، فقام رجل تزدريه العين فقال: أنا، فرَدَّه ذلك اليومَ، وقال مثلها في اليوم الثاني فسكت الناس، وقام ذلك الرجل فقال: أنا، فاستخلفه، فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه للقائلة، وكان لا ينام بالليل والنهار إلَّا تلك النومة، فدَقَّ الباب فقال: مَن هذا؟ قال: شيخ كبير مظلوم، فقام ففتح الباب. فقال: إن بيني وبين قومي خصومة، وإنهم ظلموني، وفعلوا وفعلوا، فجعل يُطِيل حتى حضر الرَّوَاح وذهبت القائلة، فقال: إذا رحت فائْتِني فإني آخذ حقَّك، فانطلق وراح، فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يَرَه، فقام يبتغيه، فلما كان الغد جلس يقضي بين الناس وينتظره فلا يراه، فلما رجع إلى

القائلة فأخذ مضجعه أتاه فدَقَّ الباب، فقـــال: مَن هذا؟ فقال: الشيخ المظلوم. ففتح له الباب. فقال: ألم أَقُلْ لك: إذا قعدتُ فائتني؟ فقال: إنهم أخبث قوم، إذا عرفوا أنك قاعد قالوا: نحن نعطيك حقك، وإذا قمت جَحَدُوني. قال: فانْطَلِق، فإذا رحت فائتني، ففاتته القائلة، وراح فجعل ينظر فلا يراه، فشـــقَّ عليه النعاس، فقال لبعـــض أهله: لا تَدَعَنَّ أحـــدًا يقرب هذا الباب حتى أنام؛ فإنه قد شقَّ عليَّ النوم.

فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل، فلما أعياه نظر فرأى كُوَّةً في البيت، فتَسَـــوَّرَ منها، فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل، فاستيقظ، فقال: يا فلان، ألم آمرك؟ فقال: أمَّا مِن قِبَلِي فلم تُؤْتَ، فانظر من أين أُتِيت، فقام إلى الباب فإذا هو مغلقٌ كما أغلقه، وإذا الرجل معه في البيت، فقال: أتنام والخصوم ببابك؟ فعرفه، فقال: أعَـــدُو الله؟ قال: نعـــم، أعييتنـــي، ففعلت ما ترى لأغضبك، فعصمك الله، فسُـــمِّيَ ذا الكفل؛ لأنه تكَفَّل بأمرٍ فوفى به، وأثنـــى الله تعالى علـــى ذي الكفل في كتابه بأحســـن الثناء، ووصفه بأنه من الصابرين، ومن الأخيـــار الذين اختارهم الله من خلقه، فاختـــار لهم أكمـــل الأحوال مـــن الأعمـــال والأخلاق، والصفات الحميدة، والخصال الســـديدة، وأقام بالشام عليه السلام حتى توفَّاه الله تبارك وتعالى، وكان عمره حينئذٍ خمسًا وسبعين سنة.

يونس عليه السلام

هو نبي الله يونس بن متى، من ذرية بنيامين بن يوسف عليه السلام، أرسله إلى أهل نِينَوى، فدعاهم إلى الله فأبَوْا عليه، ثم كَرَّرَ عليهم الدعوة، فأبوا، فتوَعَّدَهم بالعذاب، وخرج من بين أَظْهُرِهم، ولم يصبر الصبرَ الذي ينبغي، فلما ذهب يونس عليه السلام ألقى الله في قلوب قومه التوبة بعدما شهدوا مُقَدِّمات العذاب، فكشف الله عنهم العذاب، فتوجَّه يونس عليه السلام إلى البحر، فركب السفينة، فلما توسَّطت البحر اضطربت بهم، حتى شارفوا(١) على الغرق، ودار الأمر بين أن يَبْقُوا عليها جميعًا فيغرقوا، وبين أن يُلْقُوا بعضهم بمقدار ما تخفُّ به السفينة فيَسْلَم الباقون، فاختاروا الأخير، ثم اقترعوا، فوقعت القرعة على نبي الله يونس عليه السلام، فلم يسمحوا له بأن يُلْقَى، فأعادوها ثانية، فوقعت عليه أيضًا، فشمَّر ليخلع ثيابه ويُلْقِي بنفسه، فأبوا عليه ذلك، ثم أعادوا القرعة ثالثةً فوقعت عليه أيضًا؛ لِمَا يريده الله به من الأمر العظيم، فألْقَوْه في البحر، فبعث الله عز وجل حوتًا عظيمًا فالتقمه، وأمره الله تعالى أن لا يأكل

---

(١) أي: أوشكوا.

له لحمًا، ولا يهشم له عظمًا، فأخذه الحوت، وطاف به البحار كلها، ولما استقرَّ يونس عليه السلام في بطن الحوت حَسِبَ أنه قد مات، فحرَّك جوارحه فتحرَّكت فإذا هو حي، فخرَّ لله ساجدًا، وقال: يا ربِّ، اتخذتُ لك مسجدًا لم يعبدك أحد في مثله، وسمع يونس عليه السلام تسبيحَ الحيتان للرحمن، وتسبيح الحصى لفالق الحب والنوى، فلما طالت المدة، وأحاطت به ظلمة الحوت، وظلمة البحر، وظلمة الليل، في تلك الحالة العصيبة قصد يونس عليه السلام مَن يعلم السر والنجوى، ويكشف الضر والبلوى، سامع الأصوات وإن ضعفت، وعالم الخفيات وإن دَقَّتْ، ومجيب الدعوات وإن عَظُمَتْ، فنادى ربه مُنِيبًا إليه: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فأمر الله تعالى الحوت أن يُلْقِيَه بالعراء، فقذفه وهو مريض من شدة ما أصابه من الهول والكرب في بطن الحوت، وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، فأظلَّته بظلّها الظليل حتى قوي واشتد وتعافى بعدما كان في غاية الضعف والوهن والمرض، وهذا من رحمة الله بعبده، ونعمته عليه وإحسانه إليه، ثم أمره الله سبحانه أن يرجع إلى قومه فيُعَلِّمَهم ويدعوهم إليه، فاستجاب له أهل بلده، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، فأفاض الله عليهم من الخيرات والبركات، فعاشوا آمنين في ظلِّ شريعة الله التي بُعِثَ بها يونس عليه السلام، ثم بعد زمن توفي يونس عليه السلام بنينوى في أرض العراق.

زكريا عليه السلام

هو نبي الله زكريا بن دان، من ذرية سليمان بن داود عليهما السلام، وهو من آخر أنبياء بني إسرائيل، حيث بعثه الله تعالى رسولًا إلى بني إســرائيل بعدما كثرت معاصيهم، وفَشَت المنكرات فيهم، وانتشر الظلم بينهم، وعمَّ الفساد فيهم، فدعاهم إلى الله تعالى حتى وهن عَظْمُه، واشــتعل رأســه شــيبًا، وكان عليه السلام متزوجًا بخالة مريم ابنة عمران البَتُول[1]، وقد كَفَل زكريا مريم وقــام بشــؤونها، وكانت امــرأة زكريا عاقــرًا لا تَلِــد، فدعا زكريا عليه السلام ربَّه، وطلب منه أن يرزقه بغلام زَكِي[2]، فبعث الله له الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب، وبشَّــرته الملائكة بيحيى الذي لم يجعل الله له من قبل سَمِيًّا[3]، وأنه سيكون من الأنبيــاء والصالحين، فطلــب زكريا عليه السلام من ربــه آية يقدِّمها لقومه، فجعل الله له آية في نفسه، فأمسك الله لسانه عن الكلام عندما يواجه الناس، بينما يطلقــه إذا كان وحده، وذلك لمدة

---

(١) أي: المنقطعة عن الرجال.

(٢) أي: طاهر من الشرك والمعاصي.

(٣) قيل: لم يُسَمَّ أحد قبله: يحيى.

ثلاثة أيام، فخرج زكريا عليه السلام على قومه من المحراب، وفوجئوا به يتعامَل معهم بالإشارة دون الكلام، حيث أشار لهم بيدَيه أن سَبِّحُوا الله بكرةً وأصيلًا، وبعد انقضاء هذه المدة أخبر زكريا عليه السلام قومه أن الله تعالى هو الذي أمسك لسانه، ثم أخبرهم أن الله تعالى جعل ذلك آية له؛ لأنه سيهبه بغلام اسمه يحيى، فأزال الله عُقْمَ امرأة زكريا بعد أن بلغت سن اليأس، وأنجبت يحيى عليه السلام، وقد كان زكريا عليه السلام نجَّارًا يعمل وينشر، وتوفي زكريا عليه السلام بعد أن أقرَّ الله عينه بنبوة ابنه من بعده.

يحيى عليه السلام

هو نبي الله يحيى بن زكريا عليهما السلام، السَّيِّد الحَصُور[1]، وُلِدَ قبل ميلاد عيسى عليه السلام بثلاثة أشهر، ونشأ في كَنَفِ والده النبي الكريم زكريا عليه السلام، ووهبه الله تعالى منذ صغره الحكمة والعلم حتى صار نبيًّا منذ صباه، فأخذ الكتب بقوة واجتهاد، وكان ذا رحمة ورأفة وطهارة وصفاء، وكان قائمًا بحقوق الله، وحقوق والدَيْه، وحقوق الخلق، وكان زاهدًا في متاع الدنيا، مُبتَعِدًا عن مَلَذَّاتها وزينتها، وكان كثير البكاء من خشية الله تبارك وتعالى، يدعو قومه إلى عبادة الله تعالى، ويأمرهم بالصلاة والصدقة والصيام والذِّكْر، واشترك هو وعيسى عليهما السلام في الدعوة إلى الله وتذكير بني إسرائيل، وعاش عمره كله داعيًا إلى الله تعالى حتى وافاه الأجل قبل رَفْع عيسى عليه السلام، وحَقَّق الله له السلام والأمان حتى يوم موته، حيث مات ميتة سَوِيَّة، لا كما زعم بعضهم أنه مات مقتولًا، وهذا هو ظاهر القرآن العظيم، والله تعالى أعلم.

---

(١) أي: لا شهوة له في النساء.



عيسى عليه السلام



هو نبي الله وكلمته المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، آخر أنبياء بني إسرائيل، حملت به أمه مريم البتول من غير أب بمعجزة إلٰهية، حيث أرسل الله تعالى لها جبريل عليه السلام وهي في خلوتها للعبادة بعيدة عن قومها، فجاءها في صورة رجل، وبَشَّرَها بأنه رسول من الله إليها لِيَهَبَ لها غلامًا زكيًا نبيًّا، فتعجَّبت من ذلك، وكيف لها أن تَلِدَ به وهي عذراء عفيفة، فأجابها جبريل عليه السلام بأن هذه إرادة الله تعالى وتقديره سبحانه، فنفخ فيها من رُوح الله عز وجل، فحملت بأمر الله بابنها المسيح عيسى عليه السلام، وأتمَّ الله خَلْقَه في رَحِمِها في غضون ساعات قليلة، وألجأها الطَّلْقُ إلى جِذْع النخلة، وأجرى الله لها آيات عظيمة، وتكلَّم ابنها في المهد، وعَرَّف بنفسه وبرسالته ودعوته، وسط دهشة قومه، فلما كبر عيسى عليه السلام بعثه الله رسولًا إلى قومه بني إسرائيل، وأنزل الله تعالى عليه كتابه الإنجيل، وأجرى الله على يدَيه آيات عظيمة تدل على نبوته عليه السلام، فكان يُصوِّر الطين فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، ويُبْرِئ الأكمه(١) والأبرص،

(١) الذي وُلِد أعمى.

ويُحْيِــي الموتى بــإذن الله، ويُنْبِئ قومه عن كثيــر مما يأكلون ويَدَّخِرون في بيوتهم، وكل ذلك بقدرة الله ومشــيئته، فآمن به بعضهم، وهم الحواريــون الذين نصروه واســتجابوا لدعوته، فكانوا أنصارَه، وكفر به أكثر بني إسرائيل، ووَشَوْا به إلى حاكم عصرهم، واتفقوا معه على قتله وصَلْبه، فألقى الله شَــبَهَهُ على أحد الحواريين من أصحابه، فصار كأنه عيســى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورفع الله عيســى إليه، وحماه، وطَهَّرَه من قَتْلهم، فأخذوا شبيهه فقتلوه، وصلبوه، وباؤوا بإثمه العظيم، وصدَّقهــم النصارى في ذلك، ونَزَّهَه الله عن ذلك في قولــه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]، وقد بَشَّر عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قومه برسالة محمد ﷺ، ونَوَّه باســمه، وذكر لهــم صفته ليعرفــوه ويتبعوه، وســينزل عيســى عَلَيْهِ السَّلَامُ في آخر الزمان عند الإقامة لصــلاة الصبح على المنارة البيضاء شــرقي دمشــق حاكمًا عادلًا واضعًا كفَّيْه على أجنحة ملكَين، إذا طأطأ رأسه قَطَرَ، وإذا رفعه تحدَّر منه جُمان اللؤلؤ، وســيقتل المســيح الدجال، ويكســر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلَّا الإســلام، ويبعث الله في أيامه أمة يأجوج ومأجــوج، فيُهلكهم الله تعالــى ببركة دعائه، وسيمكث المسيح عيســى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض بعد نزوله أربعين سنة ثم يموت موتًا طبيعيًّا، ويُصلي عليه المسلمون ويدفنونه[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٦).



محمد ﷺ



هو سيِّد وَلَدِ آدم، خاتم الأنبياء والمرسلين، أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام، وُلِد بمكة يوم الاثنين من شهر ربيع الأول لعام الفيل، وتوفي أبوه بعدما حملت به أمه آمنة، وعاش طفولته في بني سعد عند مُرْضِعَتِه حليمة السعدية، وحدثت له حادثة شق صدره الشريف، فخافت عليه حليمة وأعادته إلى أمه، وعاش في كنف أمه حتى بلغ السادسة، فتوفيت أمه بالأبواء بين مكة والمدينة بعد رجوعها من زيارة أخواله من بني النَّجَّار، ثم انتقلت كفالته إلى جده عبد المطلب الذي كان يُحِبُّه ويُقَرِّبه ويحنو عليه، فلما بلغ الثامنة من عمره توفي جده عبد المطلب، فتولى كفالَتَه عمه أبو طالب، فاهتمَّ به، وسافر معه في تجارته إلى أرض الشام، ثم في شبابه اشتغل برعاية الغنم لأهل مكة، واشتهر بصدقه وأمانته عليه الصلاة والسلام، واشترك مع أعمامه في حرب الفِجَار التي كانت بين قريش وهوازن، وحضر مع أعمامه أيضًا حلف الفضول في دار عبد الله بن

جُذْعان، وهو حلف يقوم على نُصْرة المظلوم حتى يُؤدَّى إليه حقه، ولما بلغ من عمره خمسة وعشرين سنة سافَر في تجارة للسيدة خديجة إلى بلاد الشام، ثم تزوَّجت به وكان عمرها أربعين سنة رضي الله عنها.

ولما اختلفت بطون قريش في مَن يضع الحجر الأسود بعد فراغهم من بناء الكعبة جعلوه حَكَمًا بينهم، وارتضوا فعله وحُكمه عليه الصلاة والسلام، وكان يتحنَّث ﷺ في غار حراء الليالي ذوات العدد، وأول ما بُدِئ به الوحي الرؤيا الصادقة في منامه، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فَلَق الصبح[1]، ولما بلغ ﷺ سن الأربعين نزل عليه جبريل بالوحي حيث كان يتعبَّد في غار حراء، وأقرأه الآيات الخمس الأولى من سورة العلق، وكانت هذه الحادثة في السابع عشر من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة، فآمنت به زوجته خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، ونصرته، وأيَّدته، وشَدَّتْ من أَزْرِه، ثم أسلم أبو بكر الصديق رضي الله عنه والبقية، واستمر النبي ﷺ في دعوته السرية ثلاث سنين حتى أَذِن الله له بالجهر بالدعوة، فقام وبلَّغ قومه، وازداد أتباعه مع مرور الأيام.

---

(١) أخرج البخاري (٣)، ومسلم (١٦٠)، من حديث عائشة رضي الله عنها: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلَّا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حُبِّب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله.

ثم اشتد أذى كفار قريش على رسول الله ﷺ ومَن معه، فأمرهم رسول الله ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ففيها الملك النجاشي الذي لا يُظْلَم عنده أحد[١]، فهاجر بعض المسلمين، وبَقِي في مكة بعضهم، فأسلم حمزة وعمر رضي الله عنهما، فأعِزَّ الله دينه بإسلامهما، فاشتد على قريش ذلك، وازداد حَنَقُهم، وكتبوا وثيقة عَلَّقوها في جوف الكعبة تَحُثُّ على مقاطعة بني هاشم وبني المطلب، فاستمرَّت المقاطعة ثلاث سنين.

ثم بعد هذه الحادثة توفي أبو طالب، وتوفيت بعده خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، فاشتد حزن النبي ﷺ لفقدها، ثم خرج رسول الله ﷺ إلى أهل الطائف، فدعا ثقيفًا إلى الإسلام، ولكنهم امتنعوا عن إجابته، وأمروا صبيانهم بِرَمْي الحجارة عليه ﷺ، فدَمِيَت قدماه الشريفتان، فرجع إلى مكة في جوار الـمُطْعِم بن عدي.

ثم أُسْرِي برسول الله ﷺ بروحه وجسده من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماوات العُلى، وفُرِضت عليه الصلوات الخمس، ثم عاد إلى بيته بمكة من ليلته.

وفي موسم الحج من السنة الثانية عشرة من البعثة حدثت

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٢٨٥.

بيعة العقبة الأولى، حيث بايَع جماعــة من الأوس والخزرج رسول الله ﷺ على الســمع والطاعة في الـمَنْشَــط والـمَكْرَه، وبعدها بعام حدثت بيعة العقبة الثانية التي كان من أهم بنودها نُصرة رسول الله ﷺ ، ومَنْعُه من المشركين لكي يُقيم دولته في المدينة.

وبعد ذلك بدأت الهجرة إلى المدينة، وكان آخر مَن هاجر رســول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديــق رضي الله عنه، فلما وصل رســول الله ﷺ إلى المدينة قــام بأعمال، من أهمها تأســيس مسجده، وبناء حجراته، والمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، ووضع ميثاق المدينة؛ لضمان حقوق جميع شرائح المجتمع المدني.

ثم أَذِن الله للمسلمين بقتال المشــركين، فخاضوا معركة بدر في الســنة الثانية مــن الهجرة، فكانــت أول معركة ضد المشركين، وانتصر فيها المســلمون انتصارًا كبيرًا، ثم أرادت قريش أن تثأر مــن هزيمتها، فخاضت معركة أُحد في الســنة الثالثة من الهجرة التي انتصر فيها المشركون في نهاية المطاف بعد أن استغلوا مخالفة رُمُاة المسلمين لأمر النبي ﷺ ، فطوَّقُوا المسلمين من الخلف، وألحقوا بهم الهزيمة.

ثم إن يهود بنــي النضير نقضوا عهدهم مع المســلمين في الســنة الرابعة من الهجرة، فأمــر رســول الله ﷺ بإجلائهم من

المدينة، وفي السَنة الخامسة من الهجرة قام حُيَيُّ بن أخطب اليهودي بتحريض قبائل العرب من غطفان وقريش على قتال المسلمين في المدينة، ووعدهم بنُصْرَتِهم إن فعلوا ذلك، فاجتمع الأحزاب لقتال المسلمين، فأشار سلمان الفارسي ﷺ على رسول الله ﷺ بحفر خندق حول المدينة، ففعل، فصد الخندقُ هجمات الأحزاب، ورَدَّ الله كيدهم، وكفى المسلمين شرهم.

ثم سار رسول الله ﷺ إلى بني قريظة بعد نَقْضِهم العهد، فقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حُكم سعد بن معاذ، وكانوا حلفاءه في الجاهلية، فحكم عليهم سعد بحكم الله أن تُقْتَل مقاتلتهم، وتُسْبَى ذراريهم ونساؤهم[1]، وذلك لخيانتهم ونقضهم العهد.

وفي السنة السادسة من الهجرة النبويَّة وقعت حادثة صلح الحديبية، فكان فتحًا للمسلمين، وكان من أهم بنود هذا الصلح وَضْع الحرب بين الطرفَين عشر سنين، ومَن أحبَّ أن يدخل عهد رسول الله ﷺ دخل فيه، ومن أحبَّ أن يدخل في عهد قريش دخل فيه، ثم فتح رسول الله ﷺ حصون خيبر.

ثم قامت قريش في السنة الثامنة من الهجرة بنقض صلح

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٠٤)، ومسلم (١٧٦٨).

الحديبية، فسار رسول الله ﷺ بجيشه إلى مكة فاتحًا، ودخلها دون قتال، مطاطئ الرأس تواضعًا لله على نصره، وأمر ﷺ أصحابه ألَّا يقتلوا أحدًا إلَّا من أراد قتالهم، فحَطَّم عليه الصلاة والسلام الأصنامَ، وعفا عن أهل مكة، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة بعد أن مكث في مكة خمسة عشر يومًا[1].

ثم في السنة التاسعة من الهجرة بعث رسول الله ﷺ أبا بكر الصديق رضي الله عنه إلى مكة، وجعله أميرًا على الحج، وأرسل في إثره عليًّا رضي الله عنه بأن لا يَحُجَّ بعد هذا العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عُريان[2].

ثم جاءت بعد ذلك الوفود من قبائل العرب إلى المدينة تُعْلِن إسلامها.

ثم في السنة العاشرة من البعثة حج رسول الله ﷺ حجة الوداع، ومعه أكثر من مائة ألف من المسلمين، وخطب فيهم خطبة الوداع، وأنزل الله عليه قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ثم في السنة الحادية عشرة من الهجرة مرض رسول الله ﷺ في أواخر شهر صفر، واشتد المرض عليه حتى

---

(١) يُنظر في فتح مكة: سيرة ابن هشام ٢/ ٣٨٩.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٩)، ومسلم (١٣٤٧).

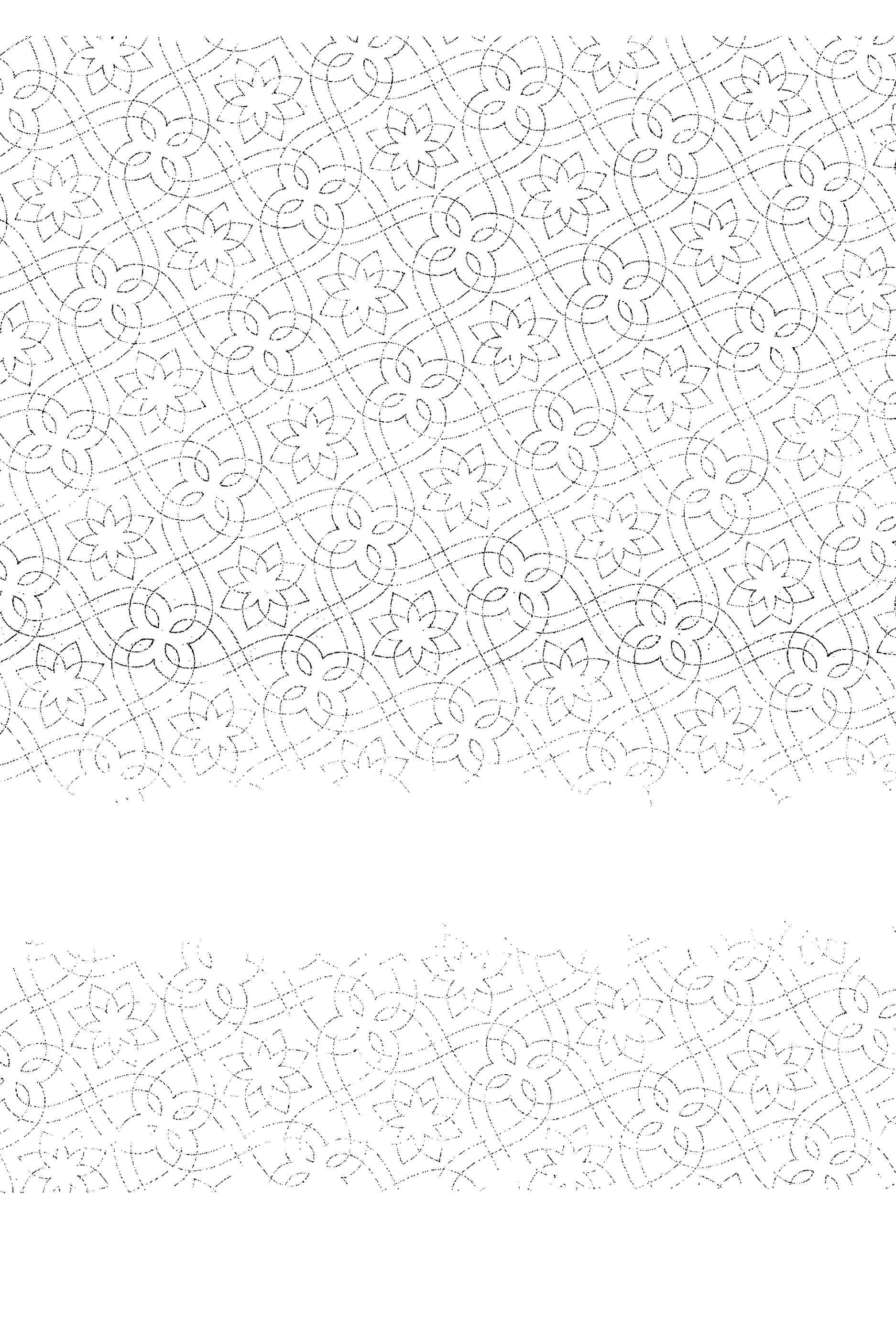
تعذَّر عليه الخروج إلى الصلاة، فأمر أبا بكر الصديق ﷺ أن يصلي بالنــاس[1]، ثم توفَّاه الله تعالى فــي ضحى يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول بعد أن بَلَّغ الرسالة وأدَّى الأمانة، ونصح للأُمة ﷺ.

---

(١) أخرجه البخاري (٦٦٤)، ومسلم (٤١٨).

أعلام

الملائكة





حَمَلةُ العرش



هم ملائكة عِظَام كِرَام، يحملون عرش الرحمن تبارك وتعالى، وممن يحمل زاوية من زوايا العرش على عاتقه الملك الكريم إسرافيل عليه السلام، وهو المُوكَّل بالنفخ في الصور، وعدد حملة العرش في الدنيا أربعة، ويوم القيامة ثمانية، وهم يُسبِّحون بحمد الله عز وجل، وقد أخبر النبي ﷺ عن عِظَم خَلْق أحدهم حين قال ﷺ: **«أُذِنَ لي أن أُحَدِّث عن مَلَك من ملائكة الله من حملة العرش؛ إن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»**[1]، وهذا يدل على عظمة خلقهم وضخامته.

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٢٧).



ميكال عَلَيْهِ السَّلَامُ



هو مَلَك من الملائكـة العظام، ومِن أشـرفهم وأعلاهم مكانةً، وهو مُـوكَّل بالقطر والنبـات[1] اللَّذَيْـن يخلق منهما الأرزاق في هذه الدار، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر الله تعالى، يصرفون الرياح والسـحاب كما يشـاء الـرب تبارك وتعالى، فما مِن قطرة تنزل من السماء إلَّا ومعها ملَك يُقَرِّرها في موضعها من الأرض، وقـد جاء ذكره في القـرآن مقترنًا بجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، حيث زعم اليهود أنهم يحبون ميكال؛ لأنه ينزل بالغيـث والخصب، فهو ملَـك الرأفة والرحمـة والتخفيف، ويكرهون جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه ينزل بالعنف والعذاب، فهو ملك الفظاظة والغلظة والتشـديد، فقالوا لرسـول الله ﷺ: لو كان سـوى جبريل وَلِيَّك لاتَّبعناك وصدَّقنـاك؛ لأنه عدو لنا، وهو إنما ينزل بالشدة وسـفك الدماء، فأنزل الله تعالى في شأنهم: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ

---

(١) أخرج أحمد (٢٤٨٣) أن اليهود قالـوا للنبي ﷺ: لو قلت: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة والنبات والقطر لكان.

وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨][1]، فدلَّت هاتان الآيتان على كذب اليهود في زَعْمِهم موالاةَ ميكال عليه السلام وعداوة جبريل عليه السلام، ووَصَفَهُم الله تعالى بالكفر بسبب هذا الزعم.

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٨٣).

جبريل عليه السلام

هو الروح الأمين، وأفضــل الملائكة المكرَّمين، وأقواهم وأكملهــم، وهو مخلوق مــن نــور، ومنزلتُه من ربِّــه منزلة الحاجب مــن الملك، وهو مُــوكَّل بالوحي من الســماء إلى الأرض، وبتدمير الأمم الظالمة، تطيعه أملاكُ السماوات فيما يأمرهم به عن الله تبارك وتعالى، فهو قويٌّ على تنفيذ ما يُؤمر به، غير عاجزٍ عنــه، ومن قوَّته عليه السلام أنه رفــعَ مدائن قوم لوطٍ على جناحِه، ثم قلَبَها عليهم(١).

خلقَه اللهُ خلقًا عظيمًا مميَّزًا، فله ســتُّمائة جَناحٍ(٢)، وكان النبيُّ ﷺ يراه في صورة دحية بن خليفــة الكلبي رضي الله عنه عندما يأتيه وهو بحضرة الصحابة الكرام رضي الله عنهم(٣)، وهو كريم شريف، بَهِيُّ المنظر، وقد رآه النبي محمد ﷺ على صورته التي خَلَقَهُ الله جل جلاله عليها مرتين، فرآه وقد سَدَّ الأُفُق لعِظَم خَلْقِه(٤)، حتى

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٣١٨٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٣) أخرجه البخاري (٣٦٣٤)، ومسلم (٢٤٥١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٢٣٥).

إنه قد غُشِـــي على رســـول الله ﷺ يوم رآه علـــى صورته أول مرَّة(١).

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣٨)، ومســـلم (١٦١)، لفظ البخاري: فبينا أنا أمشي، سمعت صوتًا من الســـماء، فرفعت بصري قِبَل السماء، فإذا المَلَك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه، حتى هويت إلى الأرض.

مالك عليه السلام

هو خازن النار، وأحد الملائكة العِظام، إذا زَجَرَ زجرة أكل النارُ بعضُها بعضًا، وقد ورد اسمه في موضع واحد في سورة الزخرف، وهو الذي يوقد النار، وقد جاء وَصْفُه في السُّنَّة بأنه رجل كريه المَرآة - أي: قبيح المنظر - كأكره ما أنت راءٍ، وعنده نار يَحُشُّها ويسعى حولها[1] - أي: يوقدها ويجمع الحطب إليها - وإنما كان مالك عليه السلام كريه المنظر؛ لأن في ذلك زيادةَ عذاب لأهل النار، وأهل النار سينادون مالكًا وهم فيها بعد أن يَيْئسوا من سؤال الخَزَنة، ومالك عليه السلام رئيس عليهم، وله مجلس في وسطها، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب، فهو يرى أقصاها كما يرى أدناها، فيقولون له: ﴿يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧] فليُمِتْنا لنستريح؛ فإننا في غمٍّ شديد، وعذاب غليظ، لا صبر لنا عليه ولا جَلَد، فيقول لهم مالك خازن النار - ويجيبهم بعد أربعين سنة من طلبهم[2] -: ﴿إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] مقيمون فيها، لا تخرجون منها أبدًا، فلم

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٧).

(٢) أخرجه الطبري عن ابن جريج وقتادة ١٧/ ١١٨ و١٢٤.

يحصل لهم ما قصدوه، بل أجابهـــم بنقيض قَصْدِهم، وزادهم غمًّا إلى غَمِّهم، ثم وَبَّخَهم بما فعلوا، فقال: ﴿ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ ﴾ [الزخرف: ٧٨] الذي يوجب عليكم أن تتبعوه، فلو تبعتموه لفُزْتُم وســـعدتم، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخـــرف: ٧٨]، فلذلك شَقِيتم شقاوةً لا سعادة بعدها.

ملَك الموت

هو كبير ملائكة الموت الذي وكله الله بقبض أرواح العباد، وله أعـوان يعملون بأمره، ويُعينونه علـى قبض الأرواح، فإذا نزل الموت بالكافر نزع ملك الموت روحه نزعًا شديدًا عنيفًا، بلا رِفْق ولا هوادة، وقـد وصف الله نزعهـم لروحه في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعـام: ٩٣]، وإذا نزل الموت بالمؤمن قبض ملك الموت روحه قبضًا رفيقًا، وبشرته الملائكة وثَبَّتَتْه عند احتضاره ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ۞ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۞ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].



هاروت وماروت



هما ملَكان، أحدهما اسمه هاروت، والثاني اسمه ماروت، أهبطهما الله تبارك وتعالى في مدينة بابل، وهي مدينة معروفة في العراق، كانت عاصمة الحضارة البابلية القديمة، وكان السحر منتشرًا فيها على أيدي اليهود الذي سباهم الملك البابلي «نبوخذ نصر» إليها، بعدما دمَّر مملكتهم في فلسطين، فأفزعوا الناس وأرهبوهم بهذا السحر، ورسموا حول السحر هالة عظيمة، وأوهموهم أن الساحر يقدِر على الضرِّ والنفع، وأنه يملك كل شيء، فأخضعوا الآخرين لهم، واسترهبوهم واستغفلوهم، فكانت مهمة هذين الملكَين هاروت وماروت في بابل متعلقةً بالسحر والسحرة، وإزالة ما عَلِق في نفوس الناس من هلع بسببه، فكانَا يعلِّمان الناس في بابل السحرَ، ويكشفان لهم حقيقته، ويُقَدِّمان لهم المبادئ والأُسس التي يقوم عليها، ويُزيلان الهالة المرسومة حوله، وكأنهما يقولان لهم: إن السحر يمكن أن يتعلَّمه الإنسان، وإنه ليس ألغازًا وطلاسم، بل هو مثْلُ أَي علم من العلوم، يحصل بالتعليم والكسب، وإن الساحر لا يضرُّ شخصًا ولا ينفع آخر إلَّا بإذن

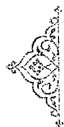
الله، فكانا يُعلِّمان السحر لكشف حقيقته وتحذير الناس منه، لا ليتعلَّموه ويمارسوه ويعملوا به، ولهذا كانا لا يُعلِّمان من أحد حتى يقولَا: إنما نحن فتنة فلا تكفر بتعلُّمك السحر، فمن لم يقبل نُصْحَهُما تعلَّم منهما السحر، ومن السحر نوعٌ يفرِّق بين الرجل وزوجته، بزرع البغضاء بينهما، وما يضر أولئك السحرةُ أيَّ أحد إلَّا بإذن الله وبعد مشيئته، وبهذا انتهت مهمة الملكَين ببابل هاروت وماروت، وصعدا إلى السماء ملكَيْن كريمَيْن كما نزلَا منها ملكَيْن كريمَيْن.

أعلام

الكتب



صحف إبراهيم عليه السلام



هي الصحف التي أنزلها الله على نبيه الخليل إبراهيم عليه السلام في أول ليلة من شـــهر رمضان، حيث كان غالب ما جاء فيها مواعظ وحِكمًا وعِبَرًا، وقد ذكرها الله تعالى في القرآن العظيم في عدة مواضع، منها الـمُجْمَل، ومنها الـمُبيَّن؛ فأما المواضع الـمُجْمَلة ففي قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وفي قولـــه: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمـــران: ٨٤]، وأمـــا المواضع الصريحة ففي ســـورة النجم: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ ۝ وَأَعۡطَىٰ قَلِيلٗا وَأَكۡدَىٰٓ ۝ أَعِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلۡغَيۡبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ۝ أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۝ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ۝ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ۝ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۝ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ۝ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ﴾ [النجم: ٣٣ ـ ٤١] إلى آخر الســـورة، وفي سورة الأعلى:

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ۝ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٤ ـ ١٩].





التوراة



هي كتاب الله الذي أنزله على كليمه موسى ﷺ عندما ناجاه على جبل الطور في السادس من شهر رمضان، وذلك بعدما أخرج الله بني إسرائيل من مصر، وأنجاهم من فرعون وجنوده، حيث أمر الله تعالى ملائكته أن يكتبوا التوراة على ألواح، ثم واعَد الله موسى أن يأتي إلى جبل الطور، فغادَر موسى ﷺ بني إسرائيل، واستخلف عليهم أخاه هارون ﷺ؛ لأنه سيغيب عنهم أربعين يومًا، وبعد انقضاء الأيام الأربعين كلَّم الله موسى على جبل الطور، وأنزل عليه التوراة مكتوبةً على الألواح، وأمره أن يأخذها إلى قومه؛ ليلتزموا بها، ويُنَفِّذوا ما فيها.

فطبَّق موسى ﷺ ما كان فيها من أحكام وشرائع، واهتدى بها قومه، وأثنى الله على التوراة في كتابه، ووصفها بأنها نور وهدى وضياء ورحمة، وفرقان وحق؛ لأنها كتابه وشرعه وكلامه وحُكمه، وكلَّف الله اليهود أحبارًا وشعبًا بالعمل بكتابه التوراة، والمحافظة عليها، وأوجب عليهم حفظها، وعدم تضييعها أو التفريط فيها، ولكن بعد وفاة موسى ﷺ بزمن

حرَّف أحبار اليهود التوراة وطَمَسوا نورها، وملؤوها بالأباطيل والأكاذيب، وزعموا أنها من عنـد الله تعالى، فضَيَّعُوا الأمانة، وحرَّفوا الكتاب بعدما كتبوه بأيديهـم، وأدخلوا فيه كلامهم، وزعموا أن هذا الكتاب الجديـد المختلط الممزوج بكلامهم هو كله كلام الله، وأسْمَوْا هذا الخليط «العهد القديم»، وزعموا أنه هو «الكتـاب المقدَّس» الذي أنزله الله على موســى عليه السلام وغيره من أنبيائهم! فلذلك شـبَّههم الله تعالــى بالحمار الذي يحمل على ظهره أسـفار الكتب، حيث قال في كتابه: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥]، والقرآن ناسخ للتوراة، ولغيرها من الكتب السابقة، فقد أخبرنا الله فــي آيات القرآن عن تحريـف اليهود للتوراة، وذَمَّهُم ووَبَّخَهُم، وأوقــع بهم غَضَبَهُ ولعنتــه، وأعلن كُفْرَهم وخلودهم في نار جهنم، وهذا ما يجب أن يؤمن به المســلم؛ تصديقًا لما ذكره الله سبحانه وتعالى في مُحْكَم تنزيله.



الزبور



هو كتاب الله الذي أنزله على نبيه داود عليه السلام في شهر رمضان، ومعنى الزبور: المكتوب، ولم يأتِ هذا الكتاب على شاكلة الكتب السماوية الأخرى التي كانت من قبله أو من بعده فيما تحتويه من تشريعات وأحكام، وبيان للحلال والحرام، والواجب والمباح، وإنما جاء كتابًا فيه من المواعظ والحِكَم ما يُستعان بها على صلاح الحال، حيث يحتوي الزبور على مائة وخمسين سورة ليس فيها حلال ولا حرام، ولا فرائض ولا حدود، إنما هو تحميد وتمجيد لله تعالى، وحِكَم ومواعظ، وكان داود عليه السلام قد رُزِق حُسْن الصوت، فإذا أخذ في تلاوة الزبور كفَّت الطيرُ عن الطيران، ووقفت على الأغصان لتستمع لصوته الندي، وتُسَبِّح بتسبيحه، وتُرَجِّع بترجيعه، والجبال كذلك تُردِّد معه بالعشي والإبكار، تجيبُه وتُسَبِّح الله معه كلما سبَّح بكرة وعشيًّا، والجنّ والإنس والدواب كانت تعكف على صوته الجميل.

الإنجيل

هو كتاب الله الذي أنزله على المسيح عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجاء مكمِّلًا للتوراة، ومُصدِّقًا لها، وموافِقًا لها في كثير من الشرائع، ومنها البشارة بالرسول الخاتم محمد ﷺ، وأحلَّ الله فيه لبني إسـرائيل بعضَ ما حرَّمه عليهم عقابًا لهم، ووصف الله تعالى الإنجيل بأنه هدى ونور، وبعد رَفْع عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ دخل التحريف الإنجيلَ، فغُيِّر فيه وبُدِّل، وزِيد فيه ونُقِص، فحرَّفه الرهبان، ومزجوا كلام الله بكلامهم، واشتروا به ثمنًا قليلًا، وأزالوا هداه، وطمسوا نوره، وضَلُّوا بتحريفهم له وأضلُّوا، وقد نسخه الله تعالى كما نسخ التوراة من قبله بالقرآن العظيم؛ كتابِ الهداية والنور الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، وقد تكفَّل الله بحفظه إلى قيام الساعة.



القرآن



هو كلام الله تعالى الـمُعْجِز، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبَّد بتلاوته، المبدوء بسورة الحمد، المختوم بسورة الناس، الذي ختم الله به الكتب، المنَزَّل على قلب سيدنا محمد ﷺ في ليلة القدر من شهر رمضان، وهو كتاب الإسلام، فيه عقائده وعباداته، وحِكَمه وأحكامه، وآدابه وأخلاقه، وقصصه ومواعظه، وعلومه وأخباره، وهدايته ودلالته، أنقذ الله به الأمة من جاهلية جهلاء، وضلالة عمياء، فهو الرحمة الـمُسْدَاة[1]، والنور المبين، والـمَحَجَّة[2] البيضاء التي لا يزيغ عنها إلّا هالِكٌ، فيه نبأ الأوَّلين، وخبر الآخرين، هو الفصل ليس بالهزل، مَن تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضلَّه الله، فهو حبل الله المتين، والذِّكر الحكيم، والصراط المستقيم، الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلَق على كثرة

---

(١) أي: التي أحسن الله إلينا بها.

(٢) المحجة: الطريق الواضحة.

الرَّدِّ(١)، ولا تنقضي عجائبه، من قــال به صدق، ومن عمل به أُجِر، ومــن حكم به عدل، ومــن دعا إليه هُــدِي إلى صراط مســتقيم(٢)، فهو عصمة لمن تمسَّــك به، ونجــاة لمن تبعه، لا يعوج فيُقوَّم، ولا يزيغ فيُسْتَعْتَب(٣)، من قرأ حرفًا منه فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها(٤)، وسيرفع الله تعالى القرآن في آخر الزمان من الصدور والسطور(٥).

---

(١) أي: لا يزول رونقه ولذة قراءته وســماعه مهما كثر تكراره على ألســنة التالين وأذان السامعين.

(٢) أخرج الترمذي (٢٩٠٦) عــن النبي ﷺ: «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم...»

(٣) يُسْتَعْتَب: أي: يُرَدُّ إلى الصواب.

(٤) أخرج الترمذي (٢٩١٠): من قرأ حرفًا من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (الم) حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف.

(٥) أخرج الدارمي في سننه (٣٣٤٣) عن ابن مسعود قال: ليُسْرَيَنَّ على القرآن ذات ليلة ولا يُتْرَك آية في مصحف ولا في قلب أحد إلَّا رُفِعت.

أعلام

الصالحين



زيد بن حارثة رضي الله عنه



هو الصحابي الجليل زيد بن حارثة بن شراحيل الكعبي، وُلِدَ في سـنة ثلاث وثلاثين قبل الهجرة، فلما بلغ زيد الثامنة من عمره خرجت به أمه سـعدى بنت ثعلبة لزيارة قومها بني (معن)، وبينمـا كانت في طريقها بالقرب مـن قومها أغارت عليهم خيل لبني (القيـن)، فأخذوا المال، واسـتاقوا الإبل، وسَـبُوا الذراري، فظلَّت أمـه بفقده لا تَجِفُّ لهـا دمعة، ولا تنتهي لها عَبْرَة، ولا تهدأ لها لوعة، ولا يطمئن لها بال.

ثم إن زيدًا عُرِض للبيع في سـوق عكاظ، وكانت سوقًا تقيمها العرب فـي مكة في الأشـهر الحُرُم للبيع والشـراء، وتتناشَد الأشعار فيه، فاشـتراه حكيم بن حزام بن خُوَيْلد ابنُ أخي خديجة بنت خويلـد رضي الله عنها، وكان حكيم بن حزام واحدًا من سـادات قريـش، فوهبـه لعمَّته خديجـة، ولمـا نالت خديجة رضي الله عنها شرف الزواج برسول الله ﷺ وهبته زيدًا، ولم يكن الرسول ﷺ قد بُعِث آنذاك.

سَعِدَ زيدٌ بالإقامة مع رسـول الله ﷺ، وأحبَّه حُبًّا شديدًا، وأَحَبَّه رسول الله ﷺ حبًّا شـديدًا كذلك، فعلم أبوه حارثة بن

شراحيل بوجوده في مكة، فسافر إلى مكة، وأخذ معه أموالًا ليفتدي بها زيدًا، وصَحِبَ معه أخاه كعبًا، ولكن رسول الله ﷺ لم يأخذ مالًا ولا غيره، وقال لهما: «هل لكما فيما هو خير من الفداء؟»، قالَا: ما هو؟ قال: «نُخَيِّره، فإن اختاركم فهو لكم بغير مال، وإن اختارني فما أنا والله بالذي يرغب عمن يختاره»، فقالا: أنصفت وبالغت في الإنصاف، فاختار زيدٌ رسولَ الله ﷺ، فتعجَّب منه أبوه وعمه، وقال أبوه: ويحك يا زيد، أتختار العبوديةَ على أبيك وأمك؟! فقال: إني رأيت من هذا الرجل شيئًا، وما أنا بالذي يفارقه أبدًا. فلما قال ذلك أخذه الرسول ﷺ بيده، وخرج إلى البيت الحرام، ووقف به بالحِجْر، وقال على ملأ من قريش: «يا معشر قريش، اشهدوا أن هذا ابني، يرثني وأرثه»، فطابت عندئذٍ نفسُ أبيه وعمه، وتركاه عند رسول الله ﷺ، وعادَا مطمئِنَّيِ النفس مرتاحَيِ البال.

وظلَّ زيد رضي الله عنه يُعرَف بعد ذلك بزيد بن محمد، حتى جاء الإسلام وحرَّم التبنِّي، ونزل قول الله تعالى: ﴿ ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ ﴾ [الأحزاب: ٥]، فأصبح يُدعى زيد بن حارثة.

ولما بُعِث رسول الله ﷺ كان زيد من السابقين إلى الإسلام، وصار قائدًا لبعض بعوثه وسراياه، وكان ممن يخلُف الرسول ﷺ على المدينة في بعض الغزوات.

وفي السنة الثامنة من الهجرة النبويَّة خرج زيد بن حارثة رضي الله عنه قائدًا للجيش الإسلامي إلى مؤتة، يقود جيشًا قوامه ثلاثة آلاف مقاتل، وما إن وصل الجيش إلى معان حتى هبَّ هرقل ملك الروم على رأس مائة ألف مقاتل، وانضم إليه مائة ألف مقاتل من مشركي العرب، فثبت جيش المسلمين، وقاتَل قتالًا شديدًا، حتى قُتِل قائدهم زيد بن حارثة رضي الله عنه، فتولى قيادة الجيش بعده جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه فقُتِل، ثم تولى قيادة الجيش عبد الله بن رواحة رضي الله عنه فقُتِل، فاختار المسلمون خالد بن الوليد رضي الله عنه الذي انحاز بالجيش وأنقذه من الفناء[1]، وحزن رسول الله ﷺ لموت زيد رضي الله عنه ورفاقه حزنًا شديدًا، وبكى لفقد حِبِّه زيد بكاءً شديدًا.

---

(١) أخرجه البخاري (١٢٤٦).

لقمان

هو عبدٌ صالح آتاه الله الحكمة واشتهر بهـا، ولازَمَهُ لقـب (الحكيم)، وذكره الله تعالـى في كتابـه، وأطلـق اســمـه على إحـدى سُوَرِه، وقـد عاصَر لقمـان نبـي الله داود عليه السلام، واشتهـر بالمواعـظ والحِكَم، وعـاش فـي بـلاد النوبة؛ السـودان.

وتعتبر وصاياه لابنه من أشــهر الوصايــا القرآنية، حيث جمعت أمهات الحِكَم، ومبادئ الإيمان، وخصائص العقيدة، وأصول الأخلاق والفضائل، وقدَّم لقمان نموذجًا عمليًّا للآباء في تعاملهم مع أبنائهم، ونُصْحهم لهم، وذلك حين وعظ ابنه بهذه المواعظ، فأمر ابنه بأصل الدين وأساســه وهو التوحيد، ونهاه عن الشرك، وبيَّن له الموجِب لتركه، وأمره ببرِّ الوالدَين، وبيَّن له السبب الموجِب لبرِّهما، وأمره بشكر الله وشكرهما، ثم احتــرز بأنَّ محــلَّ برِّهما وامتثــال أوامرهما ما لــم يأمرَا بمعصية، ومــع ذلك فلا يَعُقَّهمــا، بل يُحْسِــن إليهما، وأمره بمراقبة الله تعالى، وخوَّفه بالقدوم عليه يــوم القيامة، فإن الله لا يغادر صغيرة ولا كبيرة من الخير والشر إلَّا أتى بها، ونهاه

عن التكبُّر، وأمره بالتواضع، ونهاه عن البَطَر[١] والأشر[٢] والمرح[٣]، وأمره بالسكون في الحركات والأصوات، ونهاه عن ضد ذلك، وأمره بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة وبالصبر اللَّذَيْن يسهُل بهما كلُّ أمر، فجمع في هذه المواعظ أصول الشريعة، وهي: الاعتقادات، والأعمال، وأدب المعاملة، وأدب النفس، فحقيق بمن أوصى بهذه الوصايا أن يكون مخصوصًا بالحكمة، مشهورًا موصوفًا بها، وأُثِر عن لقمان حِكَم أخرى كثيرة، منها:

قوله لابنه: «أيْ بني، إن الدنيا بحر عميق، وقد غرق فيها أناس كثير، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله تعالى، وحَشْوها الإيمان، وشراعها التوكُّل على الله تعالى، لعلك أن تنجو، ولا أراك ناجيًا»، وقوله: «مَن كان له من نفسه واعظ كان له من الله ﷻ حافظ، ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله تعالى بذلك عزًّا، والذل في طاعة الله تعالى أقرب من التعزُّز بالمعصية»، وقوله: «ضَرْبُ الوالد لولده كالسماد للزرع»، وقوله: «يا بني، إياك والدَّين؛ فإنه ذُلُّ النهار وَهَمُّ الليل»، وقوله: «يا بُنَيَّ، ارجُ الله ﷻ رجاءً لا يُجرِّئك على معصيته

---

(١) البَطَر: الطغيان عند النعمة وطول الغنى.

(٢) الأَشَر: أشد درجات البَطَر والطغيان.

(٣) المَرَح: الكِبْر والفخر والخُيَلاء.

تعالى، وخَفِ الله سبحانه خوفًا لا يُؤْيِســك من رحمته تعالى شأنه»، وقوله: «مَن كَذب ذهب ماء وجهه، ومَن ساء خلُقُه كثُر غمُّه، ونَقْل الصخور من مواضعها أيسر من إفهام مَن لا يفهم»، وقوله: «يا بُنَي حَملْتُ الجندل والحديد وكلَّ شيء ثقيل، فلم أحمل شيئًا هو أثقل من جار الســوء، وذُقْت الـمُرار فلم أذُقْ شــيئًا هو أَمَرُّ من الفقر، يا بني، لا تُرسِلْ رسولك جاهلًا، فإن لم تجد حكيمًا فكن رسولَ نفسك، يا بُنَي، إياك والكذب، فإنه شَــهِيٌّ كلحم العصفور عما قليل يغلي صاحبه، يا بني، احضر الجنائز، ولا تحضــر العرس؛ فــإن الجنائز تُذَكِّــرك الآخرة، والعرس يُشَــهِّيك الدنيا، يا بني، لا تأكل شِبَعًا على شِبَع؛ فإن إلقاءك إياه للكلب خيــر من أن تأكله، يا بنــي، لا تكُن حُلوًا فتُبلَعَ، ولا تكن مُرًّا فتُلْفَظ»، وقوله لابنه: «لا يأكل طعامك إلَّا الأتقياء، وشاوِرْ في أمرك العلماء»، وقوله: «لا خير لك في أن تتعلمَ ما لم تَعْلَم ولَمَّا تعملْ بما قد علمتَ؛ فإن مثل ذلك مثل رجل احتطب حطبًا، فحمل حُزْمَة وذهب يحملها فعجَز عنها، فضم إليها أخرى»، وقوله: «يا بني، إذا أردت أن تؤاخي رجلًا فأَغْضِبْــه قبل ذلك، فإن أنصفــك عند غضبــه وإلا فاحذَرْه»، وقوله: «لتكن كلمتك طيبة، وليكن وجهك بسطًا؛ تكن أحبَّ إلى الناس ممن يعطيهم العطاء»، وقوله: «يا بني، أنْزِل نفسك من صاحبك منزلةَ مَن لا حاجة له بك ولا بدَّ لك منه، يا بنيَّ، كن كمن لا يبتغي مَحْمَدَة الناس، ولا يكسب ذَمَّهم، فنفسه منه

في عناء، والناس منه في راحة»، وقوله: «يا بني، جالِس العلماء وزاحِمْهم بركبتَيك؛ فإن الله يحيي القلوب بنور العلم كما يحيي الأرض الميتة بوابل السماء»، وقوله لما سُئِل: ما بلغ بك ما نرى؟ أي: من الفضل، فقال: «صِدْقُ الحديث، وأداء الأمانة، وتَرْك ما لا يعْنيني»، وقوله: «يا بُني، ليكنْ أول ما تُفِيد من الدنيا بعد خليل صالح امرأةً صالحة»، وقوله: «يا بني، إن الناس قد تطاوَل عليهم ما يُوعَدون، وهم إلى الآخرة سراعًا يذهبون، وإنك قد استدبرتَ الدنيا منذ كنتَ، واستقبلتَ الآخرة، وإن دارًا تسير إليها أقرب إليك من دارٍ تخرج عنها»، وقوله: «ليس غنًى كصحة، ولا نعمة كطِيب نفْس»، وقوله: «يا بُنَيَّ، لا تجالِس الفُجَّار ولا تُماشِهم، اتَّقِ أن ينزل عليهم عذاب من السماء فيصيبَك معهم»، وقوله: «يا بني، جالِس العلماء ومَاشِهِم، عسى أن تنزل عليهم رحمة فتصيبك معهم»، وقوله لرجل ينظر إليه: «إن كنتَ تراني غليظَ الشفتين فإنه يخرج من بينهما كلام رقيق، وإن كنتَ تراني أسود فقلبي أبيض»، وقوله: «إذا امتلأت المَعِدة نامت الفِكْرة، وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة»، وقوله: «يا بني، إنما مَثَل المرأة الصالحة كمثَل الدهن في الرأس؛ يُليِّن العروق، ويُحَسِّن الشَّعر، ومَثَلها كمثل التاج على رأس الملك، ومثلها كمثَل اللؤلؤ والجوهر لا يدري أحد ما قيمته، ومثَل المرأة السوء كمثل السَّيْل لا ينتهي حتى يبلغ منتهاه؛ إذا تكلمتْ

أسمعتْ، وإذا مشت أسرعت، وإذا قعدت رفعت، وإذا غضبت أسمعت، وكل داء يبرأ إلَّا داء امرأة السـوء»، وقوله: «يا بني، لأن تُساكِن الأُسْد والأَسْـوَد خير من أن تساكنها: تبكي وهي الظالمـة، وتحكم وهي الجائرة، وتنطق وهـي الجاهلة، وهي أفعى بلدغها»، وقوله: «يا بني، سَافِرْ بسيفك وخُفِّك وعمامتك وخبائك وسِقائك وخيوطك ومخرزك، وتَزوَّد معك من الأدوية ما تنتفع به أنت ومَـن معك، وكن لأصحابـك موافقًا إلَّا في معصية الله ﷻ»، وقوله: «يا بني، إذا سـافرتَ مـع قوم فأَكْثِر استشـارتهم في أمرك وأمورهم، وأكْثِر التبسُّـم في وجوههم، وكن كريمًا على زادك بينهم، فإذا دَعَوْك فأجِبْهم، وإذا استعانوا بك فأعِنْهم، واسـتعمِل طول الصمت وكثرة الصلاة، وسَخاء النفس بما معك من دابَّة أو ماء أو زاد، وإذا استشـهدوك على الحق فاشهَد لهم، واجهد رأيك لهم إذا استشاروك، ثم لا تعزم حتى تَثَبَّتَ وتنظر، ولا تُجِب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مسـتعمِلٌ فكرتـك وحِكمتك في مشورته، فإنَّ مَن لم يمحض[1] النصيحة مَن استشارَه سَلَبَهُ الله رأيه، وإذا رأيت أصحابك يمشـون فامشِ معهـم، فإذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم، واسـمع لمن هو أكبر منك سـنًّا، وإذا تحيَّرتم فـي الطريق فانزلوا، وإذا شـككتم فـي القصد فقِفُوا

(١) أي: يُخلِص ويَصْدُق في النصيحة.

وتآمَرُوا[1]، وإذا رأيتم شــخصًا واحدًا فلا تسألوه عن طريقكم، ولا تسترشدوه؛ فإن الشــخص الواحد في الفلاة مُريب، لعله يكون عين اللصــوص، أو يكون هو الشــيطان الذي حيَّركم، واحذروا الشــخصَين أيضًا، إلَّا أن تروا ما لا أرى؛ لأن العاقِل إذا أبصر بعينه شــيئًا عرف الحقَّ منه، والشاهد يرى ما لا يرى الغائب»، وقولــه: «يا بني، إذا جاء وقت الصــلاة فلا تُؤَخِّرْها لشيء، صَلِّها واســتَرِحْ منها؛ فإنها دَيْن، وصَلِّ في جماعة ولو علــى رأس زُجٍّ، وإذا أردتم النزول فعليكــم من بقاع الأرض بأحســنها لونًا، وألينها تربة، وأكثرها عُشــبًا، وإذا نزلتَ فصلِّ ركعتيــن قبــل أن تجلــس، وإذا أردت قضاء حاجتــك فأبْعِد المذهــب فــي الأرض، وإذا ارتحلت فصلِّ ركعتيــن ثم وَدِّع الأرض التي حَلَلْتَ بها، وسلِّمْ على أهلها؛ فإن لكل بقعة أهلًا من الملائكة، وإن اســتطعت أن لا تأكل طعامًــا حتى تبتدئ فتتصدق منــه فافعل، وعليك بقــراءة كتــاب الله ـ لعله يعني الزبور ـ ما دمت راكبًا، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملًا عملًا، وعليك بالدعاء ما دمت خاليًا، وإياك والسيرَ في أول الليل إلى آخره، وإياك ورفع الصوت في مسيرك»، فهذه من حِكَم لقمان ووصاياه، وهي حِكَم جليلة، ووصايا عظيمة.

---

(١) أي: تشاوروا فيما بينكم.

عُزَيْر

هو عبدٌ صالح، وحَبرٌ كبير من أحبار اليهود الذين كانوا في الأَسْر البابلي، واسمه في العبرانية (عِزْرا) بن (سرايا)، من سِبْط اللاويين[1]، كان حافظًا للتوراة، وقد تفضَّل عليه (كورش) ملك فارس فأطلقه من الأَسْر، وأطلق معه بني إسرائيل الذين كانوا أسرى في بابل، وأَذِن لهم بالرجوع إلى بلادهم، وذلك في سنة ٤٥١ قبل ميلاد المسيح عليه السلام، وقد مَرَّ عُزَيْر على بيت المقدس بعد أن خرَّبها بخت نصر وقتل أهلها وهي خاوية على عروشها ليس فيها أحد، فوقف مُتَفَكِّرًا فيما آل إليه أمرُها بعد العمارة العظيمة، وقال: ﴿أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعۡدَ مَوۡتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وذلك لِمَا رأى من دثورها[2]، وشدة خرابها، وبُعدها عن العَوْد إلى ما كانت عليه، ﴿فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٖ ثُمَّ بَعَثَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وقد عمرت البلدة وتكامل ساكنوها، ورجع بنو إسرائيل إليها، فلما بعثه الله عز وجل بعد موته كان أول

---

(١) السِّبْط واحد الأسباط، وهم في أولاد إسحاق بن إبراهيم عليهما السلام بمنزلة القبائل في أولاد إسماعيل عليه السلام.

(٢) أي: انمحاء أثرها.

شـــيء أحيا الله فيه عينيه؛ لينظر بهما إلى صنع الله فيه؛ كيف يُحْيِي بدنه، فلما استقلَّ سويًّا قال الله له، أي: بواسطة الـمَلَك: ﴿كَمْ لَبِثْتَ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، قال عُزَيْر: ﴿لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]، وذلك لأنه رأى الشـــمس باقيةً، فظنَّ أنها شمس ذلك اليوم، فقال: ﴿أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]؛ قال الله: ﴿بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]، وذلك لأنه كان معه فيما ذُكر عنب وتين وعصير، فوجده كما فقده، لم يتغيَّر منه شيء، لا العصير استحال، ولا التيـــن حمـــض، ولا أَنْتَـــنَ، ولا العنب تعفَّـــن، ﴿وَانظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ﴾ [البقــرة: ٢٥٩] كيـــف يُحْيِيـــه الله ﷻ وأنـــت تنظـــر، ﴿وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٥٩] ودليلًا على المعاد، ﴿وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا﴾ [البقــرة: ٢٥٩] برفعها، فنُرَكِّب بعضها على بعض، ونُرَكِّب كلَّ عظم في موضعه حتى صار حمارًا قائمًا من عظام لا لحم عليها، ثم كساها الله لحمًا وعصبًا وعروقًا وجلدًا، وذلك كله بمرأى من عُزَيْر، فعند ذلك لما تَبَيَّنَ له هذا كلـــه ﴿قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقــرة: ٢٥٩]، ثم دخل عُزَيْر القرية، وســـأل أهلها: هل تعرفون عُزَيْرًا؟ قالوا: نعم نعرفه، وقد مات منذ مائة سنة. فقال لهم: أنا عُزَيْر. فأنكروا عليه ذلك، ثم جاءوا بعجوز معمَّرة، وســـألوها عن أوصافـــه، فوصفته لهم، فتأكَّدوا أنه عُزَيْـــر، فأخذ يُعلِّمهم التوراة ويُجَدِّدها لهم، فبدأ الناس يُقْبِلون عليه وعلى هذا الدين

من جديد، وأحبوه حبًّا شديدًا وقدَّســوه وعظَّموه، وغَلَوْا فيه حتى وصل بهم الحال إلى أن قالوا عنه أنه ابن الله كما قالت النصارى في المســيح عليه السلام أنه ابن الله، تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا، وكان زمــن عُزَيْر فيما بين داود وســليمان عليهما السلام وبين زكريا ويحيى عليهما السلام.





ذو القرنين



هو ملكٌ من ملــوك الأرض، وعبد صالح مســلم، طاف الأرض يدعو إلى الإســلام ويقاتــل عليه من خالَفه، فنشــر الإســلام، وقمع الكفر وأهله، وأعان المظلوم، وأقام العدل، وكانت له رحلات مكلَّلــة بالانتصارات، وقــد أعطاه الله من الأسباب ما يســتعين بها على قهر البلدان، وسهولة الوصول إلى أقاصي العمــران، وعمل بهــذه الأســباب، واجتهد في اســتثمارها وتطويرهــا، وهــي أســباب قوية كثيــرة داخلية وخارجية، بها صار له جند عظيم ذو عَــدَد وعُدَد ونظام، وبه تمكَّن من قهر الأعداء، ومن تســهيل الوصول إلى مشــارق الأرض ومغاربها، فكان قائدًا ظافرًا، وحاكمًا عادلًا، وسلطانًا قويًّا، وعبدًا شكورًا، نشر العدالة في ربوع الأرض، وبلَّغ دعوة الحق، وصحَّح المفاهيم، وأقام موازين القســط، ونشر القِيَم الأصيلة، ودعا إلى الأخلاق الفاضلة، فرضي الله عنه ورحمه، وقــد اختلف العلماء فــي تحديد شــخصية ذي القرنين على أقوال، أشهرها:

الأول: أنه ملك صالح كان في زمن إبراهيم عليه السلام.

الثاني: أنه الإسكندر المقدوني، وهذا قول باطل، فقد كان هذا الإسكندر كافرًا مشركًا بالله، من عبدة آلهة اليونان، وكان مسـرفًا في الفواحش، ومعاقـرًا للخمور، فكيـف يكون هذا الإكسندر هو ذو القرنين الذي وصفه القرآن بأنه مؤمن صالح عادل!

الثالث: أنه ملك عربي من ملوك حِمْيَر، واسـمه الصعب ذو مراثد بن الحارث بن الرائش.

الرابع: أنه الملك الفارسي (كورش) الذي وحَّد مملكتَيْ (لِيذْيا) و(مِيذْيا)، وجمع بينهما، وحكم ثلاثين سـنة، ما بين ٥٢٩ إلى ٥٥٩ قبل الميلاد، وهو الأقرب.

واختلفوا في سبب تسميته بذي القرنين على أقوال، منها:

ـ أنه بلغ المشرق والمغرب؛ فكأنه حاز قرنَيِ الدنيا.

ـ أنه كان له ضفيرتان من شـعر هما قرناه؛ فسُمِّي بذلك، وهو الأقرب.

ـ أنه ملك الروم وفارس.

ـ أنه كان له تاجٌ ذو قرنين.

وذُكِرَتْ رحلاته الثلاث في سورة الكهف، حيث سار هذا الملك الصالح في رحلته الأولى بجيشه إلى مغرب الشمس،

فوجدها في مرأى العين كأنها تغرب في عين حارة ذات طين أسود، ووجد عندها قومًا، فقيل له: يا ذا القرنين إما أن تُعَذِّبهم بالقتل أو غيره إن لم يُقِرُّوا بتوحيد الله، وإما أن تُحْسِن إليهم فتُعَلِّمهم الهدى وتُبَصِّرهم الرشاد. فقال ذو القرنين: أما مَن ظلم نفسه منهم فكفر بربه فسوف نُعَذِّبه في الدنيا، ثم يرجع إلى ربه فيعذبه عذابًا عظيمًا في نار جهنم، وأما مَن آمن منهم بربه فصدَّق به ووَحَّدَه وعمل بطاعته فله الجنة ثوابًا من الله، وسنُحْسِن إليه، ونُلِين له في القول، ونُيَسِّر له المعاملة.

ثم سار ذو القرنين في رحلته الثانية إلى مطلع الشمس فوجدها تطلع على قوم ليس لهم بناء يسترهم، ولا شجر يُظِلُّهم من الشمس.

ثم سار في رحلته الثالثة والأخيرة في طريق ثالث معترض بين المشرق والمغرب حتى بلغ ما بين الجبلَين الحاجزَين لما وراءهما، فوجد من دونهما قومًا لا يكادون يعرفون كلام غيرهم.

فقالوا: يا ذا القرنين، إنَّ يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض بإهلاك الحرث والنسل، فهل نجعل لك أجرًا، ونجمع لك مالًا على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزًا يَحُول بيننا وبينهم؟

فقال لهم ذو القرنين: ما أعطانيه ربي من الملك والتمكين خير لي من مالكم، فأعينوني بقوة منكم أجعل بينكم وبينهم سدًّا، أعطوني قِطَع الحديد، فلما جاؤوا به ووضعوه وحاذَوْا به جانِبَيِ الجبلَين قال للعمال: أَجِّجُوا النار، حتى إذا صار الحديد كله نارًا قال ذو القرنين: أعطوني نحاسًا أُفرغه عليه، فلما أفرغه ما استطاعت يأجوج ومأجوج أن تصعد فوق السد؛ لارتفاعه وملاسته، ولا قدروا على نقبه من أسفله؛ لبُعْد عرضه وقوته، وحينها قال ذو القرنين: هذا الذي بنيته حاجزًا عن فساد يأجوج ومأجوج رحمةٌ من ربي بالناس، فإذا شارَف يوم القيامة أن يأتي خرج يأجوج ومأجوج، وجعلوا هذا السد منهدمًا مستويًا بالأرض، وكان وَعْدُ ربي حقًّا، وقد وصف القرآن العظيم سدَّ ذي القرنين العظيم بأوصاف ثلاث:

الأول: أنه سدٌّ أُقِيم بين جبلَين متقابلَين.

الثاني: أن تكوينه من الحديد الـمُطَعَّم بالنحاس الـمُذاب.

الثالث: أن الغاية من إقامته حماية مَن دونه من هجمات يأجوج ومأجوج.

ولعل أقرب الأقوال في موقع السد الذي بناه ذو القرنين هو السد المقام على مضيق داريال في جبال القوقاز؛ فإن سلسلة جبال القوقاز تمتد من بحر قزوين شرقًا إلى البحر الأسود غربًا بطول ألف ومائتي كيلومتر، ولا يوجد ممرٌّ بين

السلسلة الشاهقة سوى ممر ضيق يسمى مضيق (داريال)، ولا يزيد عرض هذا المضيق عن مائة متر تقريبًا، وفي هذا المضيق حاجز حديدي تنطبق عليه جميع أوصاف سـد ذي القرنين، وهو يقع الآن في جمهورية جورجيا، والله تعالى أعلم.

مؤمـن آل فرعـون

هو رجل قبطيٌّ من آل فرعون، ومن السابقين إلى الإيمان بموســى عليه السلام، وكان يكتُم إيمانه، وهو الذي جاء من أقصى المدينة يسعى مُحَذِّرًا موســى عليه السلام من مؤامرة قتله، ونصح له أن يخرج من مصر في الحال، ففعل، فلما عاد موسى عليه السلام إلى مصر، وعــرض فرعــون على أهــل مجلســه قَتْــلَ نبي الله موســى عليه السلام خاف هذا المؤمن على موسى عليه السلام، فتلطَّف في الرد على فرعون بــكلام جمع فيه بيــن الترغيب والترهيب، فقال على وجه المشــورة والــرأي والنُّصح لقومه: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾ [غافر: ٢٨]، فمثل هذا لا يقابَل بهذا، بل يقابَل بالإكــرام والاحترام والموادعة، وتَــرْك الانتقام، ﴿وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [غافر: ٢٨]، فــإن وادعتموه كنتم في ســلامة، فإن كان كاذبًا لم يضرّكم كذبه، ﴿وَإِن يَكُ صَادِقٗا﴾ [غافــر: ٢٨] وقــد تعرَّضتم لــه ﴿يُصِبۡكُم بَعۡضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمۡ﴾ [غافر: ٢٨]، فكيف بكم إن حَلَّ جميعه عليكم، ثم أخذ يحذِّرهم ويقول لهــم: ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأۡسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا﴾ [غافر: ٢٩]، فما تعرض قومٌ لرسول

من الرسل الكرام عليهم السلام إلَّا سُلِبُوا ملكهم، وذلُّوا بعد عزَّة، لكنَّ فرعون أصرَّ على كفره وعنـــاده فأجابه: ﴿مَآ أُرِيكُمۡ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهۡدِيكُمۡ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ﴾ [غافر: ٢٩]، فالقول قولي، والهداية هدايتي. وقد كـــذب، فلما وقع الهلاك والغــرق على فرعون وجنــوده نجَّى الله تعالــى هذا المؤمـــن القبطـــي حين نجَّى موسى عليه السلام وبني إسرائيل.

طالـوت

هو ملك من ملوك بني إســرائيل، كان من عامة الشعب، وليس من بيت الـمُلك، فلما تسلَّط الأعداء على بني إسرائيل وقهروهم وأذلوهم، وأخرجوهم من ديارهم، أرادوا أن يُغَيِّروا ما هم في من ذلَّة وهزيمة وصَغار، فأظهروا لنبيٍّ لهم رغبتَهم في الجهاد في سبيل الله، وأن الذي ينقصهم هو الـمَلِك الذي يقودهم في المعــارك، وطلبوا من نبيهم أن يختــار لهم مَلِكًا لهذه الغاية، فأخبرهم نبيهم بأن الله قد بعث لهم طالوت ملكًا، فاعترضوا عليه قائلين: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ﴾ [البقــرة: ٢٤٧]، وقد كان طالوت فلاحًا من بيت فقير، فبيَّن لهم نبيهم أن الله تعالى هو الذي اختاره لهم واصطفاه عليهم، وأنه زاده بســطةً في العلم والجسم، فهو أكثر منهم علمًا، وأقوى منهم جسمًا، وذكر لهم نبيهم أن ﴿ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢٤٨]، فلما أتتهم الملائكة بالتابوت أقرُّوا له بالـمُلْك على كُرْهٍ منهم، فســار طالوت بجيشه لقتال جالوت

ومَن معه، ومرَّ في طريقه بنهر، فنهى جنوده عن الشـرب منه حتى الارتواء، وأذِن لكل واحد منهم أن يغترف منه غرفة بيده، فخالَف أكثرهم نَهْيَه وشربوا منه، إلَّا قليلٌ منهم، ولم يَبْقَ معه بعد هذه الحادثة إلَّا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا مجاهدًا، فلما رأى مَن معه جيشَ طالوت وما جمع لهم من الجند والعتاد صاحوا قائلين: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فأجابهم أهلُ الإيمان والثبات: ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤٩]، فحاربوا جموع الكافرين بقيادة جالوت، وسألوا النصر قائلين: ﴿رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٠]، فتمكَّن داود عليه السلام، وكان جنديًّا في جيش طالوت من قَتْل جالوت قائدهم، وكان جالوت ملك العمالقة وسيِّدُهم طويلًا مُسَلَّحًا مدرَّعًا لا يستطيع أن يبارزه أحد من بني إسرائيل، فكان إذا خرج للصف عرض عليهم مبارزته وعَيَّرَهم بجُبْنهم.

وبِقَتْل داود عليه السلام له انكسرت شوكة العمالقة وانهزموا، ونصر الله هذه الفئة المؤمنة، ومكَّن الله تعالى لبني إسرائيل في الأرض إلى حين بعد تشريدهم وإخراجهم من ديارهم وأبنائهم، وأصبح داود عليه السلام فيما بعد ملكًا ونبيًّا عليهم.

تُبَّـع

تُبَّع اليماني، هو أحد أعظم ملوك اليمن الحِمْيَرِيِّين، وقد سـار في البلاد حتى وصل إلى سمرقند، واشتد ملكه، وعَظُم سلطانه وجيشه، واتَّسعت مملكته وبلاده، وكثرت رعاياه، وهو الذي مَصَّرَ الحيـرة[1]، ومَرَّ بالمدينة النبويَّـة، وذلك في أيام الجاهلية، فأراد قتال أهلها فمانَعوه وقاتَلـوه بالنهار، وجعلوا يُقْرُونه[2] بالليل، فاستحيا منهم، وكفَّ عنهم، واستصحب معه حَبْرَيْن من أحبار اليهود كانَا قد نصحاه وأخبراه أنه لا سبيل له على هذه البلدة؛ فإنها مُهاجَرُ نبيٍّ يكون في آخر الزمان، فرجع عنها، وأخذهما معه إلى بلاد اليمن، فلما اجتاز بمكة أراد هَدْمَ الكعبة فنَهَيَاه عن ذلك أيضًا، وأخبراه بعظمة هذا البيت، وأنه من بناية إبراهيم الخليل عليه السلام، وأنه سيكون له شأن عظيم على يدي ذلك النبي المبعوث في آخر الزمان، فعظَّمها وطاف بها، ونحـر عندهـا سـتة آلاف بدنـة، ثـم كسـاها الـمُـلَاء[3]

(١) أي: جعلها مدينة ولها حدود معروفة.

(٢) أي: يُضيفونه ويُحسنون إليه.

(٣) المُلاء: مفردها مُلاءة، وهي ثياب كالملحفة.

والوصائل[١] والحَبِير[٢]، ثم كَـرَّ راجعًا إلى اليمن، ودعا أهلها إلى التهوُّد معه، وكان إذ ذاك دين موسى عليه السلام، فتهوَّد معه عامة أهل اليمن، وتوفي تُبَّع قبل مبعث رسول الله ﷺ بنحو سبعمائة عام، وقد كان تُبَّع مشركًا ثم أسلم، وكان يعبد الله على شريعة موسى عليه السلام، وقد توقَّف نبينا ﷺ في شأنه في بادئ الأمر؛ هل كان تُبَّعٌ رجلًا صالحًا أم لا؟[٣] ثم بعد ذلك نزل عليه الوحي بأنه كان رجلًا صالحًا، فنهانا عن سَـبِّه فقال ﷺ: «**لَا تَسُـبُّوا تُبَّعًا؛ فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ**»[٤].

---

(١) الوصائل: ثياب حمراء مخططة تأتي من اليمن.

(٢) الحَبِير: الثياب الناعمة المخططة، وهي من أفضل الثياب.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٦٧٤)، والحاكم (١٠٤)، لفظ الحاكم: «ما أدري تُبَّع أنبيًّا كان أم لا».

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٨٨٠).

أصحاب الكهف

هم فتيةٌ سبعة صالحون كانوا على دين عيسى عليه السلام فرُّوا بدينهم، واعتزلوا قومهم الوثنيين، وخرجوا من المدينة إلى الجبال، وقَرَّروا أن يأووا إلى كهف في جبلٍ بابُه نحو الشمال، وطلبوا من الله أن ينشر عليهم في الكهف من رحمته، واستجاب الله لهم، فكانت رحمة الله عليهم في الكهف، حيث يَسَّرَ الله لهم الأمر، وسَخَّر لهم الآيات، فأمر الشمس أن لا تَمَسَّ أجسادهم حتى لا تؤذيها، فكانت عند الصباح تميل عن أجسادهم، فلا تقع عليها، وكانت عند الغروب تميل عنها كذلك، فلا تأتيها، وكانوا في فجوة وسط الكهف، ومن آيات الله أن عيونهم كانت مفتوحة، فكان الناظر إليهم يحسبهم أيقاظًا ينظرون إليه، مع أنهم نِيامٌ راقدون، وحتى لا تأكل الأرض أجسادهم كان الله تعالى يُقلِّبهم مرة على اليمين، ومرة على الشمال، وكان معهم كلبهم الذي صَحِبَهُم، حيث جلس على عتبة باب الكهف، وبسط ذراعَيه، ونام مثل نومهم، وحتى لا يعتدي أحد عليهم وهم رقود قذف الله تعالى في قلب كلِّ مَن ينظر إليهم الرعب، بحيث لو اطلَّع عليهم لولَّى

منهم فِرارًا، ولَمُلِئَ منهم رعبًا، وناموا نومتهم الطويلة، حيث بقوا على هذه الهيئة ثلاثمائة وتسع سنوات، وبعد هذه المدة بعثهم الله من نومهم، فصاروا يتساءلون عن مدة نومهم، واختلفوا في تقديرها، فقال بعضهم: نِمْتُم يومًا أو بعض يوم! لكنهم لم يخوضوا في تقدير المدة؛ لعدم علمهم بها، ففوَّضوا العلم بها إلى الله تعالى، وقالوا: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]، ثم كَلَّفُوا أحدهم بالذهاب إلى المدينة، وناوَلوه ما معهم من نقود، وكَلَّفُوه أن يشتري لهم طعامًا ليأكلوه، وطلبوا منه أن يختار الطعام الطيب الحلال، كما طلبوا منه أن يكون حَذِرًا يَقِظًا منتبهًا، حتى لا يفطن أحد إليه، ولا يشعر أحدٌ به؛ لأنهم كانوا يَخْشَوْن قومهم، فإذا علموا بهم وعرفوا مكانهم فسوف يقتلونهم، أو يفتنونهم بأن يَرُدُّوهم عن دينهم، ويُعِيدُوهم إلى الشرك، فذهب هذا الرجل إلى المدينة ليشتري الطعام، وحرص على الحذر والانتباه والتخفِّي، لكن الله أراد أمرًا آخر، فقد أراد أن يجعل منهم آية عليه، ودليلًا على قدرته على البعث، فكشف أمرهم، وأَعْثَرَ عليهم قومَهم، وكان القوم مؤمنين بالله؛ إذ زال ذلك الجيل الكافر الذي هرب الفتيةُ منه إلى كهفهم، ونشأ جيل مؤمن بالله، فلما رأى أهلُ القرية المؤمنون ذلك الرجل المؤمن لحقوا به إلى الكهف، فلما وصلوا الكهف وجدوا الرجال المؤمنين السبعة قد ماتوا موتًا

حقيقيًّا هذه المرة، فاختلفوا فيهم، وتنازَعوا بينهم أمرهم؛ ماذا يفعلون بهم؟ فمنهم من قال: ابنوا عليهـم بنيانًا، ربهم أعلم بهم.

ولكن الحاكميـن فيهم قـرَّروا أن يبنوا عليهم مسـجدًا للعبـادة، تكريمًا لهم وتذكيـرًا بمكانهم، وهكـذا كان، وفي قصتهم مَظْهَـرٌ من مظاهر قـدرة الله، وإرادتـه النافذة، وقوته الغالبة القاهرة، وحكمته ورحمته وتدبيره سبحانه، وفيها دليل أيضًا على أن مَن فَرَّ بدينه من الفتن سَـلَّمَه الله منها، وأن مَن حرص على العافيـة عافـاه الله، ومن أوى إلـى الله آواه الله، وجعلـه هداية لغيـره، ومَن تَحَمَّـل الذل في سـبيله وابتغاءَ مرضاتـه، كان آخـر أمـره وعاقبته العـز العظيـم من حيث لا يحتسب.





أصحاب الأعراف

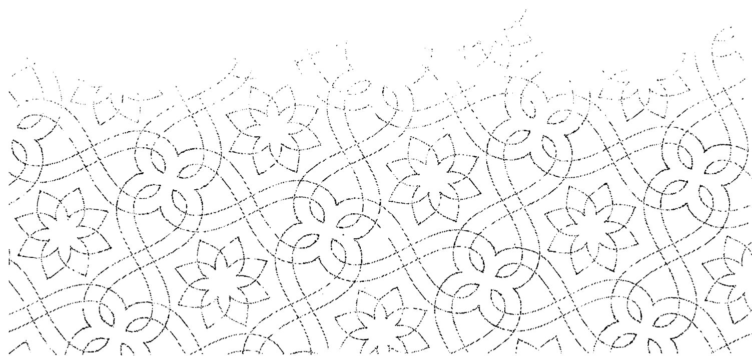


هم قوم على مكانٍ بين الجنة والنار يسمَّى «الأعراف»، وهو سور عالٍ يَطَّلِع منه أصحابه على أهل الجنة وعلى أهل النَّار، وهم قوم تساوَتْ حسناتهم وسيئاتهم، فمنعتهم حسناتهم المساوية من دخول النار، وسيئاتهم المساوية من دخول الجنة، فهؤلاء هم أصحاب الأعراف، لم يفضل لأحدهم حسنة يستحق بها الرحمة من ربه، ولم يفضل عليه سيئة يستحق بها العذاب، فإذا أشرفوا على أهل الجنة نادَوْهم بالسلام، وطمعوا في الدخول إليها، وإذا أشرفوا على أهل النار سألوا الله ألَّا يجعلهم معهم، ثم نظروا إلى الجنة فرأوا من الضعفاء الذين كان الكفار يسترذلونهم ويحتقرنهم في الدنيا، ويزعمون أن الله لا يختصهم دونهم بفضله كما لم يختصهم دونهم في الدنيا، فيقول لهم أهل الأعراف: ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ ﴾ [الأعراف: ٤٩] أيها المشركون أن الله تعالى لا ينالهم برحمة؟ فها هم في الجنة يتمتعون ويتنعمون، وفي رياضها يُحْبَرُون[1]، ثم يقال لأهل الأعراف: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ﴾ [الأعراف: ٤٩].

---

(١) أي: يُسَرُّون.

أعلام
المجرمين



إبليس

هو أول كافر بالله تعالى، أبو الشياطين، وقائدهم إلى نار جهنم، وخطيبهم فيها، خلقه الله من نار قبل آدم عليه السلام، وكان مع الملائكة يُجالسهم ويتعبَّد معهم، وليس من جنسهم، فأقام بينهم إقامة ارتياض[1]، وتخلُّق، وسُخِّر لاتِّباع سُنَّتهم، فجرى على ذلك السَّنَن أمدًا طويلًا لا يعلمه إلَّا الله، ثم ظهر ما في نوعه من الخبث، فأمره الله بالسجود لآدم عليه السلام مع الملائكة، فأبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦]، فظهرت حينئذٍ عداوته لله ولآدم، وكفره واستكباره، فحكم الله تعالى عليه باللعن والرجم والطرد من رحمته وجنته، ثم طلب إبليس من الله تعالى أن يُبْقِيَه حيًّا إلى يوم البعث، فأخبره الله تعالى أنه سيبقى حيًّا إلى يوم الوقت المعلوم، وهو الوقت الذي قدَّره الله لإنهاء حياته، وأقسم إبليس بإغواء آدم عليه السلام وذريته، فوسوس لآدم عليه السلام وحواء بعد إدخالهما الجنة، وحملهما على الأكل من الشجرة،

---

(١) أي: ترويض وتذليل لتستقيم أخلاقه مثل أخلاق الملائكة.

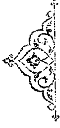
فأهبطه الله معهما إلــى الأرض، وهو من أطــول المخلوقين عُمرًا؛ فقد كان موجودًا قبل أن يخلق الله آدم عليه السلام، وســيبقى حيًّا حتى قرب قيام الساعة، وســمَّاه الله إبليسًا؛ إعلامًا له بأنه قد أَبْلَسَ[1] من رحمة الله، ووصفه الله بأنه شــيطان؛ لأنه ابتعد عن رحمته، وأَبْعَدَ في معصيته.



(١) أي: يئس.



النمرود



هو النمرود بن كنعان ملك بابل، وأحد أعظم ملوك الدنيا؛ حيث ملك شرقها وغربها، وكان قد طغى وبغى، وتجبَّر وعتا، دعاه إبراهيم عليه السلام إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فحمله الجهل والضلال وطول الآمال على إنكار الخالق عز وجل، وألقى إبراهيم الخليل عليه السلام في النار، فأنجاه الله منها، وجعلها عليه بردًا وسلامًا، فحاجَّه إبراهيم الخليل في صدق دعوته، فادَّعى النمرود لنفسه الربوبية، فلما قال الخليل عليه السلام: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، قال النمرود: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فكان يُؤتى إليه برجلَين يستحقان القتل، فيعفو عن الأول ويقول: أحييتُه، ويقتل الآخر ويقول: أَمَتُّهُ[1]، فيزعم أن هذا معنى إحيائه وإماتته، وهذه مكابرة منه وتلبيس على الناس، فليس هذا هو المقصود، فانتقل معه إبراهيم عليه السلام إلى حُجَّة أوضح للناس وأَبْيَن لهم، فقال له عليه السلام: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، فبُهِتَ[2]

---

(١) أخرجه الطبري ٤/ ٥٧١ عن قتادة قال: وَذُكِرَ لنا أنه دعا برَجُلَينِ.

(٢) بهت، أي: حَارَ ولم يَدْرِ ما يقول.

حينئــذٍ، واتَّضح للناس بطــلان كَيْده، وأنــه ضعيف مخلوق مربوب، لا يستطيع أن يأتي بالشــمس من المغرب بدلًا من المشرق، فبَانَ ضلاله ومكابرته، وصحة ما قاله إبراهيم عليه السلام.

ولما أصرَّ علــى كفره وعناده أهلكــه الله بأحقر مخلوقاته جزاءً وِفاقًــا؛ حيث دخلت بعوضــة في مِنْخَــره فمكثت فيه أربعمائة سنة، فكان لا ينام حتى يُضْرَب رأسُه بالمرازِب[1] في هذه المدة كلهــا حتى هلك بعــد أن ذاق من عــذاب الدنيا ما ذاق، فويلٌ له، ثم ويلٌ له من عذاب الآخرة.



(١) المَــرازِب: جمع مِرْزَبَة، وهــي: العصا من الحديد، ويقــال لها: الإرْزَبّة بالهمز والتشديد.



آزر



هو أبو إبراهيم الخليل عليه السلام، كان كافرًا بالله، يَتَّخذ الأصنام آلهة من دون الله، ولما بعث الله إبراهيم عليه السلام نبيًّا أنكر ذلك على أبيه، ودعاه إلى الإيمان بالله، وقام بواجبه تجاهه، ورفض آزرُ دعوة ابنه، ولم يُجِبْه، وهدَّدَه بالرجم، فوعد إبراهيم عليه السلام أباه آزر أن يستغفر له ربَّه؛ طمعًا في إيمانه، فلما رأى الخليل عليه السلام إصرارَه على الكفر تبرَّأ منه، وبَقِي آزر كافرًا مشركًا حتى مات، وأخبرنا رسول الله ﷺ عما سيكون بين الابن والأب يوم القيامة، فقد روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «**يلقى إبراهيمُ أباه آزر يوم القيامة، وعلى وجه آزر قَتْرةٌ وغَبْرة، فيقول له إبراهيم: ألم أقل لك: لا تعصِني؟ فيقول له أبوه: اليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب، إنك وعدتني أنْ لا تُخزني يوم يُبْعَثون، وأيُّ خِزْيٍ أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله: إني حرَّمت الجنة على الكافرين، فيقال: يا إبراهيم، انظر ما بين رجلَيْك، فينظر، فإذا هو بذيخٍ[1] متلطِّخ، فيؤخذ بقوائمه فيُلقى في النار**»، الحديث،

(١) الذِّيخ: الذَّكَر من الضباع الكثير الشعر.

فالله ﷻ سيمســـخُ آزر يوم القيامـــة إلى ضبعٍ مُنْتــنٍ، متلطِّخ بأوساخه، فيؤخذ بقوائمه، ويُلْقَى في جهنم على هذه الصورة، ولا يُلقى في النار على صورته البشـــرية كباقي الكفار، إكرامًا لإبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ.





أصحاب الأيكة



هم جماعةٌ كانوا يسكنون في بساتين كثيرة وأشجار، فنُسِبوا إليها، والأيكة: هي الغَيْضة من الأشجار الملتفَّة بعضها ببعض، وأصحاب الأيكة قيل: إنهم أصحاب مَدْيَن، وقيل: إنهم فريق من قوم شُعَيْب عليه السلام غير أهل مَدْيَن، فأهل مَدْيَن هم سكان الحاضرة، وأصحاب الأيكة هم سكان البادية، وكان شُعيب عليه السلام رسولًا إليهم جميعًا، وكان أصحاب الأيكة قومًا من العرب، يسكنون في الحجاز مما يلي جهة الشام، قريبًا من خليج العقبة من الجهة الشمالية منه، فدعاهم نبي الله شعيب عليه السلام إلى التوحيد، وتَرْك ظلم الناس، ولكن أصحاب الأيكة استمروا على ظُلْمهم في حق الخالق، وفي حق الخلق، وكذَّبوا نبيهم عليه السلام، فانتقم الله منهم فأُهْلِكوا بعذاب يوم الظُّلَّة، وقد كانوا قريبًا من قوم لوط، بعدهم في الزمان، ومُسامِتِين[١] لهم في المكان.

---

(١) أي: مقابلين ومواجهين لهم.

أصحاب الرَّسِّ

هم قــوم كانوا يعبــدون شــجرة صَنَوْبر يقال لها: (شــاه درخت)، كان يافث بن نوح غرســها بعد الطوفان على حافة عين يقال لها: (روشن آب)، وكان لهم اثنتا عشرة قرية معمورة على شــاطئ نهر يقال له: «الرَّسّ»، وقد غرســوا في كل قرية منها من طَلْع تلك الصنوبرة حبــةً أَجْرَوْا عليها نهرًا من العين التي عنــد الصنوبــرة، وحرَّموا شُــرْب مائها على أنفســهم وأنعامهم، ومَن شــرب منه قتلوه، ويقولون: إنه حياة الآلهة، فلا ينبغي لأحد أن ينقص حياتها، وقد جعلوا في كل شهر من الســنة يومًا يحتفلون به فــي كل قرية، وجعلوه عيــدًا لهم، فيخرجون فيه إلى الصنوبرة التي كانت خارج القرية، ويُقَرِّبون إليها القرابين، ويذبحــون لها الذبائح، ثــم يحرقونها بالنار، ويســجدون للشــجرة عند ارتفاع دخان النار وســطوعه في السماء، ويبكون ويتضرَّعون، وكان هذا دأبهم في القرى.

حتى إذا كان يوم عيد قريتهم العظمى التي كان يســكنها ملكهم، واسمها (أســفندار)، اجتمع إليها أهل القرى جميعًا، وعَيَّدُوا اثنَيْ عشــر يومًا، وجــاءوا بأكثر ما يســتطيعونه من

القرابين والعبادات للشجرة، ولما طال منهم الكفر بالله وعبادة الأشجار بعث الله تعالى إليهم رسولًا من بني إسرائيل من ولد يهودا، فدعاهم إلى عبادة الله وتَرْك الشرك، فلم يؤمنوا به، بل كذَّبوه، فدعا على الشجرة فيبست، فلما رأوا ذلك ساءهم هذا، فقال بعضهم: إن هذا الرجل ســحر آلهتنــا، وقال آخرون: إن آلهتنا غضبت علينــا بذلك لما رأت هذا الرجــل يدعونا إلى الكفر بها فتركناه وشأنه من غير أن نغضب لآلهتنا، فاجتمعت آراؤهم على قتله، فحفروا بئــرًا عميقًا وألقوه فيها، وسَــدُّوا فُوَّهَتَها، فلم يزالوا عليها يســمعون أنينه حتى مات، فأتبعهم الله ﷻ بعذابٍ شديدٍ أهلكهم عن آخرهم.

أصحاب القرية

هم أهل مدينة أنطاكية، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله تعالى إليهم ثلاثة من الرسل، وهم: صادق، وصدوق، وشلوم، فقالوا لأهل تلك القرية: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ [يس: ١٤] من ربكم الذي خلقكم، نأمركم بعبادته وحده لا شريك له، فقال أهل القرية: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا﴾ [يس: ١٥] فكيف أُوحِي إليكم وأنتم بشر ونحن بشر، فلم لم يُوحَ إلينا مثلكم؟ ولو كنتم رسلًا لكنتم ملائكة، ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس: ١٥]، فقال لهم رسلهم: الله يعلم أنَّا رسله إليكم، ولو كنا كَذَبَةً عليه لانتقم منا أشد الانتقام، ولكنه سيُعِزُّنا وينصرنا عليكم، وإنما علينا أن نبلِّغكم ما أرسلنا به إليكم، فإن أجبتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تُجيبوا فستعلمون مَغَبَّة فعلتكم، فعند ذلك قال لهم أهل القرية: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس: ١٨]، فقالت لهم رسلهم: ﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾ [يسٓ: ٩] مردود عليكم، أَمِنْ أجل أنَّا ذَكَّرْنَاكم وأمرناكم بتوحيد

الله وإخلاص العبادة لــه قابلتمونا بهذا الــكلام، وتَوَعَّدْتُمونا وتَهَدَّدْتُمونا؟ بل أنتم قوم مُسْرِفُون(١).

فهَمَّ أهل القرية بقَتْل رســلهم، فجاءهــم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه يقال له: حبيب النجار، وكان رجلًا سقيمًا قد أسرع فيه الجذام، وكان كثير الصدقة، يتصدَّق بنصف كَسْــبِه، مســتقيم النظرة، فأخذ يَحُضُّ قومه على اتباع الرســل، فقال لهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا﴾ [يس: ٢٠، ٢١] على إبلاغ الرسالة ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يــس: ٢٠]، ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [يس: ٢٢] يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم، ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]، فإن هذه الآلهة التي تعبدونها من دون الله لا يملكون من الأمر شــيئًا، فإن اتخذتموها آلهة من دون الله ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [يــس: ٢٤]، ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: ٢٥] فاشهدوا لي بذلك أيها الرسل عند الله ﷻ.

فلما قال ذلك لهم وثب عليه أهل القرية وثبةَ رجل واحد فقتلوه، ولم يكن له أحد يمنعه منهم، فلما قتلوه رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجبت له الجنة، وتمنَّى على الله أن يعلم قومه ما عايَنَ من كرامة الله

---

(١) أي: مجاوزون للحدِّ في الطغيان.

له، ثم انتقم الله تعالى من قومه بعد قَتْلِهم إيَّاه غضبًا منه تعالى عليهم؛ لأنهم كَذَّبوا رسله الثلاثة، وقتلوا وَلِيَّه، فما كانت ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٩] قــد تقطَّعت بها قلوبهم في أجوافهم، وانزعجــوا لتلك الصيحة الواحــدة، فأصبحوا خامدين، لا صوت ولا حركة، ولا حياة بعد ذلك.





فرعون



هو الملك الطاغية الجبار الذي حكم مصر في زمن موسى عليه السلام، وأذلَّ بني إسرائيل أيَّمَا إذلال، واستعبدهم واسترهبهم، وذبح أبناءهم واستحيى نساءهم؛ لأنه رأى في يوم من الأيام في منامه كأن نارًا قد أقبلت من نحو بيت المقدس، فأحرقت دُورَ مصر وجميع القبط، ولم تَضُرَّ بني إسرائيل، فلما استيقظ هالَه ذلك، فجمع الكهنة والمنجِّمين والسحرة، وسألهم عن ذلك، فقالوا: هذا غلام يُولَد من هؤلاء يكون سبب هلاك أهل مصر على يَدَيْه، فلهذا أمر بقتل الغلمان وتَرْك النساء، واستعلى واستكبر، وقال للناس: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، وقال لهم: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص:٣٨].

واحترز فرعون كل الاحتراز من أن يُولَد موسى عليه السلام، فمن شدّة احترازه أنه جعل رجالًا وقوابل يدورون على النساء الحوامل، ويعلمون ميقات وضعهن، فلا تَلِدُ امرأة ذكرًا إلَّا ذَبَحَهُ أولئك القتلة من ساعته، فمكر الله به، وجعله يُرَبِّي عَدُوَّه في قصره، وعلى سرير زوجته، مع أنه سعى في قتله، فلما

شبَّ موسى عليه السلام في قصر فرعون قتل أحد الأقباط وفرَّ هاربًا إلى مدين، ولما عاد إلى مصر كلَّمه الله عند جبل الطور، وجعله نبيًّا رسولًا، وأمره أن يذهب إلى فرعون، وآتاه الله الآيات البيِّنات، وجعل معه أخاه هارون نبيًّا ووزيرًا، والتقى موسى بفرعون، ودعاه إلى الله، وطلب منه أن يرفع العذاب عن بني إسرائيل، وأن يسمح لهم بالخروج معه من مصر، وأراه آيات العصا واليد الدالَّة على أنه مُرْسَلٌ من الله تبارك وتعالى، فكذَّبه فرعون، وجمع سحرته من مختلف المدائن ليهزموه، ووقع التحدي بين موسى والسحرة في يوم الزينة، والناس مجتمعون ضُحًى، فألقى السحرةُ حبالهم وعِصِيَّهم، وألقى موسى عليه السلام عصاه، فلَقَفَتْ[1] ما يأفكون، وأُلْقِي السحرة سُجَّدًا، وقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢١، ١٢٢]، فبطش بهم فرعون وقتلهم، واستمرَّ في طغيانه وجبروته، فلما أَصَرَّ واستكبر دعا موسى عليه السلام على فرعون وملئه بأن يطمس الله على قلوبهم، ويَشْدُد على أموالهم، وهارون يُؤَمِّن من ورائه، فاستجاب الله لهما، وأمر الله موسى أن يخرج ببني إسرائيل من مصر ليلًا، ففعل، فتوجَّهوا نحو المشرق، وسار فرعون وجنوده على إثرهم، فأمر الله موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه، ففتح الله لهم طريقًا في

---

(١) أي: التقمت.

البحر يَبَسًا، ودخله بنو إسرائيل، وخرجوا منه سالمين بفضل من الله إلى الضفة الشرقية للبحر، ورأى فرعون الطريق اليَبَس وســط البحر، فأمر جنوده أن يدخلوه ليلحقوا ببني إسرائيل، ودخلوا جميعًا فيــه، فلما اكتمل جَمْعُهم فــي البحر أطبق الله عليهم البحر، فغرق الجميع، ولما أبصر فرعون نفســه غريقًا في الماء لا محالة قد جُرِّد من قوته وسلطانه، وأصبح ضعيفًا عاجزًا، يصارع الموت وحيدًا، أعلن إيمانه قائلًا: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونــس: ٩٠]، ولكن كان ذلك بعد فوات الأوان، وجعل الله هلاكه عبرةً لكل جبار عنيد مفسد، وكان هلاكه مع جنوده في يوم عاشوراء من شهر الله المحرَّم.

هـامـان

هو وزير فرعون مصر، ورجل الدولة الأول بعده، وأَصله من خراســان من قرية يقال لها: بوشــنج، وكان قد قرأ كتب المتقدِّميــن، وكان له اليد الطُّولى في حســاب النُّجوم، وكان يســتدل من طالَعِه على مُجْمَل أحواله وأحوال فرعون، فاتفقا وسافرَا جميعًا من خرســان إلى أن بلغ أمرُهما ما بلغ، وكان مستشارًا لفرعون ومنفذًا لأوامره، وأشــرف على بناء الصرح العالي الذي أمر فرعون ببنائه ليَطَّلِــع بزعمه وحُمْقِه على إلٰه موســى عليه السلام، وكان هامان مشــاركًا لفرعون في جرائمه ضد المستضعفين من بني إســرائيل، وقد جاء ذكره في القرآن في ستة مواضع، وكانت نهايته الغرق في البحر الأحمر مع فرعون وجنوده.



قــارون



هو رجل من قوم موســـى عليه السلام بغى عليهم، وكفر برسالة موسى عليه السلام، وساعَد فرعون وأعانه على موسى ومن معه، وقد كان أغنى النـــاس، وأكثرهم أموالًا وكنـــوزًا، حتى إن مفاتيح كنوزه تنوء بالعصبة أُولي القوة، وجعل قارون هذه الأموال في حرب الإيمان ونصـــرة الكفر، فنصـــح له العقـــلاء من قومه بالقصد والاعتدال، وحَذَّرُوه من الفـــرح الذي يؤدي بصاحبه إلى نســـيان المنعم، وحَثُّوه بـــأن يعمل بهذا المـــال لآخرته، وحَذَّرُوه من الفساد في الأرض بالبغي والظلم، وإنفاق المال في غير وجهه، فلم يســـتمع لنداء الناصحيـــن من قومه، ولم يشـــكر نعمة ربه، وفَتَنَهُ المال، وأعماه الثراء الفاحش، واغترَّ بنفسه، واعتبر أن أمواله وكنوزه من ثمرة جهده وعلمه، وقال: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وذات يوم خرج قارون على قومه في كامل زينته، فطاشت قلوب بعض المفتونين بزخرف الدنيا الفانية، وتمنَّوْا أن لديهم مثل ما أُوتي قارون من الأموال والكنوز والخدم والحاشـــية، وأحسُّـــوا بأنه في نعمة عظيمة، فـــرَدَّ العالِمـــون على هؤلاء

المفتونيــن قائليــن: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص: ٨٠].

وبينما كان قــارون في كامل زينته وقمــة طغيانه وعظمة موكبه حَطَّم الله غروره، وكفى المؤمنين شروره، فأمر سبحانه الأرض أن تبتلعــه وتبتلــع داره وكنــوزه، ورأى المفتونــون بالأمس ما حلَّ به وبكنوزه، فحمدوا الله وقالوا: ﴿وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [القصص: ٨٢].

السامري

هو رجل ضالٌّ مُضِلٌّ، كان من القبط، ويُنْسَب إلى قريته السامرة، وهي من قرى مصر، فانْدَسَّ هذا السامري في بني إسرائيل لتعلُّقه بهم في مصر، أو لصناعةٍ كان يصنعها لهم، فلما ذهب موسى عليه السلام لميعاد ربه استغل السامري غَيبة موسى عليه السلام عنهم، وأراد فتنتهم عن دينهم، فقال لمن معه من بني إسرائيل: إنما تخلَّف موسى عن الميعاد الذي بينكم وبينه لأجل هذه الحلي والزينة، وهي حرام عليكم، فأمرهم بإلقائها في النار، فصنع لهم عجلًا، وكان صاحب صنعةٍ، ودعاهم إلى عبادة العجل، فأخبر الله موسى عليه السلام عن إضلال السامري لبني إسرائيل، فحزن موسى عليه السلام لذلك وتألَّم، وحمل الألواح، ونزل عن جبل الطور، وتوجَّه إلى قومه، ووبَّخهم على صنيعهم، فأخبروه بما طلبه السامري منهم؛ للتخلُّص من الزينة التي نهبوها من قوم فرعون، فسأله موسى عليه السلام عما جرى، فأخبره السامري بأنه رأى ما لم يَرَهُ بنو إسرائيل، حيث رأى الملَك جبريل عليه السلام فقبض قبضة تراب من أثره[1]، فلما

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٢٦١٨).

غاب موسى عليه السلام جمع الحُلِيّ والزينة التي كانت مع بني إسرائيل، ودعاهم جميعًا للتخلُّص منها؛ لأنها مسروقة، فلما صهرها ألقى فيها تلك القبضة، فصنع منها عجلًا جسدًا له خوار، ثم دعاهم إلى عبادة هذا العجل، فعاقَب موسى عليه السلام السامري بخلعه من بني إسرائيل، وعَزْله عنهم، وإخراجه؛ لفساده وإضلاله، ومنعه من الاقتراب منهم، كما منعهم من الاقتراب منه، فجعل حَظَّه أن يقول في حياته: لا مساس! وأصبح متباعدًا عن مخالطة الناس، مقيمًا وحده مطرودًا معزولًا، لا يترك أحدًا يقترب منه، فإذا لقيه إنسان قال له: لا مساس! فلا تَمَسَّنِي ولا أَمَسُّك، ولا تقترب مني ولا أقترب منك.

ثم عمد موسى عليه السلام لهذا العجل فحرقه بالنار، ثم جعله كالنشارة، وذَرَّهُ[1] في البحر تذريةً بحيث لا يبقى منه عين ولا أثر، ثم قال موسى عليه السلام لأولئك الذين عبدوا العجل المغرَّر بهم: ﴿ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ﴾ [طه: ٩٨] الحقُّ الذي تجب له العبادة والطاعة ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴾ [طه: ٩٨].

---

(١) أي: نثره كالغُبار.



بلعام بن باعوراء



هو عالم مـــن علماء الســـوء، من القـــوم الجبَّارين الذين سكنوا الأرض المقدَّسة في زمن بعثة نبي الله موسى عليه السلام، وقد كان على علمٍ بآيات الله تعالى، فأغراه قومه ليســـتعمل علمه الذي آتاه الله إياه في صدِّ نبي الله موسى عليه السلام وقومه عن دخول الأرض المقدســـة، فاســـتعمل علمه في الصدِّ عن ســـبيل الله تعالى، ودعا الله تعالى بأن ينهزم نبيه موسى عليه السلام وأتباعه، وأن يُوَلُّوا الأدبار أمام قومه الجبارين، ولكن الله تعالى أخزاه، فكان كلما دعا لقومـــه الجبارين صرف الله تعالى لســـانه فدعا على قومه حتى تدلى لســـانه كالكلب اللاهث، ثـــم قال لقومه: قد ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة، فلم يَبْقَ إلَّا المكر والخديعة والحيلة، وسأمكر لكم، وإني أرى أن تُخْرِجُوا إليهم فتياتكم بعد تزيينهن، فإن الله يبغض الزِّنا، فإن وقعوا فيه هلكوا، فوقع بنو إسرائيل في الزنا، واستحلُّوا ما حرَّم الله، فأرسل الله تعالى عليهم الطاعون، فمات منهم سبعون ألفًا، وأَبَوْا أن يُطِيعوا أمر ربهم ونبيهم موسى عليه السلام، فكتب الله عليهم التيه أربعين سنة، وأصبح بلعام بـــن باعوراء بهذا الفعل الشـــنيع آية في الغواية والانسلاخ والخزي إلى يوم القيامة.

أصحاب السبت

هم قومٌ من بني إســرائيل من أهل أَيْلَة، وهي القرية التي كانت حاضِرَةَ البحرِ، ابتلاهم الله تعالى، فحرَّم عليهم في يوم الســبت الحيتان؛ صيدَها وأَكْلَها، وكانوا إذا كان يوم الســبت أقبلت إليهم الحيتان شُــرَّعًا[١] إلى ســاحل بحرهم، حتى إذا ذهب السبت ذَهَبت، فلم يَرَوْا حوتًا صغيرًا ولا كبيرًا، حتى إذا كان يوم الســبت أتت شُــرَّعًا، حتى إذا ذهب السبت ذهبت، فكانوا كذلك، حتــى إذا طال عليهم الأمــد عمد رجل منهم فأخذ حوتًا ســرًّا يوم الســبت، فخَزَمَهُ بخيط، ثم أرســله في الماء، وأوتد له وتدًا في الســاحل، فأوثقه ثم تركه، حتى إذا كان الغد جاء فأخــذه، ثم انطلق به فأكله، حتــى إذا كان يوم الســبت الآخر، عاد لمثل ذلك، ووجد النــاسُ ريح الحيتان، فقال أهل القرية: والله لقد وجدنا ريح الحيتان، ثم عثروا على صنيع ذلك الرجل، ففعلــوا مثلما فعل، وصنعوا ســرًّا زمانًا طويلًا، فلم يُعَجِّــل الله عليهم العقوبة حتــى صادوها علانيةً

---

(١) أي: ظاهرة في الماء.

وباعوها بالأسواق، فقالت طائفة منهم من أهل البقية: وَيْحَكُم، اتقوا الله، ونَهَوْهُم عما يصنعون، وقالت طائفة أخرى لم تأكل الحيتان، ولم تَنْهَ القوم عما صنعوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف: ١٦٤] ﴿قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٤]، فبينما هم على ذلك أصبحت تلك البقية في أنديتهم ومساجدهم، وفقدوا الناس فلم يروهم، فقال بعضهم لبعض: إن للناس لشأنًا! فانظروا ما هو، فذهبوا ينظرون في دُورِهم، فوجدوها مُغْلَقَةً عليهم، قد دخلوها ليلًا فغلقوها على أنفسهم كما يغلق الناس على أنفسهم، فأصبحوا فيها قِرَدَةً، وإنهم ليعرفون الرجل بعينه وإنه لقرد، والمرأة بعينها وإنها لقردة، والصبي بعينه وإنه لقرد، فجعلهم الله عِظَةً وعِبْرَةً للمعتبرين.

أصحاب الأخدود

هم قوم كافـرون من أهل نجران، كان فيهم رجل مسـلم ممن يقرأ الإنجيل، آجَرَ نفسه في عمل، وجعل يقرأ الإنجيل، فرأت بنت المستأجِر النورَ يضيء من قراءة الإنجيل، فذكرت ذلك لأبيها، فرَمَقَهُ[١] حتى رآه، فسـأله فلم يخبره، فلم يَزَلْ به حتى أخبره بالديـن، فتابَعه أناس كثير، وكان هـذا بعد رَفْع عيسى عليه السلام إلى السماء، فسـمع بذلك ملكهم الذي يقال له: «يوسف ذو نواس»، فسار إليهم بجنده، فخَيَّرَهُم بين أن يتركوا دينهـم أو يُقْتَلـوا، فاختاروا القتـل، فخَدَّ لهـم في الأرض الأخاديد[٢]، وجمع فيها الحطب الكثير، وأوقد فيها نارًا عظيمة اللهب، فعرض عليهم الكفر، فمَن أبى أن يكفر قذفه في النار، ومَن رجع عـن دين عيسـى عليه السلام لـم يقذفه فيهـا، فأخذوا يقذفونهم في النار وهم شهود على ذلك يتلذَّذون بإيلام أهل الإيمان، وتحريق أجسـادهم بالنيران، وفي هذه الأثناء جاءت امرأة ومعها ولـد صغير لا يتكلـم، فلما قامت على شـفير

---

(١) أي: لَحَظَه لحظًا خفيفًا.

(٢) الأخاديد: جمع أخدود، وهو الشق العظيم المستطيل في الأرض.

الأخدود نظرت إلى ابنها، فرجعت عـــن النار، فضُرِبت حتى تقدَّمت، فلم تَزَلْ كذلك ثلاث مرات، فلمـــا كانت في الثالثة ذهبت ترجع فقـــال لها ابنهـــا: يا أماه، إنـــي أرى أمامك نارًا لا تُطْفَأ، فلما ســـمعت ذلك قَذَفَا جميعًا أنفســـهما في النار، فجعلها الله وابنها في الجنة، فقذفوا في النار قريبًا من عشرين ألفًا من المؤمنين، فلما فرغوا من إحراقهم خرجت عليهم تلك النار التـــي أوقدوها بأيديهـــم، فأحرقتهم فـــي الدنيا وأكلت أجسادهم، ولهم في الآخرة عذاب الحريق.

أصحاب الفيل

هم أبرهة الأشرم وجيشه، وكان أبرهة والي اليمن من قِبَل ملك الحبشــة، ورأى أن يبني بيتًا ضخمًا فــي مدينة صنعاء باليمن يدعو العرب إلى حَجِّه بدل حَجِّهم إلى البيت الحرام، وقصد من ذلــك تحويل التجارة والمكاســب مــن مكة إلى اليمن، وعرض هذا على الملك الحبشي، فوافَق وسَرَّهُ ذلك.

وبنى أبرهــة البيت «الكنيســة» وســمَّاها القُلَّيْس؛ لفرط ارتفاعها، فإذا رفع أحدهم نظره إلى نهايتها ســقطت قلنسوته من رأســه، فلم يُبْنَ مثلها فــي تاريخها، فلمــا عرفت قريش والعرب بذلك غضبوا، فجاء رجل قرشــي إلــى صنعاء ليلًا، فتغوَّط فيها ولطــخ جدرانها بالعَــذِرة، ثم ذهــب، فلما كان الصباح رآها أبرهة الأشرم بتلك الحال فاستشاط غيظًا، وجَهَّزَ جيشًا لغزو مكة وهدم الكعبة، وأقسم أن يهدمها حجرًا حجرًا، وجهَّز لذلك جيشًا عرمرمًا[1]، واصطحب معه ثلاثة عشر فيلاً، ومن بينها فيل يدعى «محمود»، وهو أكبرها.

---

(١) أي: كبير وعظيم.

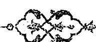
فلما سمعت العرب بهذه الأنباء عزموا على قتاله، فخرج إليه ذو نفر، وهو من أشـــراف اليمن، واستنفر قومه لملاقاته، فقاتلوه فهزمهم أبرهة وجيشه، ثم سار إلى أرض خثعم، فلقيه نُفَيْل بن حبيـــب الخثعمي، فهزم أبرهـــةُ الخثعميَّ ومَن معه، وأَسَرَهُ، ثم عفا عنه، وأخذه معه دليلًا إلى أرض الحجاز، فلما وصل أبرهة بجيشه إلى الطائف استراح فيها مدة، ثم غادرها إلى المغمس على مشـــارف مكة، فأغار جند أبرهة على إبل مكة فاستولوا عليها، ومن ضمنها مائتا بعير لعبد المطلب بن هاشم القرشي.

ثم أرسل أبرهة حناطة الحميري في سِفارة إلى مكة ليأتيه بكبيرها، ويخبره بأن أبرهة لم يـــأتِ لقتالهم إلَّا إذا صدُّوه عن الكعبة، فذهب حناطة بتلك الرســـالة، والتقـــى بعبد المطلب، وحَذَّرَهُ وقومَه من قتال أبرهة الأشـــرم وجيشـــه، فلا طاقة لهم بهم، فقال له عبد المطلب: والله ما نريد حربه، وما لنا بذلك من طاقة، فهذا بيت الله الحرام، وبيت خليله إبراهيم، فإن يمنعه منه فهو بيته وحَرَمُه، وإن يُخَلِّي بينه وبينه فوالله ما عندنا دفعٌ عنه.

فرافق عبد المطلب بن هاشـــم حناطة الحميري، والتقى بأبرهة، فلما رآه أبرهة أَجَلَّه[1]، فقـــد كان عبد المطلب رجلاً

---

(١) أي: عرف عُلُوِّ مكانته ومهابته.



وقورًا حســن المظهر، حتى أن أبرهة نزل عن عرشــه وجلس معه على البســاط، وقال لترجمانه: قل له: ما حاجاتك؟ فقال عبد المطلب: حاجتي أن يَرُدَّ علــيَّ الملك مائتي بعير أصابها لي، فقال أبرهة: لقد كنتَ أعجبتنــي حين رأيتك، ثم زهدت فيك حين كلَّمْتَني، أتُكَلِّمني في مائتي بعير أصبتُها لك وتترك بيتًا هو دينك ودين آبائك؟

ثم أكمل أبرهة قوله: لقد جئــتُ لهَدْمه، ألا تكلمني فيه؟ فردَّ عبد المطلب بن هاشم: إنني أنا ربُّ الإبل، وإنَّ للبيت ربًّا يحميه ويمنعك عنه. فردَّ أبرهة على عبد المطلب إبله.

ثم رجع عبد المطلب إلى قريــش، فأمرهم بالخروج من مكــة والتحصُّن بــرؤوس الجبــال تخوُّفًــا عليهــم، ثم قام عبد المطلب وأخذ بحلقةٍ مــن حلقات باب الكعبة، وقام معه جماعة من قريش يدعون الله، ويستنفرون على أبرهة وجنده، ثم خرجوا إلى رؤوس جبال مكة، وحينما تهيَّأ أبرهة لدخول مكة بجيشــه، ووجَّهوا الفيل «محمود» إلــى الكعبة رفض أن يسير صوب الكعبة، ولما وجَّهوه نحو الشام أخذ يُهَرْوِل، وإلى جهة الشرق كذلك، فما كان من أبرهة إلَّا أن أمر سائس الفيل ليضربه حتى يدخل الحرم.

وفي هذه الأثناء كان عبد المطلب بن هاشم وأشراف مكة ينظرون ليروا ما يحدث، فشاهَدوا من معجزات الله عندما بعث

الله على أبرهة وجيشــه طيرًا أبابيل[١]، وكانت الطيور الأبابيل سوداء اللون، يحملُ كل منها حجرًا في منقاره، وحجرين في رِجْلَيْه أمثــال الحمص والعدس، وكانت الطيــور تُلْقِيها على جيش أبرهة لا يصيــب أحدًا منهم إلَّا هلك في ســاعته، وفَرَّ أبرهة ولحمه يتناثَر، فهلك في الطريق، وكانت هذه نصرة من الله لسكان حرمه وحماة بيته.

ومن بعد هــذه الحادثــة ما زالت العرب تحتــرم الكعبة والحــرم وأهله إلى هذا اليــوم، وخلَّد الله قصتهم في ســورة الفيل، وسُــمِّيَ هذا العام الذي وقعت فيها هذه الحادثة بعام الفيل، وهو العام الذي وُلِد فيه أشرف الخلق وأكرمهم على الله تعالى رسول الله محمد ﷺ.

---

(١) أي: جماعات متفرِّقة.

أبـو لهـب

هــو عبد العُزَّى بــن عبد المطلب بــن هاشــم، وكنيته أبو عتبة، وهو أحد أعمام رســول الله ﷺ، وأحد أشراف مكة وشــجعان الجاهلية، وكان بيته مجاورًا لبيت النبي ﷺ بمكة، وكان مناصبًا رســولَ الله ﷺ العداءَ، ولم يَرْعَ حق القرابة ولا حق الجوار، ولم يكتفِ بتخاذُله عن نُصْرَةِ ابن أخيه وحمايته، بل عاداه وحارَبه، واجتهد في صَدِّ الناس عنه، وســخَّر أمواله الطائلة لحرب الإســلام وأهله؛ حيث كان غنيًّــا عَتِيًّا[1]، وكبر عليه أن يتبع دينًا جاء به ابن أخيه، وأخذ يحرِّض قريشًا على رسول الله ﷺ، وشارَك في تعذيب المؤمنين بمكة، وفي شأنه نزلت سورة المسد، وكان أبو لهب أحمر الوجه مشرقًا، فلُقِّب في الجاهلية بأبي لهب.

ومن العجيب أن أبا لهب قد أعتق جاريته ثُوَيْبَة لما بشَّرته بميلاد ابن أخيه محمد ﷺ فرحًا بذلك، فكان بعد ذلك أشــد الناس عــداوةً لــه، وقــد بلغ مــن عداوتــه أنــه كان يتبع

---

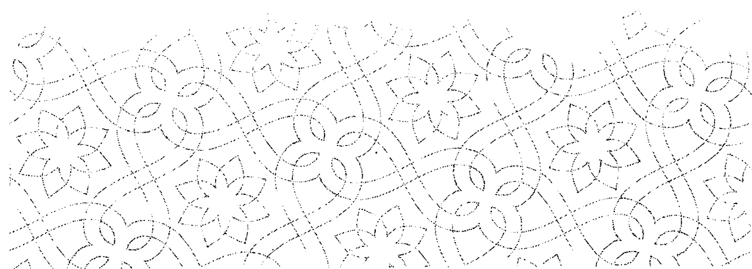
(١) أي: مُتَمَرِّدًا مُتَجَبِّرًا.

رسـول الله ﷺ في الأسـواق، والمجامع، ومواسـم الحج، ويُكذِّبـه؛ ليصرف الناس عـن دعوته وتبليغ رسـالته، وكان رسـول الله ﷺ قد زوَّج ابنتَيه أم كلثوم ورُقَيَّة بولَدَيْ أبي لهب عُتبة وعُتَيبة، وهذا قبل بعثته ﷺ، فلما بعثه الله تعالى رسـولًا إلى الناس كافـة أراد أبو لهب إيذاء النبـي ﷺ فقال لأولاده: اشْغَلُوا محمدًا بنفسه. فأمر ابنَيْه بأن يُطَلِّقَا ابنتَيِ النبي ﷺ.

وبعد سـنين مـن الصـدِّ عـن سـبيل الله، ومحاربة الله ورسـوله ﷺ والمؤمنين هلك هذا الأثيم أبو لهب بعد غزوة بدر بسبع ليالٍ بمرضٍ مُعْدٍ يسمى «العدسة»، فتركه ابناه يومَين أو ثلاثة لم يدفناه، حتى أَنْتَنَ، فقال رجل من قريش لابنَيْه: ألا تسـتحِيَان أن أباكما قد أنتن في بيته؟! فقالَا: إنّا نخشى هذه القرحة. وكانت قريش تتَّقِي العدسة كما تَتَّقِي الطاعون، فقال الرجل: انطلقا فأنا معكما، فقذفوه بالماء من بعيد، ثم احتملوه فقذفوه في أعلى مكة إلى جدار، وقذفوا عليه الحجارة.

أعلام

النساء





الحــور العيــن



هن نساء أهل الجنة، حِسَــان الأعين، أبكار، لم ينكحهن قبل أهل الجنة أحد، كأنهن الياقوت في الصفاء، والمرجان في البيــاض، لا عيب فيهــن بوجه مــن الوجوه، فهــن كاملات الأوصاف، جميلات النعوت، يَحَار فيهن الطرف في جمالهن وحُسْــنهن، وهن متحبِّبات إلــى أزواجهــن، وأزواجُهن لهن عاشقون، مستويات في سِنٍّ واحد، وميلاد واحد، بنات ثلاث وثلاثين ســنة، ليس بينهن تباغُض ولا تحاسُد، قد طُهِّرْنَ من كل أذى يكون في نســاء الدنيا، فوجههن النور، وأجســادهن الحرير، بِيض الألوان، خُضر الثياب، صُفر الحلي، مجامرهن الدُّرُّ، وأمشاطهن الذهب، يقلن: ألَا نحن الخالدات فلا نموت أبدًا، ألا ونحن الناعمات فلا نبأس أبدًا، ألا ونحن المقيمات فلا نظعن[1] أبدًا، ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدًا، طوبى لمن كنا وكان لنا، يتلقَّيْنَ أزواجهن عند أبواب الجنة، فيقلن: طالما انتظرناكم، أنت حبي وأنا حبــك، ليس دونك تقصير، ولا وراءك معدل.

---

(١) أي: لا نرحل ولا نسافر، فلا يُخاف غيابنا.

ووصفهن القرآن بأنهن ممنوعات من التبرُّج والتبذُّل لغير أزواجهـن، بل قـد قُصِرْن علـى أزواجهـن، لا يخرجن من منازلهم، وقَصَرْنَ عليهم فلا يردن سـواهم، فالمرأة منهن قد قصرت طرفهـا على زوجهـا من محبَّتهـا لـه ورضاها به، فلا يتجـاوز طرفها عنه إلى غيـره، ومن حسـنهن يظهر مخ سوقهن من وراء ثيابهن[1]، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد وصفاء اللون، فلو أن امرأة منهن اطلعت إلى الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأة ما بينهما ريحًا طيبًا، ولنَصِيف[2] إحداهن على رأسها خير من جمال الدنيا وما فيها من متاع[3]، وكلامُ الحوراءِ سِـحْرٌ حلال بلا مِـراء، وتتغنى لزوجها بغناء تطرب له القلوبُ، وتلتـذُّ به الأرواح، جعلَه اللهُ للمؤمنين في الأخرى الذيـنَ تركوا الغناءَ فـي الدنيا، فأهل الجنة في شغل معهن لا ينقضي ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ۝ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦].

فاسـمع صفات عرائس الجَنَّاتِ
ثم اختِرْ لنفسـك يا أخـا الفرقانِ
حورٌ حِسـانٌ قـد كَمُلْـنَ خلائقًا
ومَحاسِـنًا مـن أجمل النسـوانِ

(١) أخرجه البخاري (٣٢٥٤)، ومسلم (٢٨٣٤).
(٢) أي: خمارها.
(٣) أخرجه البخاري (٢٧٩٦).

حتى يَحارَ الطرف في الحُسْنِ الذي
قد أُلْبِسَــتْ فالطــرفُ كالحَيْرانِ
والطرف يشربُ مِن كؤوسِ جمالها
فتــراهُ مثــلَ الشــاربِ النَّشْــوانِ
كَمُلَــتْ خلائِقُها وأكمل حســنها
كالبدرِ بعد السِّتِّ ليلَ السِّتِّ بعد ثمانِ
والشمسُ تجري في محاسن وجهها
والليــلُ تحت ذوائــبِ الأغصانِ
فتُراه يعجب وَهْوَ مَوْضِعُ ذاك مِنْ
ليــلٍ وشــمس كيــف يجتمعانِ
فيقول ســبحان الــذي ذا صُنْعُه
ســبحان مُتْقِــنِ صنعةِ الإنســانِ
لا الليلُ يدركُ شمسَها فتغيبُ عنـ
ـد مجيئــه حتى الصبــاح الثاني
والشــمس لا تأتي بِطَرْدِ الليلِ بل
يتصاحبــانِ كلاهمــا أَخَــوانِ
وكلاهمــا مــرآةُ صاحِبِــهِ إذا
مــا شــاءَ يُبْصِــرُ وجهَــه يَرَيانِي
فيرى محاسِــنَ وجهِهِ في وَجْهِهَا
وتــرى محاسِــنَها بــه بِعَيــانِ

حُمْرُ الخدودِ ثُغورُهنَّ لآلئ
سُودُ العيونِ فواتِرُ الأجفانِ(١)

والبرقُ يبدو حين يَبْسِمُ ثغرُها
فيضيء سقفَ القصرِ بالجدرانِ

ولقد رُوِينَا أنَّ برقًا ساطِعًا
يبدو فيسألُ عنه مَن بِجِنانِ

فيقالُ هذا ضوءُ ثَغْرٍ ضاحِكٍ
في الجنةِ العليا كما تَرَيانِ

فاجمع قُواكَ لما هناك وغَمِّضِ الْـ
ـعَيْنَيْنِ واصْبِرْ ساعةً لزمانِ

ما هاهنا واللهِ ما يَسْوَى قلا
مةَ ظُفْرٍ واحدةٍ تُرى بِجَنَانِ



(١) أي: متكسّرة الأجفان حياءً، ويعبَّر به عن جمال المرأة.



حــواء



حواء هي أم البشــر عليها السلام ، خلقها الله من ضِلع آدم الأيسر من خلفه وهو نائم، فاســتيقظ فرآها فأعجبته، فأَنِسَ إليها(١)، وأَنِسَــت إليه، وكان خَلْقُها قبل إســكان آدم عليه السلام الجنة، ولما دخل آدم دخلت معه، فظَــلَّا يأكلان منها رغدًا حيث شــاءَا، فوسوس لها الشيطان كما وســوس لزوجها آدم عليه السلام، ووقعت في الخطيئة كما وقع فيها زوجهــا، وتابت مع زوجها لله رب العالمين، وهبطت معه إلى الأرض، وأنجبت حواء لآدم بطونًا كثيرةً فــي الأرض، في كل بطــن ذكر وأنثى، وقد شــرع الله لآدم عليه السلام أن يُزوِّج ذكرَ كلِّ بطن بأنثــى البطن الآخر، وهكذا تكاثَر أولادهما، وظلَّــت حواء عليها السلام طائعــة لله تعالى، حتى توفي آدم عليه السلام، ثم توفيت هي الأخرى بعده بسنة، فرضي الله عنها ورحمها.

---

(١) أي: سكن إليها وذهبت وَحْشَتُه.

ســارة

هي الزوجة الصالحة، والمرأة المؤمنة الصابرة، سارة بنت هاران، زوجة الخليل إبراهيــم عليه السلام، وابنة عمّه «هاران»، التي لم تخذل زوجها، بــل وقفت معه في محنتــه ودعوته تؤازره وتناصره، وتَشُدُّ من عَضُدِهِ، وهي أجمل نساء الأرض، حيث لم يخلق الله تعالى امرأة أكثر جمالًا منها غير حواء، وهي أول امرأة آمنت بســيدنا الخليل إبراهيم عليه السلام، وشهدت نجاته من النار بعــد أن جعلهــا الله بردًا وســلامًا علــى زوجها عليه السلام، وهاجرت معه إلى أرض الشام ومصر، وأكرمها الله تعالى بأن عصمها من فجــور ملك مصر الجبار، ورزقهــا الله تعالى من الخليل إبراهيم عليه السلام بالابن العليم بعد تسعين عامًا من العقم، فبشَّرتها الملائكة بإسحاق النبي، ومن ورائه يعقوب عليه السلام الذي ينحدر من نسله أنبياء بني إسرائيل، وتُوُفِّيَت سارة رضي الله عنها بعدما رزقها الله سبحانه وتعالى بإسحاق عليه السلام، ودفنها إبراهيم عليه السلام .



آسيا بنت مزاحم



هي امرأة فرعون، آسـيا بنت مزاحـم رضي الله عنها، وكانت عاقرًا لا تَلِد، وقد قذف الله في قلبها حب موسى عليه السلام وهو في مَهْدِه، فأحبَّتْه حبًا شـديدًا، وتَبَنَّتْه وغَذَتْهُ ورَبَّتْـه وحَمَتْهُ، وكفَّت عنه عادية فرعون وشَرَّه، ولما دعا موسى عليه السلام إلى الله تعالى آمنت به وصدَّقته، ولكنها في البداية أَخْفَتْ ذلك خشيةً من فرعون وبَطْشِـه، ولكنهـا ما لبثت حتى أشـهرت إيمانهـا واتِّباعَها لموسـى عليه السلام، وحاوَل فرعون رَدَّها عن إسـلامها، واستعمل الترغيـب والترهيب لأجل ذلـك، ولكنها كانـت ثابتة على الحق، ولـم يُزَحْزِحْها فرعون عن دينها وإيمانهـا مقدارَ ذَرَّةٍ، وعذَّبها فرعون أشـد العذاب، فاسـتعانت بالله عز وجل، وسألته سبحانه بأن يبني لها بيتًا في الجنة، فأراها الله بيتها في الجنة قبل موتها تحت التعذيب، وسـألته سـبحانه بأن يُنَجِّيَها من أعمال فرعـون وشـروره، وأن يُنَجِّيَها من القـوم الظالمين، فأجابها رب العزة والجـلال، وأبدلها دارًا خيـرًا من دارها، وأهلًا خيرًا من أهلهـا، وزوجًا خيرًا زَوْجِهـا، ومن فضائلها ومناقبها أنها اختارت القتل علـى الملك، والعذاب في الدنيا

على النعيم الذي كانت فيه، وكانت فراسـتها في موسى عليه السلام صادقةً حين قالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي﴾ [القصص: ٩]، وقد أثنى عليها الصادق المصدوق رسـول الله ﷺ لما قال: «**كمل من الرجال كثير، ولم يكمُل من النساء إلَّا مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون**»[1]، فرضـي الله عن هـذه المؤمنة الصادقـة الصابرة وأرضها.



(١) أخرجه البخاري (٣٤١١)، ومسلم (٢٤٣١).



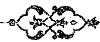
ملكة سبأ



هي بلقيس ملكة سبأ، راجحة العقل، سديدة الرأي، ملكت اليمن ونهضت بأعباء مملكتها خير نهوض، وعاصرت نبي الله سليمان ﷺ، وأبوها هو الملك الهدهاد بن شرحبيل، تَوَلَّتْ عرش سبأ بعد وفاته، واشتهرت بالحكمة والدهاء وحُسْن السياسة، وهي التي بنت سد مأرب، وكانت حاضرةَ مُلْكِها مأرب، وهي مدينة عظيمة باليمن.

وأُوتِيَتْ بلقيس من كل شيء؛ من الأموال والسلاح والجنود والحصون والقلاع، ونحو ذلك، ولها عرش عظيم تجلس عليه، وكانت تَدِينُ بالوثنية، حيث كانت تعبد مع قومها الشمسَ من دون الله، فمرَّ بها هدهد سليمان ﷺ فوجدها على تلك الحال، واستنكر ما كانوا عليه من عبادة غير الله ﷻ، فما كان من الهدهد إلَّا أن نقل خبرها إلى نبي الله سليمان ﷺ، ونبَّأه بأن لها عرشًا عظيمًا.

على إثر ذلك الخبر كتب نبي الله سليمان ﷺ إلى بلقيس ملكة سبأ كتابًا جاء فيه: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ



وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]، فلما وصل الكتاب إلى بلقيس جمعت الوزراء والوُجهاء، فاستشارتهم في أمرِ هذا الكتاب، فأشاروا عليها بالحرب وحَشْد الجيوش لمقاتلة سليمان عليه السلام وجنوده، وقالوا: ﴿ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴾ [النمل: ٣٣]، ولكنها لم توافقهم على رأيهم، حيث قالت: ﴿ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ﴾ [النمل: ٣٤]، ثم اقترحت إرسالَ وفدٍ إلى الملك سليمان عليه السلام، محمَّلًا بالهدايا الثمينة والأموال الطائلة، فإن قَبِلَ الهدية فهذا يعني أنه طامع في أموال البلاد وثرواتها، وإن لم يقبل فهذا يعني أنه نبي رسول، ولا هَمَّ له إلَّا الإيمان بالله، فإن آمنتْ سَلِمَتْ وَسَلِمَ قومها، وإن أَبَتْ أغار عليها بجيشه وجنده.

فلما جاء وفدُ بلقيس إلى سليمان عليه السلام، وقدَّم بين يدَيه ما حمله من هدايا وأموال، كان رَدُّ سليمان عليه السلام حازمًا، حيث قال: ﴿ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ۞ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ [النمل: ٣٦، ٣٧]، فلما رجع الوفد إلى بلقيس، وحدَّثها بما جرى في حضرة هذا الملك، أيقنت أن الأمر لا يتعلَّق بملك تستهويه الأموال والثروات، بل إنه نبي يسعى إلى نَشْر الإيمان في الأرض، فسارت ملكة سبأ نحو نبي الله سليمان لتقف بين يدَيه.

ولما علم سـليمان عليه السلام بذلك قال للملأ الذين كانوا في مجلسـه: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]، فقال عفريت من الجن من أهل مجلسـه: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ [النمل: ٣٩]، وقال آخر من أهل العلم والكتاب من أهل مجلسـه: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠].

ثم أمرهم سـليمان عليه السلام بأن يُنَكِّرُوا ذلـك العرش حتى لا تتعرَّف عليه من أول وهلة، وليكون ذلك اختبارًا لها، فلما قَدِمَتْ بلقيس على نبي الله سـليمان عليه السلام طُـرح عليها ذلك السـؤال، حيث قيل لها وهي تنظر إلى ذلـك العرش الماثل أمامهـا: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل: ٤٢]؟ فنظرت إليـه طويلًا، ثم أجابت قائلة: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل: ٤٢]، والـذي منعها من القول بأنه هو عرشها، هو ما كانت تَعْبُد من دون الله، فهي تعرف أن آلهتها «الشمس» لا تستطيع فِعْلَ أمرٍ كهذا، ولو أنها آمنت بأن سليمان نبي مُرْسَـلٌ من عند الله، وأن الله على كل شيءٍ قدير، لقالت بأنه عرشها، لذا علَّق سليمان على رَدِّها قائلًا: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٤٢].

ثم أشار عليها سـليمان عليه السلام بدخول الصرح، وهو سطح شـفاف من الزجاج، وتحته ماء كثيف، فلما دنت بلقيس من هذا الصرح حسبت أنها سـتخوض في الماء، فرفعت رداءها



قليلًا حتى كشفت عن ساقيها من أجل أن تقطع لُجَّة الماء إلى الجهة الأخرى حيث سليمان ﷺ، فأخبرها سليمان ﷺ بأنه سطحٌ أملس شفاف، وليس كما ظنَّت أنه ماء، فكانت هذه الحادثة سببًا كافيًا لتعلن بلقيس إسلامها ودخولها في دين الله تعالى تحت إمرة نبي الله سليمان ﷺ، فتابت وأنابت وأسلمت، وقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤].

ثم إن بلقيسًا تزوَّجت من نبي الله سليمان ﷺ، وتوفيت بعد سنة واحدة من مقتل ابنها الملك رحبعم بن سليمان.





مريم بنت عمران



هي المرأة الصالحة مريم ابنة عمران أم المسيح عيسى عليه السلام، أُطلق اسمها على إحدى سور القرآن الكريم، لما حملت أمها بها نذرت ما في بطنها وهو جنين، وهي تطمع أن يكون ذَكَرًا صالحًا لخدمة بيت المقدس، فلما وضعت ما في بطنها فوجئت بها أنثى، ولكنها وفت بنذرها، وجعلت هذه الأنثى خالصة مُحَرَّرةً لله، وألهم الله أمها بأن تسميها مريم، وأعاذتها أمها وذريَّتَها من الشيطان الرجيم.

وُلِدَتْ مريم يتيمة، فقد توفي والدها عمران وهي في بطن أمها، فكانت أمها لا تستطيع تربيتها لكِبَر سِنِّها، فاختلف العابدون في كفالتها، فكلهم كان يريد أن يكفلها، فاتفقوا أن يقفوا على مجرى النهر ويرموا أقلامهم، واختاروا القلم؛ لأن عمران والد مريم كان يُعلِّمهم بالقلم، وآخر قلم يبقى في النهر دون أن ينجرف هو الذي يكفلها، فرموا أقلامهم وجُرِفت أقلامهم، ووقف قلم زكريا عليه السلام، فقدَّر الله تعالى أن يكفلها زكريا النبي، وهو زوج خالتها، فعاشت في بيته عند خالتها، ونشأت نشأة إيمانية صالحة، وشبَّتْ مريم وبيتُها المسجد،

وخلوتها فيه، وأجرى الله لها كرامة عظيمة، فكلما كان زكريا عليه السلام يدخل عليها المحراب يجد عندها رزقًا، فسألها: ﴿يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عمران: ٣٧]، فأجابته: ﴿هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧].

وطوال تلك المدة كانت مريم، وهي المقيمة في المحراب، فتاةً عابدة قانتة في خَلْوَةِ المسجد، تُحْيِي ليلها بالذِّكْر والعبادة والصلاة والصوم، ثم إن الله تعالى بعث لها جبريل عليه السلام، وأتاها وهي في خلوة ومناجاة لله، بعيدة عن قومها، فلما رأته أمامها بشرًا سويًّا ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ۝ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ۝﴾ [مريم: ١٨ ـ ٢١]، فنفخ فيها نفخة بأمر الله، ودخلتها روح من الله، وخَلَقَ الله في رحمها عيسى عليه السلام.

ثم تتابعت أحداث حملها وولادتها في ساعات متعاقبة، وألجأها المخاض إلى جذع النخلة، فقالت وهي في تلك الحال العصيبة: ﴿يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا﴾ [مريم: ٢٣]، ثم وضعت ابنها عيسى عليه السلام في منطقة بيت لحم القريبة من القدس، فأنطق الله ابنها الذي لم تَمْضِ لحظات على ولادته، وطمأنها، وأرشدها بأن تَهُزَّ إليها بجذع النخلة

لتساقط عليها رطبًا جنيًّا، وطلب منها أن لا تتكلَّم عندما يسألها قومها، وأن تَكِلَ الكلام إليه، وحملت مريم وليدها.

ثم أتت به قومها، ففوجئوا بذلك وقالوا: ﴿يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ۝ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾ [مريم: ٢٧، ٢٨]، فلم تتكلَّم، وأشارت إلى وليدها، فقال: ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيّٗا ۝ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيۡنَ مَا كُنتُ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيّٗا ۝ وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمۡ يَجۡعَلۡنِي جَبَّارٗا شَقِيّٗا ۝ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ۝﴾ [مريم: ٣٠ ـ ٣٣].

وبقيت مريم رضي الله عنها مع ابنها عيسى عليه السلام حتى كبر وصار نبيًّا، ثم تُوُفِّيَتْ بعد ذلك.

نساء النبي ﷺ

هنَّ أمهات المؤمنين وزوجات رسول الله ﷺ: خديجة بنت خويلد، وسَوْدة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خُزَيْمة، وهند بنت أبي أمية (أم سلمة)، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، ورملة بنت أبي سفيان، وصفية بنت حُيَيٍّ، وميمونة بنت الحارث، فأما خديجة بنت خويلد القرشية الأسدية، فقد تزوَّجها النبي ﷺ قبل النبوة، وعمرها أربعون سنة، ولم يتزوَّج عليها حتى ماتت، وهي أم أولاده ما عدا إبراهيم، وهي التي آزَرَتْه ونصرته وثبَّتَتْه، وجاهدت معه وواسَتْه بنفسها ومالها، وقد ماتت قبل الهجرة بثلاث سنين في عام الحزن، فحزن عليها رسول الله ﷺ حزنًا شديدًا.

وأما سودة بنت زمعة القرشية، فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد موت خديجة بأيام، وانفردت به ﷺ نحوًا من ثلاث سنين أو أكثر حتى دخل بعائشة، وهي التي وهبت يومها لعائشة، وماتت سودة رضي الله عنها في آخر خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .

وأما عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما فهي تُكْنَى بأمِّ عبد الله مع أنه ليس لها أولاد، وقد تزوَّج بها النبي ﷺ في شوال وعمرها ست سنين، وبنى بها في شوال في السنة الأولى من الهجرة وعمرها تسع سنين، ولم يتزوَّج بِكْرًا غيرها، وكانت أحبَّ الخلق إليه، وهي التي رماها أهل الإفك، فأنزل الله تعالى براءتها من فوق سبع سماوات، واتَّفقت الأمة على كُفْر قاذفها، وهي أفقه نساء العالمين، وأعلمهن بالله وكتابه وسُنَّة رسوله ﷺ، وكان الصحابة يرجعون إلى قولها ويستفتونها، وماتت سنة ثمانٍ وخمسين في شهر رمضان.

وأما حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد أن توفي زوجها خُنَيْس بن حذافة السهمي البدري، وكانت كثيرة الصيام والقيام، وماتت في شهر شعبان سنة خمس وأربعين من الهجرة.

وأما زينب بنت خزيمة بن الحارث القيسية من بني هلال بن عامر، فقد تزوَّجها النبي ﷺ في شهر رمضان على رأس واحد وثلاثين شهرًا من الهجرة، وقد توفيت بعد زواج الرسول ﷺ بها بشهرين.

وأما أم سلمة هند بنت أبي أمية القرشية المخزومية فقد تزوَّجها رسول الله ﷺ بعد وفاة زوجها أبي سلمة، فلما أصيبت بزوجها قالت: «اللهمَّ أْجُرْنِي فــي مصيبتِي، وأَخْلِفْ لي خيرًا

منها»، فأخلفها الله بخير من زوجها(١)، وقد ماتت سـنة إحدى وستين للهجرة، وهي آخرهن وفاةً.

وأما زينب بنت جحش من أسـد بني خزيمة، وهي ابنة عمَّته أميمة، وفيها نزل قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وبذلك كانت تفتخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوَّجكن أهاليكن، وزوَّجني الله من فوق سبع سماوات(٢)، وكانت أولاً عند زيد بن حارثة رضي الله عنه، وكان رسول الله ﷺ قد تَبنَّاه، فلما طلَّقها زيد رضي الله عنه، زوَّجه الله إياها، وتوفيت سنة إحدى وعشرين للهجرة.

وأما جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار المصطلقية، وكانت من سبايا بني المصطلق، فقد جاءت رسول الله ﷺ تطلب منه أن يُعِينها في مكاتبتها لعتق رقبتها، فعرض عليها قضاء كتابتها وزواجه بها فقبلت، فتزوَّجها رسول الله ﷺ وجعل عتقها صداقها، فلما عَلِم الناس بذلك أعتقوا مَنْ بأيديهم من الأسرى؛ إكرامًا لأصهار رسول الله ﷺ، فما كانت امرأة أعظم على قومها بركةً منها(٣).

وأما أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان صخر بن حرب

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٨).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٢٠).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٩٣١)، وأحمد (٢٦٣٦٥).

القرشـية الأموية فقد تزوَّجها رسـول الله ﷺ بعد وفاة زوجها وهي ببلاد الحبشة مهاجرةً، فأصدقها عنه النجاشي بأربعمائة دينار[١]، وسِيقَتْ إليه من هناك مع شرحبيل بن حسنة، وماتت في أيام خلافة أخيها معاوية بن أبي سفيان سنة أربع وأربعين من الهجرة.

وأما صفية بنت حيي بن أخطب سيد بني النضير من وَلَدِ هارون بن عمران أخي موسى بن عمران، وكانت قد صارت لرسول الله ﷺ من السبي أَمَةً، فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوَّجها، وجعل عتقها صداقها[٢]، وكانت من سيدات النساء عبادةً وورعًا وزهادة وبِرًّا وصدقة، وتوفيت سنة اثنين وخمسين للهجرة.

وأما ميمونة بنت الحارث الهلالية فهي آخر من تزوَّج بها رسول الله ﷺ تزوَّجها بمكة بعد أن تحلَّل من عمرة القضاء[٣]، وتوفيت سنة إحدى وخمسين للهجرة.

---

(١) أخرجه الحاكم (٦٧٧١).

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٠)، ومسلم (١٣٦٥).

(٣) أخرج مسلم (١٤١١) عن ميمونة بنت الحارث: «أن رسول الله ﷺ تزوجها وهو حلال».

امرأة نـوح

هي واغلة امرأة نبي الله نـوح عليه السلام، وهي أم أولاده كلهم: حام، وسام، ويافث، ويام، وكانت ممن سبق عليه القول؛ لكفرها وخيانتها لزوجها نوح عليه السلام، حيث كانت كافرة على مِلَّة قومها، وكانت تقول للناس عن زوجها: إنه مجنون، وكانت تُطْلِع قومها على أسرار نوح عليه السلام، فإذا آمَن مع نوحٍ أحد أخبرت الجبابرة من قومها بهذا، وكانت أيضًا تَصُدُّ عن سبيل الله تعالى، وتُناصِر أهل الكفر من قومها، فلم ينفعها كونُها زوجة نوح عليه السلام، فهلكت غرقًا بالطوفان العظيم على مِلَّة قومها، وسيقال لها يوم القيامة: ادخلي النار من جملة الداخلين فيها من الكافرين.



امرأة لوط



هي والهة امرأة نبي الله لوط عليه السلام التي اشترت الضلالة بالهدى والعذابَ بالمغفرة، فكانت في الظاهر مع زوجها على دينه، وفي الباطن مع قومها وعلى دينهم، فكانت إذا أضاف لوط عليه السلام أحدًا أخبرت به أهل المدينة ممن يعمل السوء، فإذا نزلوا عليه في بيته في الليل أخبرتهم بواسطة النار، وإذا نزلوا عليه في النهار أخبرتهم بواسطة الدخان، ومن ضمنهم أضيافه من الملائكة الكرام عليهم السلام، فحق عليها عذاب ربها مع الذين نزل بهم العذاب من قومها، فلم ينفعها كونها زوجةَ نبي، ولا دفع عنها ذلك من عذاب الله من شيءٍ مع كرامة لوط عليه السلام على الله تبارك وتعالى، وضرب الله بهذه المرأة مثلًا في كتابه العزيز للذين كفروا في سورة التحريم في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ﴾ [التحريم: ١٠]، فكانت خيانتها في الدين؛ لأنها كانت على مِلَّة قومها، فإنه ما بَغَت امرأة نبي قط، ولما جاءت ساعة الخروج من القرية خرج

لوط عليه السلام بابْنَتَيْه ليلًا ولم يَسْرِ بها، ولكن لما سَرى عليه السلام هو وبنتاه تبعتهم فالتفتت، فهلكت مع قومها، وستدخل مع قومها أيضًا جزاءً لما جَنَتْهُ يداها من الأفعال المنكَرة، ولا يظلمُ ربك أحدًا.





أمُّ جَمِيل



هي امرأة أبي لهب، اسـمها أروى بنـت حرب بن أمية، أخت أبي سـفيان بن حـرب، وكانت أم جميـل هذه تحمل الشَّوك في الليل وتضعه في طريق النبي ﷺ الذي يسلكه إلى بيته ليعقر قدمَيْه، فوصفها القرآن بأنها حَمَّالة الحطب، وكانت امرأة تمشـي بالنميمة بين الناس، وتُوقِد بينهـم نار البغضاء والعداوة، وتُحرِّض زوجها وتُغريه وتُمِدُّه بأنواع الحِيَل لإيقاع الأذى بالنبي ﷺ، وكانت ذات لسـان سَلِيط تفتري وتكذب، وتُؤَجِّج الفتن، وتسيء للرسـول ﷺ، فقد روى الشيخان عن جندب بن سليمان رضي الله عنه أنه قال: اشـتكى النبي ﷺ، فلم يَقُمْ لَيْلَةً أَو ليلتَين، فأَتت امرأَةٌ ـ وهي أم جميل ـ فقالت: يا مُحَمَّدُ ما أَرى شيطانك إلَّا قد تركك، فأَنزل الله عز وجل: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١ ـ ٣][١].

ولما نزلت سورة المسد في شـأنها وشأن زوجها جاءت بحَجَر حادٍّ، وظلَّت تبحث عن رسول الله ﷺ في ساحة البيت

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٥٠)، ومسلم (١٧٩٧).

الحرام، فلما دنت من رسول الله ﷺ أعمى الله بصرها، فلم تَرَ إلَّا أبا بكر فقالت: يا أبا بكر، بلغني أن صاحبك يهجوني أنا وزوجي، فوالله لئن وجدته لأضربـن بهذا الحَجَرِ وجهه[1]. ثم أنشـدت تقول: (أَمْرَهُ أَبَيْنَا، ودِينَهُ قَلَيْنَـا)، ثم انصرفت، فقال أبو بكر: يا رسـول الله، أما تراها رأتك؟ قال: «**ما رأتني، لقد أعمى الله بصرها عني**».

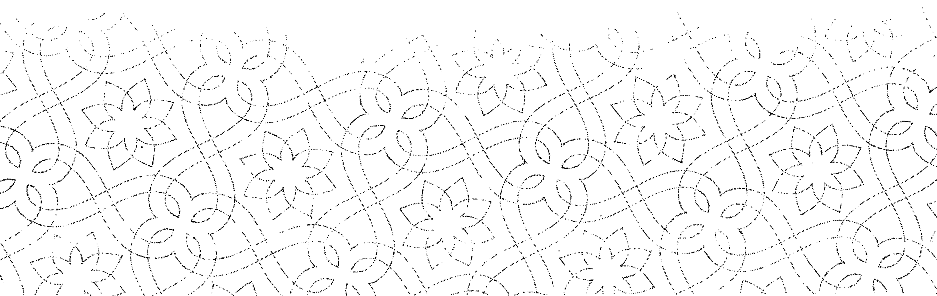
وقد توعَّدها الله ﷻ بعـذاب يوافق فعلهـا، فكما حصل لزوجها أبي لهـب وَعِيدٌ مقتبَس من كُنيتـه، جعل الله لامرأته وعيدًا مقتبَسًـا لفظُه من فِعلها، وهو حَمْل الحطب في الدنيا، فأُخْبِرَت بأنها سـتحمل الحطب فـي جهنم ليوقَـد به على زوجها، وذلك خزي لها ولزوجها؛ إذ جعل شدة عذابه على يد أحبِّ الناس إليه، وجعلها سببًا لعذاب أعزِّ الناس عليها.

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٥٣)، والحاكم (٣٣٧٦).

أعلام

الأماكن





الجنَّــة



هي مكان أعَدَّه الله لعباده المؤمنين، فيها ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سـمعت، ولا خطر علـى قلب بشـر(١)، من أنـواع المآكل والمشارب اللذيذة، والمناظر العجيبة، والأزواج الحسنة، والقصور الشـامخة، والغرف المزخرفة، والأشـجار المتدلِّية، والأصوات الشجية، وتزاوُر الإخوان، ورؤية الرحمٰن، فلا دار أحسن منها، فإن بناءَهَا لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلَاطُها(٢) المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، وأبوابها ثمانية، إذا دخلها أهلها نادى منادٍ: إن لكـم أن تصِحُّوا فلا تسـقموا أبدًا، وإن لكـم أن تحْيَوْا فلا تموتوا أبدًا، وإنَّ لكم أن تشِبُّوا فلا تَهرموا أبدًا.

وفي الجنَّة غُرَف يُرَى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدَّها الله لمن أطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام، وفيها خيمة من لؤلؤة واحدة مجوَّفة طولها في السماء ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهـم فلا يرى بعضهم بعضًا، وأول زمرة تدخل الجنـة على صورة القمر ليلـة البدر، ثم الذين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٢) المِلَاط: ما يُجْعَل بين الحجارة في البناء ليشدها.

يلونهم على أشد نجم في الســماء إضاءة، فيدخلونها جُرْدًا، مُرْدًا، بِيضًا، جِعــادًا[١]، مُكحَّلين، أبناء ثلاث وثلاثيــن، على خَلْق آدم، طولهم ستون ذراعًا في عرض سبعة أذرع، وهم لا يتغوَّطون فيها، ولا يبولــون، ولا يمتخطــون، ولا يبصقون، أمشــاطهم الذهب، ومجامِرُهم الأُلوَّة[٢]، ورَشْــحهم[٣] المســك، وثيابهم من سُنْدُس وإستبرق وحرير، فلا تَبْلَى ثيابهم، ولا يفنى شبابهم.

وفي الجنة شــجرة يســير الراكب فــي ظلهــا مائة عام لا يقطعها، وفي الجنة ســوق يأتونه كلَّ جمعــة، فتَهُبُّ ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حُسنًا وجَمالًا، فيرجعون إلى أهليهــم فيقولون لهم: والله لقــد ازددتم بعدنا حُسنًا وجمالًا، فيقولون لأهليهم: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حُســنًا وجمالًا، ثم ينادي منادٍ: يا أهل الجنة، إن لكم عند الله موعدًا يريد أن يُنجزكموه، فيقولون: ما هو؟ ألـم يُثَقِّل موازيننا، ويُبيِّــض وجوهنــا، ويدخلنا الجنــة، ويزحزحنا عــن النار؟ فيكشف لهم الحجاب فينظرون إليه، فوالله ما أُعطي أهل الجنة شيئًا أحب إليهم من النظر إليه ولا أقرَّ لأعينهم منه.

---

(١) الجعادة في الشعر: ألَّا يكون ســبطًا مسترسلاً ولا خَشِنًا ولكن بين بين، وفي الجسم أن يكون شديدًا.

(٢) أي: العود الذي يُتَبَخَّر به.

(٣) أي: عَرَقُهم.



الفردوس



هو ربوة الجنة، وأشرفها وأنورها وأجَلُّها وأعلاها، فليس فوق الفردوس إلَّا عرش الرحمن[1]، ومن الفردوس تتفجَّر أنهار الجنة، وأهل الفردوس هم السابقون المبادرون إلى فعل الخيرات ممن اختصّهم الله بمزيد فضله من الأنبياء والأصفياء والأولياء من عباد الله تعالى، وقد وصف الله ورثة هذا المكان الشريف بأوصاف جليلة ذكرها سبحانه في فاتحة سورة المؤمنون في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١ ـ ١١].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٩٠).

الكعبـة

الكعبة هي عبــارةٌ عن بناء مُكَعَّب مُجــوَّف من الداخل، وهي بيت الله الحرام، وأول بيت وُضِع لعبادة الله تعالى، وهي قبلة المسلمين، فليس على الأرض قِبْلَة سواها؛ وسُمِّيت كعبة لتربيعها، وارتفاعها مــن الأرض، واختُلِف في أول مَن بناها، فقيل: الملائكة، وقيل: آدم، وقيل: إبراهيم، ويُجمَع بين ذلك بأن أول من بناها الملائكة، ثــم جدَّدها آدم، ثم رفع قواعدها إبراهيم عليه السلام، وقد جعل إبراهيم عليه السلام طولها تسعة أذرع، وجعل لها بابَيْن ملاصِقَيْن للأرض أحدهما من الشــرق، والثاني من الغرب، ولم يجعل لها ســقفًا، ولا وضع علــى البابين أبوابًا تفتح وتغلق، وحفر في داخلها بئرًا يكون خزانةً لهداياه، وهي من الداخل تقــوم على ثلاثــة أعمدة ضخمة، وفــي الناحية الشــمالية يقع باب التوبة الذي يتم منه الصعود إلى ســطح الكعبة، ويغطي سقف الكعبة من الداخل وجانبًا من جدرانها ستائر من الحرير الأحمر عليها مربعات مكتوب فيها: (الله جلَّ جلاله)، وفي الناحية المقابلة لبــاب الدخول محراب، وبقية

الجدران مُغَطَّاة بالرخام المجـزَّع[١]، وبالكعبة صندوق ضخم تُحْفَظ فيــه بعض مقتنياتهــا، وقد تدلَّت من الســقف قناديل ضخمة من الذهب، وقد رُصِّعت[٢] بالجواهر واللآلئ.

وللكعبة أربعة أركان: «الركن الأســود، والركن الشامي، والركن اليماني، والركن العراقي»، وفي الكعبة الحجر الأسود الذي يقع في الركن الشرقي منها، وقيل: إنَّ آدم عليه السلام قد هبط به من الجنة فاسودَّ من خطايا الناس، وقد كان الحجر قبل هذا أشــد بياضًا من اللبن[٣]، وأول مَن وضع ميزابًا للكعبة قريش حين بنتها سنة خمس وثلاثين من ولادة المصطفى ﷺ، حيث كانت قبل ذلك بلا ســقف، وللكعبة خُدَّام يســمون بسَدَنة[٤] الكعبة، وهم المعروفون ببيت بني شَيْبة.

---

(١) أي: مُقَطَّع بألوان مختلفة.

(٢) أي: نُسِجَتْ وشُدَّ بعضها إلى بعض.

(٣) أخرجه الترمذي (٨٧٧)، وأحمد (٢٧٩٥).

(٤) أي: الخُدَّام والقائمين على أمرها.

المسجد الأقصى

هو المسجد المعروف ببيت المقدس الكائن بإيلياء، وأول مَن بناه آدم عليه السلام بعد أن بنى الكعبة بأربعين سنة[١]، فهو أول مسجد بُنِي في الأرض بعد الكعبة، ثم جدَّد بناءه إبراهيم عليه السلام، والمسجد الأقصى هو أولى القبلتين، حيث استقبله المسلمون في الصلاة من وقت وجوبها إلى ما بعد الهجرة بستة عشر شهرًا، ثم نُسخ استقباله، وصارت الكعبة قبلةَ المسلمين.

والمسجد الأقصى هو مسرى نبينا محمد ﷺ، وقد صلَّى فيه رسول الله ﷺ بالأنبياء عليهم السلام إمامًا، وهو أحد المساجد الثلاثة التي تُشَدُّ الرحال إليها[٢]، وسُمِّيَ بالأقصى؛ لأنه لم يكن وراءه مسجد وقتئذٍ، والصلاة فيه بخمسمائة صلاة[٣]، وكان أول مَن صلَّى فيه من المسلمين أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وجعل له حرمة المساجد، ولم يُبْنَ هنالك

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦)، ومسلم (٥٢٠).
(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).
(٣) أخرجه البزار في مسنده (٤١٤٢)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣٨٤٥).

مسجد إلَّا في عهد عبد الملك بن مروان الذي أمر بابتداء بناء القُبة على الصخـــرة، وعمارة المســـجد الأقصى، ووكل على بنائها رَجاء بن حَيْوَة الكِندي أحد علماء الإسلام، فابتدأ ذلك سنة ست وســـتين من الهجرة، وكان الفراغ من ذلك في سنة ثلاث وسبعين من الهجرة.

وهو مسجد مبارَك، وأسباب بركته كثيرة، منها أن واضعه إبراهيم عليه السلام، ومنهـــا ما لحقه من البركة بمـــن صلَّى فيه من الأنبياء عليهم السلام من داود وســـليمان ومَن بعدهما مـــن أنبياء بني إسرائيل، ثم بحلول الرســـول عيسى عليه السلام وإعلانه الدعوة إلى الله فيـــه وفيمـــا حولـــه، ومنهـــا بركـــة مَـــن دُفـــن حوله من الأنبياء عليهم السلام، فقد ثبت أن قبرَيْ داود وســـليمان عليهما السلام يقعان حول المسجد الأقصى.

وأعظـــم تلك البـــركات حلـــول النبـــي عليه السلام فيـــه برُفقة جبريل عليه السلام في حادثة الإسراء والمعراج، وصلاته فيه بالأنبياء كلهم ليلة الإسراء.

البيت المعمور

هو بيت في السماء السـابعة تحت العرش، بناه الملائكة الكرام عليهم السلام، يقـال له: الضراح[١]، يسـتند إليه خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، وهذا البيت بحيال الكعبة، فلو سـقط منه شيء لسـقط عليها، ويدخله سـبعون ألف ملك كل يـوم للعبادة والصلاة والطـواف، فإذا خرجوا منه لم يعـودوا إليه إلى يوم القيامة[٢]، وحرمة هـذا البيت في السـماء كحرمة الكعبة في الأرض، فهو مُعظَّم في أهل السماء، كما أن الكعبة مُعظَّمة في أهل الأرض، ووُصِف هذا البيـت بالعمارة باعتبار من يدخل إليه من الملائكـة، ويتعبَّد الله فيه، أو فـي كونه لا يخلو من طائف بـه، وفي كل سـماء بيت يتعبَّـد فيه أهلهـا لله تبارك وتعالى، ومن تلك البيوت «بيت العزة» في السماء الدنيا، وهو البيت الذي نزل فيه القرآن من اللوح المسطور.

---

(١) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٣٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤).



طُوى



هو اسمٌ للوادي المقدس ـ الـمُطَهَّر الـمُعَظَّم ـ الذي اختاره الله تعالى لمناجاة كليمه موسى عليه السلام، وذلك لما سار موسى عليه السلام بأهله من مَدْيَن بعد قضاء الأجل عائدًا إلى مصر، وكانت تلك الليلة ليلة مُظْلِمة شاتية، فضَلَّ موسى الطريقَ، ودخل بأهله هذا الوادي الواقع بالجانب الغربي الأيمن لجبل الطور بأرض سيناء، فرأى نارًا مشتعلة في شجرة في سَفْح الوادي، فطلب من أهله أن يمكثوا قليلًا لكي يذهب إلى النار لعله يجد أحدًا فيسأله عن الطريق، أو يأتيهم بشهاب قَبَسٍ يستدفئون به.

فلما وقف موسى عليه السلام بجانب الشجرة المشتعلة نارًا ناداه ربه، وأخبره بأنه بالوادي المقدس طوى، وأمره بأن يخلع نعليه؛ ليباشر بقدمَيه تراب هذه الأرض المقدَّسة، فيناله من بركتها، وأخبره سبحانه بأنه اختاره واصطفاه لرسالته، وأظهر له آياته الدالة على صدق رسالته؛ ليتقوَّى بها، ويزداد إيمانه ويقينه بربه، وأمره بالمسير إلى فرعون الطاغية لكي يدعوه إلى عبادة ربه؛ وسُمِّي الوادي بطوى؛ لأن موسى عليه السلام طواه بالليل؛ إذ مَرَّ به فارتفع إلى أعلى الوادي، وسَمَّاه الله تعالى مقدَّسًا؛ لأنه كان فيه الوحي إلى موسى عليه السلام.

الجُودِي

هو اسم جبل اســتوت عليه ســفينة نوح عليه السلام بعد حادثة الطوفان، حيث حمل في السفينة من الدواب من كلٍّ زوجَيْن اثنين، واختلف العلماء في موقع هذا الجبل على ثلاثة أقوال:

الأول: أنه بالموصل؛ رواه أبو صالح عن ابن عباس، وبه قال الضحاك.

الثاني: بالجزيرة؛ قاله مجاهد، وقتــادة. وقال مقاتل: هو بالجزيرة قريب من الموصل.

والثالث: أنه بناحية آمِد؛ قاله الزجاج.

وفي علّة استواء السفينة على هذا الجبل قولان للعلماء:

أحدهمــا: أنه لــم يغــرق؛ لأن الجبال تشــامخت يومئذ وتطاوَلت، وتواضَع هو فلم يغرق، فرَسَتْ عليه؛ قاله مجاهد.

والثاني: أنه لما قلَّ الماء رَسَتْ عليه، فكان استواؤها عليه دلالةً على قلة الماء.



إرَم



هي إرَم ذات العماد، التي لم يُخْلَق مثلها في البلاد، وهي مدينة باليمن بين حضرموت وصنعاء، مِن بناء شدَّاد بن عاد، وقد كان شدَّاد جبَّارًا، ولما سمع بالجنة وما أعد الله فيها لأوليائه من قصور الذهب والفضة والمساكن التي تجري من تحتها الأنهار، والغُرَف التي من فوقها غرف، قال لكُبَرائه: إني مُتَّخِذٌ في الأرض مدينة على صفة الجنة، فوكل بذلك مائة رجل من وكلائه وقهارمته[1]، تحت يد كل رجل منهم ألف من الأعوان، وأمرهم أن يطلبوا فضاء فلاة من أرض اليمن، ويختاروا أطيبها تربةً، ومكَّنهم من الأموال، ومثَّل لهم كيف يعملون، وكتب إلى عماله الثلاثة: غانم بن علوان، والضحاك بن علوان، والوليد بن الريّان، يأمرهم أن يكتبوا إلى عُمَّالهم في آفاق بلدانهم أن يجمعوا جميع ما في أرضهم من الذهب، والفضة، والدُّرِّ، والياقوت، والمسك، والعنبر، والزعفران، فيتوجَّهوا به إليه، ثم وجَّه إلى جميع المعادن،

---

(١) القهارمة: جمع قهرمان، وهو الخازن والحافظ لما تحت يده والقائم بأمور الملك.

فاســتخرج ما فيها من الذهب والفضة، ثم وجَّه عمَّاله الثلاثة إلى الغوَّاصين إلى البحار، فاستخرجوا الجواهر، فجمعوا منها أمثال الجبــال، وحُمِل جميع ذلك إلى شــداد، ثــم وجَّهوا الحفارين إلى معــادن الياقوت، والزبرجد، وســائر الجواهر، فاســتخرجوا منها أمرًا عظيمًــا، فأمر بالذهــب فضُرِب أمثال اللَّبِن، ثم بنى بذلــك تلك المدينة، وأمر بالــدُّرِّ، والياقوت، والجَزْع(١)، والزبرجد، والعقيــق، ففصَّص به حيطانها، وجعل لها غُرَفًا من فوقها غرف، مُعَمَّد جميع ذلك بأساطين الزبرجد، والجزع، والياقوت، ثم أجرى تحت المدينة واديًا، ساقه إليها من تحت الأرض أربعين فرسخًا، كهيئة القناة العظيمة، ثم أمر فأُجْرِي من ذلك الوادي سَــوَاقٍ في تلك السكك، والشوارع، والأزِقَّة، تجــري بالماء الصافــي، وأمر بحافَّتَــيْ ذلك النهر وجميع السواقي فطُلِيَتْ بالذهب الأحمر، وجعل حصاه أنواع الجواهر: الأحمر، والأصفر، والأخضــر، فنصب على حافتي النهر والسواقي أشــجارًا من الذهب مثمرة، وجعل ثمرها من تلك اليواقيــت والجواهــر، وجعل طول المدينة اثني عشــر فرسخًا، وعرضها مثل ذلك، وصيَّر سورها عاليًا مُشْرِفًا، وبنى فيها ثلاثمائة ألف قصر، مُفَصَّصةً بواطنها وظواهرها بأصناف الجواهر، ثم بنى لنفسه في وســط المدينة على شاطئ ذلك

---

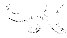
(١) هو الخرز اليماني.

النهر قصرًا عاليًا يُشْرِف على تلك القصور كلها، وجعل بابها يشــرع إلى الوادي، بمــكان رحيب واســع، ونصــب عليه مصراعَين من ذهب، مُفَصَّصَيْن بأنواع اليواقيت، وأمر باتخاذ بنادق مــن مســك وزعفــران، فأُلْقِيَــتْ في تلك الشــوارع والطرقــات، وجعل ارتفاع تلــك البيوت في جميــع المدينة ثلاثمائة ذراع في الهواء، وجعل الســور مرتفعًا ثلاثمائة ذراع مُفَصَّصًا خارجه وداخله بأنواع اليواقيت وظرائف الجواهر، ثم بنى خارج ســور المدينة ثلاثمائة ألف مَنْظَرة[1] بلَبِن الذهب والفضة عالية مرتفعة في السماء، مُحْدِقَةً بسور المدينة، لينزلها جنوده، ومكث في بنائها خمســمائة عام، فــأراد الله تعالى أن يقيم الحجّة عليه وعلى جنوده بالرســالة، والدعاء إلى التوبة والإنابة، فانتجب لرســالته إليه هــودًا عليه السلام، وكان من صميم قومه وأشــرافهم، ثم إن هودًا عليه السلام أتاه فدعــاه إلى الله تعالى، وأمره بالإيمان، والإقرار بربوبيــة الله عز وجل ووحدانيته، فتمادى في الكفــر والطغيان، وذلك حين تمَّ لِمُلْكه ســبعمائة ســنة، فأنذره هود عليه السلام بالعــذاب، وحذَّره وخوَّفــه زوالَ ملكه، فلم يرتدع عمّا كان عليه، ولم يُجِبْ هــودًا عليه السلام إلى ما دعاه إليه، ووافاه الموكَّلــون ببناء المدينة، وأخبــروه بالفراغ منها، فعزم على الخــروج إليها في جنوده، فخرج فــي ثلاثمائة ألف من

---

(١) هي موضع يكون فيه الحُرَّاس ليراقبوا العدو.

حرسه وحاشــيته ومواليه، وســار نحوها، وخلَّف على ملكه بحضرموت وســائر أرض العرب ابنه مرثد بن شــدَّاد، وكان مرثد ـ فيمــا يقال ـ مؤمنًــا بهود عليه السلام، فلما قرب شــداد من المدينة، وانتهى إلى مرحلة منها، جاءت صيحة من الســماء، فمات هو وأصحابه أجمعــون، حتى لم يَبْقَ منهــم مُخْبِرٌ[1]، ومات جميع مَن كان بالمدينة من الفَعَلة، والصُّنَّاع، والوكلاء، والقهارمة، وبَقِيَت خلاءً خربة لا أنيس بها.



(١) أي: لم يَبْقَ منهم أحد يســتطيع نقل أخبارهم إلى من وراءهم، فقد ماتوا جميعًا.



بـابـل



هو بلدٌ قديمٌ من أقدم مدن العالم، وأصل الاســم باللغة الكلدانية: بــاب إيلو، أي: باب الله، ويرادفــه بالعبرانية: باب إيل، وسُمِّيَت بابل بهذا الاسم؛ لأن أَلْسُن الناس تَبَلْبَلَتْ بها، وبابل هــو بلد كائــن على ضفتــي الفرات بحيــث يخترقه الفرات، يقــرب موضعه من موقع بلد الحلــة الآن على بُعْد أميال من ملتقى الفــرات والدجلة، وكانت مــن أعظم مدن العالم القديم، بناهــا أولًا أبناء نوح عليه السلام بعــد الطوفان فيما يقال، ثم توالــى عليها اعتنــاء أصحاب الحضــارة بمواطن العراق في زمــن الملك النمرود في الجيــل الثالث من أبناء نوح، ولكن كانت عظمــة بابل في حدود ســنة ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وخمسين قبل المسيح عيسى عليه السلام، فكانت إحدى عواصــم أربعة لمملكــة الكلدانيين، وهــي أعظمها وأشهرها، ولم تَزَلْ هِمَم ملوك الدولتين الكلدانية والأشورية منصرفة إلى تعمير هذا البلد وتنميقه، فكان بلد العجائب من الأبنيــة والبســاتين، ومنبع المعــارف الآســيوية والعجائب الســحرية، وقد نزل فيها الملكان هاروت ومــاروت بعد أن



انتشر السـحر فيها، وقد نسـبوا إليها قديمًا الخمر الـمُعَتَّقَة والسحر، حيث قال أبو الطيب المتنبي:

سقى الله أيام الصِّبا ما يَسُرُّها ويفعل فِعْلَ البابلي المعتَّق

وقيل: بل بناها بيوراسـب الجبار، واشتقَّ اسمها من اسم المشتري؛ لأن (بابل) باللسـان البابلي الأول اسم للمشتري، ولما تَمَّ بناؤها جمع إليها كلَّ مَن قَدَرَ عليه من العلماء، وبنى لهم اثني عشـر قصرًا، على عدد البروج، وسَمَّاها بأسمائهم، فلم تَزَلْ عامرة حتى كان الإسـكندر المقدونـي، وهو الذي خرَّبها، والله أعلم.



بــدر



هو ماءٌ مشهور بين مكة والمدينة أســفل وادي الصَّفراء، بينه وبين الجار ـ وهو ساحل البحر ـ ليلة، ويقال: إنه يُنْسَب إلى بدر بن يخلد بن النضر بن كنانة، وقيل: بل هو رجل من بني ضمرة ســكن هذا الموضع فنُسِــب إليه، ثم غلب اسمه عليه، وبهذا الماء (ماء بدر) كانت الوقعة المشــهورة المباركة التي أظهر الله بها الإســلام، وفــرَّق بين الحــقِّ والباطل في السابع عشر من شهر رمضان سنة اثنتين للهجرة.

المدينة

هي مدينة رسول الله ﷺ، دار الهجرة، طابة وطيبة الطيبة، مَأْرِز الإيمان[1]، وملتقى المهاجرين والأنصار، ومُتَنَزَّل جبريل الأمين على الصادق الأمين، وأول عاصمة لدولة الإسلام، فيها عقد ألوية الفتوح، ومنها شَــعَّ النور، وأشرقت الهداية، وفيها عاش المصطفى ﷺ، وبها مات ودُفِن، ومنها يُبْعَث، وهي خير البقــاع بعد مكــة، جعلهــا الله حَرَمًا آمنًــا، فلا يُــؤْوَى فيها مُحْدِث[2]، ولا يُهراق فيها دم، ولا يُحْمَل فيها ســلاح لقتال، ولا يُخْتَلى خلاها، ولا يُعْضَد شوكها[3]، ولا تؤخذ لُقَطَتُها إلَّا لِمُنْشِد، وهي مبارَكة بدعوة رسول الله ﷺ لها: «**اللهمَّ بَارِكْ لنا في مدينتنــا، وفي ثمارنا، وفــي مُدِّنا، وفي صاعنــا بركةً مع**

(١) أخرجه البخاري (١٨٧٦)، ومســلم (١٤٧): «إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحيّة إلى جحرها».

(٢) أي: لا يتستر فيها على مرتكب جناية مطلوب في حد.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٧٢)، ومسلم (١٣٦٦): «فمن أحدث فيها حدثًا، أو آوى فيها محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يُقبل منه صرف ولا عدل».

بركة»[١]، ولا يدخل المدينة الطاعون ولا الدجال، وهي تنفي المنافقين كما ينفي الكِيرُ[٢] خَبَثَ الحديد[٣].

وفي المدينة مسجد النبي ﷺ الذي بناه بيده مع أصحابه، والصلاة فيه أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلَّا المسجد الحرام[٤]، وفيها أيضًا مسجد قباء الذي أُسِّسَ على التقوى من أول يوم، وأخبر رسول الله ﷺ أنه يشفع لمن سكن المدينة، وصبر على شدتها، ومات فيها[٥]، وأخبر أيضًا أنَّ مَن أخاف أهلها أخافه الله[٦]، ومن أرادهم بسوءٍ أهلكه الله وأذابه في النار.

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٨٩)، ومسلم (١٣٧٦)، من حديث عائشة، ومسلم (١٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٢) الكير: آلة يستخدمها الحداد ينفخ بها النار.

(٣) أخرجه البخاري (١٨٧١)، ومسلم (١٣٨١).

(٤) أخرجه البخاري (١١٩٠)، ومسلم (١٣٩٤).

(٥) أخرجه مسلم (١٣٧٧).

(٦) أخرجه أحمد (١٤٨١٨)، وابن حبان (٣٧٣٨).

مكة

هي بَكَّة، وأم القرى، والبلد الأمين، مهبط الوحي، ومنبع الرسالة، ومسكن هاجر وابنها، وأقسمَ الله بها في كتابه فقال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد: ١، ٢]، وقد دعا لها إبراهيم الخليل عليه السلام قائلًا: ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٢٦]، ودعا أيضًا بمحبة قلوب الناس لمكة، وفرحهم بالقدوم إليها، فقال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧]، ففي مكة بيت الله العتيق؛ أول بيتٍ وُضِع للناس، وقد جعل الله مكة حرمًا آمنًا، لا يُسْفَك فيها دم، ولا تُعْضَد بها شجرة، ولا يُنَفَّر لها صيد، ولا يُخْتَلَى خَلاها(١)، ولا تُلْتَقَط لُقَطَتُها، وفيها مقام إبراهيم عليه السلام، والصلاة في مسجدها أفضل من مائة ألف صلاة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٤٩)، ومسلم (١٣٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (١٦١١٧)، وابن حبان (١٦٢٠) بلفظ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد، إلَّا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في هذا».

ومكة هي خيــر البلاد وأحبها إلى الله ورســوله ﷺ، فقد روى الترمذي في سُنَنه من حديث عبد الله بن عدي رضي الله عنه، أن النبي ﷺ قال: «**والله إنك لخير أرضِ الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أني أُخْرِجْتُ منكِ ما خرجت**»[1]، وقد خُصَّتْ مكة بالحج والعمرة، والطواف بالبيت، واســتلام الحَجَر الأســود والركن اليماني، والسعي بين الصفا والمروة، وفيها أشرف ماء على الإطلاق؛ ماء زمزم المباركة.

ومكة هي البلد التي وُلِد فيها أشــرف الخلق ﷺ، وفيها بُعِــث، وفيها نزل أعظم كتــاب وهو القــرآن الكريم؛ ليكون رســالة للعالمين، ومنها خرج النبي ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، وعاد إليها فاتحًا سنة ثمانٍ من الهجرة.

---

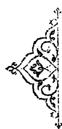
(١) أخرجه الترمذي (٣٩٢٥)، وابن ماجه (٣١٠٨).

أدنى الأرض

هو غور الأردن، وهو أخْفض نقطة في الأرض، وقد وقعت فيه معركة بين فارس والروم، وكان ذلك قبل الهجرة بخمس سنين، وذلك أن خسرو بن هرمز ملكَ الفرس غزا الروم في بلاد الشام وفلسطين، وهي من البلاد الواقعة تحت حكم هرقل قيْصر الروم، فقاتَل أهل أنطاكية، ثم أهل دمشق، وكانت الهزيمة العظيمة على الروم في أطراف بلاد الشام المحاذية لبلاد العرب، وكانت هذه الهزيمة هزيمةً كبرى للروم، فلما بلغ الخبر أهل مكة شقَّ على المؤمنين؛ لأن الفرس كانوا مجوسًا لا يَدِينون بكتاب، والروم كانوا أهل كتاب؛ وفرح المشركون وقالوا: أنتم والنصارى أهل كتاب، ونحن والفرس أُمِّيُّون، وقد ظهر إخواننا على إخوانكم، ولنظهرن نحن عليكم، فنزلت ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝ فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ [الروم: ١ ـ ٤]، فغلب الروم الفرس بعد بِضْعَ سنين، وعلى إثره جاء هرقل إلى بلاد الشام ونزل حِمص، ولقي في تلك الأثناء أبا سفيان بن حرب في رهط من أهل مكة جاؤوا تجارًا إلى الشام؛ ليسألهم عن النبي المبعوث فيهم ﷺ.



مسجد الضرار



هو مسجد بناه أناس من المنافقين لأبي عامر الراهب، وكان أبو عامر بالمدينة قبل مَقْدَم رسول الله ﷺ إليها، وكان قد تنصَّر في الجاهلية، وقرأ علم أهل الكتاب، وكان فيه عبادة في الجاهلية، وله شرف في الخزرج كبير، فلما قَدِم رسول الله ﷺ مهاجرًا إلى المدينة، واجتمع المسلمون عليه، وصارت للإسلام كلمة عالية، وأظهرهم الله يوم بدر، بارَز اللعين بالعداوة، وظاهَر بها، وخرج فارًّا إلى كفار مكة من مشركي قريش فألَّبَهُم على حرب رسول الله ﷺ، فاجتمعوا بمن وافَقَهم من أحياء العرب، وقَدِموا عام أُحُد، فكان من أمر المسلمين ما كان، وامتحنهم الله، وكانت العاقبة للمتقين، وكان هذا الراهب قد حفر حفائر فيما بين الصفَّيْن، فوقع في إحداهن رسول الله ﷺ، وأُصِيب ذلك اليوم، فجُرِح في وجهه، وكُسِرَت رَباعِيَتُه اليمنى السفلى، وشُجَّ رأسه، صلوات الله وسلامه عليه.

وتقدَّم أبو عامر في أول المبارزة إلى قومه من الأنصار، فخاطَبهم واستمالهم إلى نصرته وموافقته، فلما عرفوا كلامه قالوا: لا أنعمَ الله بك عينًا يا فاسق يا عدو الله، ونالوا منه

وسَــبُّوه، فرجع وهو يقول: والله لقد أصاب قومي بعدي شر، وكان رســـول الله ﷺ قد دعاه إلى الله قبل فراره، وقرأ عليه من القرآن، فأبى أن يُسْــلِم وتمرَّد، فدعا عليه رســـول الله ﷺ أن يموت بعيدًا طريــدًا، فنالته هذه الدعوة؛ وذلــك أنه لما فرغ الناس من أُحُد، ورأى أمر الرســـول صلوات الله وسلامه عليه في ارتفاع وظهور، ذهب إلى هرقل ملك الروم، يستنصره على النبي ﷺ، فوعده ومَنَّاه، وأقام عنـــده، وكتب إلى جماعة من قومه من أهل المدينة من المنافقين يَعِدُهم ويُمَنِّيهم أنه سيقدم بجيـــش يقاتل به رســـول الله ﷺ ويغلبه، ويَــرُدُّه عما هو فيه، وأمرهم أن يتَّخذوا له معقلًا يقدَم عليهم فيه مَن يَقْدَم من عنده لأداء كتبه، ويكون مرصدًا له إذا قدم عليهم بعد ذلك، فشرعوا في بناء مســـجدهم مجاورًا لمســـجد قباء، فبَنَـــوْه وأحكموه، وفرغوا منـــه قبل خروج النبي ﷺ إلى تبوك، وجاؤوا فســـألوا رســـول الله ﷺ أن يأتي إليهم فيصلي في مسجدهم؛ ليَحْتَجُّوا بصلاته عليه، وذكـــروا أنهم إنما بَنَوْه للضعفـــاء منهم، وأهل العلة في الليالي الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه، فقال: «**إنا على سَفَرٍ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله**»[1].

وفي طريق عودته ﷺ إلى المدينة من تبوك، ولم يَبْقَ بينه وبين المدينة إلَّا يـــوم أو بعض يوم، نزل عليـــه الوحي بخبر

---

(١) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٢٩.

مســجد الضرار، فبيَّن تعالى خزيهم، وأظهر سِــرَّهم، وأنهم يريدون بهذا المســجد المضارَّة والمشــاقة بيــن المؤمنين، ويَعُدُّونَه لمن يرجونه من المحاربين لله ورســوله ﷺ، ويكون لهم حصنًا عند الاحتياج إليه، فبعث رســول الله ﷺ إلى ذلك المســجد من يهدمه قبل مَقْدَمِه للمدينة، فهُدِّم وحُرِّق، وصار بعد ذلك مزبلة، وهلك أبو عامر الراهب الذي كان في طريقه إليهم.

الصفا والمروة

هما جبلان صغيران متقابلان، فأما الصفا فرأس نهاية جبل أبي قُبَيْس، وأما المروة فرأس منتهى جبل قُعَيقِعَانَ، وسُمِّي الصفا بذلك؛ لأن حجارته من الصفا، وهو الحجر الأملس الصلب، وسُمِّي المروة مروةً لأن حجارتها من المرو، وهي الحجارة البيضاء اللينة التي تُورِي النار، وهما من شعائر الله، ويرجع بَدْء السعي بين الصفا والمروة إلى زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، حيث تعتبر زوجته هاجر أول مَن سعى بين الصفا والمروة، حينما كانت تلتمس الماء لابنها إسماعيل عليه السلام، فكانت تصعد على جبل الصفا ثم تنزل حتى تصل جبل المروة، وقد كرَّرت ذلك سبعة أشواط، حتى وجدت الماء عند موضع زمزم، فشربت وأرضعت ابنها.

ثم جعل أهل الجاهلية على الصفا إسافًا، وعلى المروة نائلة، وهما صنمان، فكانوا في الجاهلية إذا سعوا مسحوهما، فلما جاء الإسلام وكُسرت الأوثان كَرِه المسلمون الطواف بينهما؛ لأجل فِعْل الجاهلية، وأن لا يكون عليهم جناح في ذلك، فرفع الله عنهم الجناح، وجعل السعي بين الصفا

والمروة من شعائر الحج والعمرة، والصفا هو الموضع الذي شـــهد إعلان دعوة نبينا محمد ﷺ إلى الإسلام، فقد روى ابن عباس قال: لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، ورهطك منهم المخلصين؛ خرج رســول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه**»، قالوا: من هذا الذي يهتف، قالوا: محمد، فاجتمعــوا إليه فقال: «**أرأيتكم لــو أخبرتكم أن خيلًا تخرج بســفح هذا الجبل أكنتم مُصَدِّقِيَّ؟**»، قالــوا: ما جَرَّبْنا عليك كذبًا، قال: «**فإني نذير لكم بين يَدَيْ عذاب شديد**»[1]، الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (٤٧٧٠)، ومسلم (٢٠٨).

مصر

هي أُم البلاد، وغَوْث العباد من الحاضر والبَادِ، ومَهْد الحضارات، ففيها آثار الأنبياء، وجبل الطور، والوادي المقدس طوى، وأرض سيناء، ومشاهد يوسف عليه السلام، وعجائب موسى عليه السلام، فمصر خزانة الأرض كلها، وسلطانها سلطان الأرض كلها، وقد جعلها الله تعالى متوسطة الدنيا، فهي في الإقليم الثالث والرابع، فسَلِمَتْ من حرِّ الإقليم الأول والثاني، ومن بَرْدِ الإقليم الخامس والسادس والسابع، فطاب هواؤها، ونقي جوها، وضعف حَرُّها، وخَفَّ بَرْدُها، فكثر خصبها، ورَغَد عيشها، وقد ذكر الله تعالى مصر في أربعة مواضع من كتابه الكريم، وفي ذلك تشريف لها وتكريم، ووصف أرضها بأبلغ وصف وأحسنه، فقال عز وجل: ﴿كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝ وَنَعْمَةٍ كَانُوا۟ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴾ [الدخان: ٢٥ ـ ٢٧].

وقال عبد الله بن عمرو عن مصر: «من أراد أن ينظر إلى الفردوس فلينظر إلى أرض مصر حين تخضر زروعها، ويُزْهِر ربيعها، وتُكْسَى بالنَّوار أشجارها، وتغني أطيارها»، ففي مصر النهر العظيم المبارَك نهر النيل الذي ينبع أصله من الجنة كما

أخبر بذلك النبي ﷺ، وفيها الجبل الذي انهدَّ حين تجلَّى له المولى ﷻ، وفيها الربوة التي أوى إليها عيسى عليه السلام وأمه، وعلى أرضها آمن سحرة فرعون بموسى، وعلى أرضها ضرب موسى عليه السلام البحر بعصاه فظهرت آية عظيمة بانشقاق البحر عن أرض يابسة في وسطه.

ودخل مصر من الأنبياء إبراهيم ويعقوب، والأسباط، ويوسف وموسى وهارون ويوشع وأيوب، ومن أهل مصر هاجر القبطية أم إسماعيل الذبيح أبي العرب، ومارية القبطية أم إبراهيم بن محمد ﷺ، ومن أهل مصر المرأة الصالحة آسيا زوجة فرعون، وأم موسى وأخته، ومؤمن آل فرعون، وفي مصر أول جامع بُنِي في أفريقيا جامع عمرو بن العاص، وقد ضبط قبلتَه جماعة كثيرة من الصحابة، وقد أوصى رسول الله ﷺ بأهل مصر قائلًا: «**أحسنوا إلى أهلها؛ فإن لهم ذمة ورحمًا**»[1].

(١) أخرجه مسلم (٢٥٤٣) بلفظ: «**إنكم ستفتحون أرضًا يُذكَر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرًا، فإن لهم ذمة ورحمًا**».

النــار

هي الجحيم، والحُطَمة، وجهنم، ولظى، وسَقَر، دار أَعَدَّها الله للكافرين، قد أُوقِد عليها ألف سـنة حتى ابيضَّت، وألف سـنة حتى احمرَّت، وألف سنة حتى اسـودَّت، فهي سوداء مظلمة لا يضـيء شَـرَرُها، ولا يُطْفَأ لهبهـا[١]، يُؤتَى بها يوم القيامة لها سـبعون ألف زمـام، مع كل زمام سـبعون ألف ملَك[٢]، قد فُتِحت أبوابها السـبعة، لكل باب من أهلها جزء مقسـوم، وَقُودُها النـاس والحجارة، تُوصَد عليهـم في عَمَدٍ ممدودة، ويغشاهم عذابها من فوقهم ومن تحت أَرْجُلِهم، وهم يصرخـون فيها ويبكـون، قد خصـوا بالبعـاد، وحُرِموا لذة الإسـعاد، بُدِّلت وضاءة وجوههم بالسـواد، وضُرِبُوا بمقامع أقوى من الأطـواد، وعليهـا ملائكة غلاظ شـداد، وهم في الحميم يسرحون، وعلى الزمهرير[٣] يُطْرَحُون، فحزنهم دائم، ومالكٌ عليهـم قائم، ومقامهـم محتوم، فما منهـم من أحدٍ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٩١)، وابن ماجه (٤٣٢٠).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٤٢).

(٣) شدّة البرد التي أعدَّها الله عذابًا للكفار في الآخرة.

مرحوم، لا يهدؤون فيهــا ولا ينامــون، ولا يموتون فيها ولا يحيون، شرابهم من صديد أهلها، وطعامهم من زَقُّوم وضريعٍ، لا يُسْــمِن ولا يغني من جوع، يفترشــون النــار ويلتحفونها، وقمصانهم من نار وقطران، وتَغْشَــى وجوهَهم النار، وهم في سلاســل وقيود مُقَرَّنين، بأيــدي الخزنة يجذبونهــم مُقْبِلين ومُدْبِرِين، كلمــا احترقت جلودهــم بُدِّلُوا بجلــود غير هذه الجلود، وأهونهم عذابًا من له نعلان وشِراكان[١] من نار يغلي منهما دماغه كما يغلي المرجل[٢]، وقد اشتكت النار إلى ربها، فقالت: ربي، أكل بعضي بعضًا، فأَذِنَ لها بنَفَسَــيْن: نَفَس في الشــتاء، ونَفَس في الصيــف[٣]، والنار تُبْصِر وتــرى وتتكلَّم وتغتاظ، فمن أقوالهــا: ﴿هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [قٓ: ٣٠]، ومن أقوالها: «إني وُكِّلت بثلاثة: بكل جبارٍ عنيد، وبكل مَن دعا مع الله إلٰه آخر، وبالمصوِّرين»، ولها دركات سبع، والمنافقون في أسفل دركاتها، وهي تضيق علــى أهلها، ولا يبقــى فيها مكان، قد امتلأت بأهلها، وضاقت عليهم أرضها، وهم فيها في حسرات وحسرات.

---

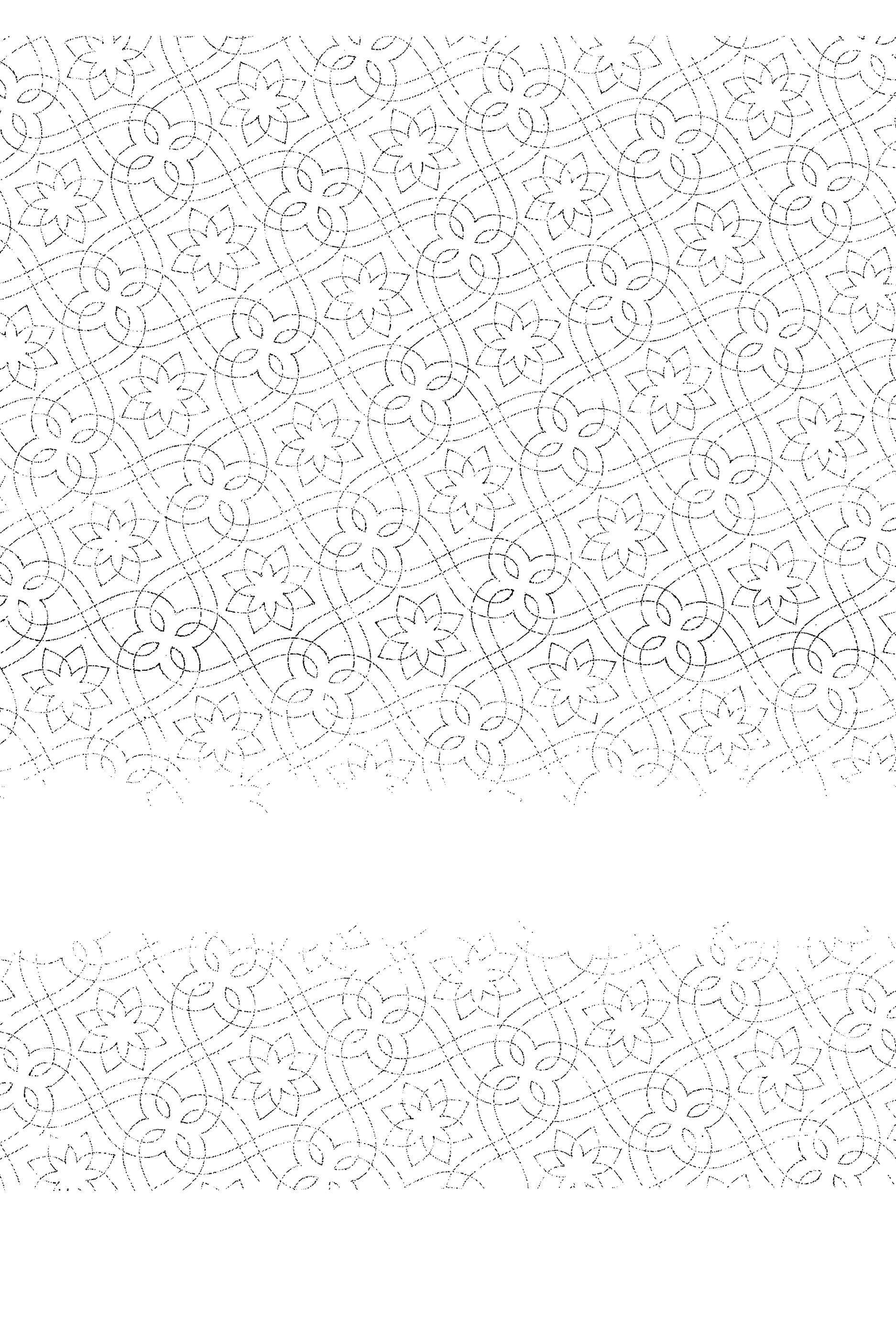
(١) الشراك: السَّيْر الذي يكون على وجه النعل.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٦٢)، ومسلم (٢١٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٧)، ومسلم (٦١٧).

أعلام

الأزمنة





شهر رمضان



هو الشهر التاسع من الشهور العربية في التقويم الهجري، وقد سُــمِّي رمضان بهذا الاســم؛ لأن العرب لما نقلوا أسماء الشهور عن اللغة القديمة ســموها بالأزمنة التي وقعت فيها، فوافق هذا الشهر أيام شدة الحر ورَمضه، فسُمِّي به.

وهو شــهرٌ عظيم مبارك، أنزل الله فيه القرآن، وفرض الله على المســلمين صيامه، وفيه تُفْتَح أبــواب الجنة، وتُغلَق فيه أبواب النار، وتُغَلُّ[1] فيه مَرَدَةُ الشياطين[2]، وينادي فيه منادٍ كل ليلة: يا باغي الخير أَقْبِلْ، ويا باغي الشــر أَقْصِرْ، ولله في كل ليلة منه عتقاء من النار، وهو شهر القيام وتلاوة القرآن، وشهر العتق والغفران، وشــهر الصدقات والإحسان، وشهر تُضاعَف فيه الحســنات، وتُقال فيه العثرات[3]، وتُجاب فيه الدعوات، وتُرفع فيه الدرجات، وتُغفر فيه الســيئات، شهر يجود الله فيه ســبحانه على عباده بأنــواع الكرامات، ويُجــزِل فيه لأوليائه

---

(١) أي: تُقَيَّد بالسلاسل.

(٢) مردة الشياطين: هم العتاة الأشِدَّاء.

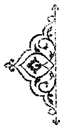
(٣) أي: يَعْفُو الله فيه عن الزَّلَّات والذنوب.

العطيات، وهو شـهرٌ جعل الله صيامه أحد أركان الإسـلام، فصامه المصطفى ﷺ، وأمر الناس بصيامه، وأخبر ﷺ أن مَن صامه إيمانًا واحتسـابًا غفر الله له ما تقدَّم من ذنبه، ومن قامه إيمانًـا واحتسـابًا غفـر الله لـه ما تقـدَّم مـن ذنبـه، وكان رسـول الله ﷺ أجـود ما يكـون فـي رمضـان حيـن يلقاه جبريل عليه السلام، وكان يلقاه في كل ليلة من شهر رمضان فيدارسه القرآن.





ليلة القدر



هي ليلةٌ من ليالي شهر رمضان، ابتُدِئ فيها نزول القرآن العظيم، وهي أشرف الليالي؛ حيث العمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها هذه الليلة، وألف شهر يعادل ثلاثًا وثمانين سنة وأربعة أشهر، وليلة القدر هي ليلة سلام وأمان، تتنزَّل فيها ملائكة الرحمن، مَن قامها إيمانًا واحتسابًا غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه، وسُمِّيَت ليلة القدر بهذا الاسم لعِظَمِها، وشرفها، وقَدْرها، ولأن الله يَقْدُر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السَّنة القابلة؛ من أمر الموت، والأجل، والرزق، وغيره، فقد أنزل فيها كتابًا ذا قَدْر على رسول ذي قَدْر على أمة ذاتِ قَدْر.

وقد تواترت الأحاديث الشريفة في فضل هذه الليلة، وأنها في شهر رمضان، وفي العشر الأواخر منه، خصوصًا في أوتاره، وهي باقية في كل سنة إلى قيام الساعة؛ ولهذا كان النبي ﷺ يعتكف، ويُكْثِر من التعبُّد في العشر الأواخر من رمضان رجاءَ ليلة القدر.

والحكمة في إخفاء ليلة القــدر؛ ليجتهد الناس في إحياء جميع الليالي العشر، كما أخفى ﷻ ساعة الإجابة في الدعاء؛ ليبالِغُوا في كل الساعات، وأخفى الاسم الأعظم؛ ليُعَظِّموا كل الأســماء، وأخفى قبول التوبة؛ ليحافظوا على جميع أقســام التوبة، وأخفى وقت الموت؛ ليخاف الموتَ المكلَّفُ، وكذلك أخفى هذه الليلة؛ ليُعَظِّموا جميع ليالي رمضان.

وقد ســألت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: إن وافقتُ ليلة القدر فما أدعو؟ قــال: «**قولي: اللهمَّ إنك عَفُوٌّ تُحِبُّ العفو فاعف عني**»[1].



(١) أخرجه الترمذي (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠).



يوم الجمعة



هو خير يوم طلعت فيه الشمس، يوم عيد لأهل الإسلام، يجتمعون فيه في كل أسبوع مرة بالمساجد الكبار، وهو يوم فيه اكتملت جميع الخلائق؛ فإنه اليوم السادس من الستة التي خلق الله فيها السماوات والأرض وما بينهما، وفيه خُلِق آدم وفيه أُدْخِل الجنة، وفيه أُخْرِج منها، وفيه تقوم الساعة[1]، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يسأل الله فيها خيرًا إلَّا أعطاه إياه[2]، وقد كان يسمى في الجاهلية يوم عَرُوبة، وأول مَن سماه بهذا الاسم كعب بن لؤي جد أبي قصي، حيث كانت أسماء أيام الأسبوع عند العرب في القديم هي: أول، أهون، جبار، دبار، مؤنس، عروبة، شِيار، ثم أحدثوا أسماء لهذه الأيام هي: الأحد، الاثنين، الثلاثاء، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت.

وثبت أن الأُمم قبلنا أُمِرُوا بهذا اليوم فَضَلُّوا عنه، واختار اليهود يوم السبت الذي لم يقع فيه خَلْق، واختار النصارى يوم

---

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه البخاري (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢).

الأحد الـذي ابتُدئ فيه الخلـق، واختار الله لهـذه الأمة يوم الجمعة الـذي أكمل الله فيـه الخليقة(١)، وكانـت أول جمعة صلَّاها رسـول الله ﷺ بالمدينة حين أدركته في بني سالم بن عوف في المسـجد الذي كان في بطن الوادي، ويُسْتَحَبُّ في هذا اليوم كثرة الصلاة على رسول الله ﷺ(٢)، ويُشْرَع فيه أيضًا الاغتسال(٣) والتطيُّب والتبكير لصلاة الجمعة(٤)، وقراءة سورة الكهف؛ فهي نـور ما بين الجمعتيـن(٥)، ويُكـره إفراد يوم الجمعة بصيام تطوُّع(٦).



(١) أخرجه مسلم (٨٥٦).
(٢) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وابن ماجه (١٠٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (٨٥٨)، ومسلم (٨٤٦).
(٤) أخرجه البخاري (٨٨١)، ومسلم (٨٥٠).
(٥) أخرجه الحاكم (٣٣٩٢)، والبيهقي (٦٢٠٩).
(٦) أخرجه البخاري (١٩٨٥)، ومسلم (١١٤٤).



يوم الفرقان



هو يوم غزوة بدر الكبرى المباركة يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان على رأس سبعة عشر شهرًا من الهجرة المباركة، وذلك لما بلغ رسولَ الله ﷺ خبرُ العِير[١] المقبلة من الشام لقريش بصحبة أبي سفيان، وكانوا أربعين رجلًا، وفيها أموال عظيمة لقريش، فندب رسول الله ﷺ الناس للخروج إليها، وأمر من كان ظَهْرُه[٢] حاضرًا بالنهوض، فلم يحتفل لها احتفالًا بليغًا؛ لأنه خرج مسرعًا في ثلاثمائة وبضعة عشر رجلًا، لم يكن معهم من الخيل إلَّا فَرَسان، وكان معهم سبعون بعيرًا، يعتقب الرجل والثلاثة على البعير الواحد، فلما قرب رسول الله ﷺ من الصفراء بعث بسيس بن عمرو الجهني وعدي بن الرعباء إلى بدر يَتحسَّسان أخبار العِير، فبلغ أبا سفيان خروجُ رسول الله ﷺ ومقصده إياه، فاستأجر ضمضم بن عمرو الغفاري إلى مكة مستصرخًا[٣] لقريش

---

(١) أي: القافلة.

(٢) أي: دَابَّته.

(٣) أي: مستغيثًا وطالبًا النصرة منها.

بالنفير إلى عِيرهم ليمنعوه من محمد وأصحابه، وبلغ الصريخ أهل مكة، فنهضوا مســرعين، ولم يتخلف من أشرافهم سوى أبي لهب؛ فإنه عوَّض عنه رجلًا كان له عليه دَيْن، وحشــدوا مَن حولهم مِــن قبائل العرب، وخرجوا مــن ديارهم، وأقبلوا بِحَدِّهم وحديدهم، فجمعهم الله على غير الميعاد، فاستشــار رســول الله ﷺ أصحابَــه فتكلَّــم المهاجرون، فأحســنوا، ثم استشارهم ثانية، فتكلموا أيضًا فأحسنوا، ثم استشارهم ثالثة، ففهمَتِ الأنصــارُ أنه يَعنيهم، فبادر ســعد بن معاذ رضي الله عنه فقال: يا رسول الله، لعلك تخشــى أن تكون الأنصار ترى حقًّا عليها ألَّا تَنْصُرَك إلَّا في ديارهم، وإنــي أقول عن الأنصار، وأُجيب عنهم؛ فاظعن حيث شئت، وَصِلْ حَبْلَ من شِئْتَ، واقطع حبل مَنْ شِئْتَ، وخذ من أموالنا ما شئت، وما أخذْتَ منا كان أحبَّ إلينا مما تركــتَ، فوالله لئن سِــرْتَ بنا حتى تبلــغ البَرْك من غِمْدان لَنَسِيرَنَّ مَعَك، ووالله لئن استعرَضْتَ بنا البحر خُضناه معك.

وقال المقداد: لا نقول لك كما قال قوم موســى لموسى: ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَـٰتِلَآ إِنَّا هَـٰهُنَا قَـٰعِدُونَ﴾ [المائــدة: ٢٤]، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شــمالك، ومن بين يدَيك ومن خلفك، فأَشْرَقَ وجه رسول الله ﷺ بما سمع[١]، وقال: «**سيروا**

(١) أخرجه البخاري (٣٩٥٢)، ومسلم (٢٨٢٤).

وأبْشِروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، وإني قد رأيت مَصَــارِعَ القــوم»[١]، فســار الرســول ﷺ إلى بــدرٍ، وخفض أبو سفيان ولحق بســاحل البحر، ولما رأى أنه قد نجا وأحرز العيــر كتب إلــى قريــش أنِ ارْجِعُــوا؛ فإنكم إنمــا خرجتم لتُحْــرِزوا[٢] عِيرَكــم، فأتاهم الخبــر وهم بالجُحفــة، فهمُّوا بالرجوع، فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نَقْدَمَ بدرًا فنقيم بها ونُطْعِم من حضرنا من العرب، وتخافنا العرب بعد ذلك.

فساروا وسار رسول الله ﷺ حتى نزل عِشاءً في مياه بدر، فقال: «**أشــيروا عليَّ في المنزل**»، فقــال الحباب بن المنذر: يا رســول الله، إن رأيت أن نســير إلى قُلُبٍ قد عرفناها كثيرة الماء العذبة فننزل عليها، ونسبق القوم إليها، ونُغَوِّر ما سواها من المياه.

ثم بعث رســول الله ﷺ عليًّا وســعدًا والزبيــر إلى بدر يلتمســون الخبــر، فقَدِمــوا بعَبْدَيْــن لقريــش، فقــال لهما رســول الله ﷺ: «**أخْبِرَانــي أين قريــش؟**»، قــالَا: وراء هذا الكثيب، فقال: «**كــم القوم؟**»، فقالَا: لا علم لنــا، فقال: «**كم ينحــرون كل يوم؟**»، قــالا: يومًا عشــرًا ويومًا تســعًا، فقال رسول الله ﷺ: «**القوم ما بين تســعمائة إلى الألف**»، وأنزل الله

---

(١) أخرجه النسائي في الكبرى (١٠٣٦٧): «هذه مصارع القوم العشية».

(٢) أي: لتحفظوا.

في تلك الليلة مطرًا، فكان على المشركين وابلًا شديدًا منَعهم من التقدُّم، وكان على المســلمين طَلًّا[١] طهَّرَهم به، وأذهب عنهم رِجْسَ الشــيطان، ووطَّأَ[٢] به الأرضَ وصلَّب به الرمل، وثبَّت به الأقدام، وربط على قلوبهم.

وســبق رســول الله ﷺ وأصحابُه إلى الماء، فنزلوا شطر الليل، وصنعوا الحياض، ثم غوَّروا ما عداها من المياه، وبُنِي لرســول ﷺ عريشٌ يكون فيها على تَلٍّ مُشْرفٍ على المعركة، ومشــى في موضع المعركة، وجعل يشــير بيده: «هذا مصرع فلان، وهذا مصرع فلان إن شــاء الله»[٣]، فلما طلع المشركون وتراءى الجمعان قال رســول الله ﷺ: «**اللهم هذه قريش، قد جاءت بخيلها وفخرها، جاءت تحاربُك وتُكَذِّب رســولك**»، فقام ورفــع يَدَيْه، واســتنصر ربَّهُ، وقــال: «**اللهــم أَنْجِز لي ما وعدتنــي، اللهم إني أَنْشُــدك عهــدَك ووعــدَك**»، فالتزمه الصديق رضي الله عنه من ورائه، وقال له: يا رسول الله، أبشر؛ فوالذي بعثك بالحق لَيُنْجِزَنَّ الله لك ما وعدك[٤].

واســتنصر المســلمون الله واســتغاثوا بــه، وأخلصوا له

---

(١) الطل: المطر الخفيف.

(٢) أي: مَهَّد الأرض وهيَّأها.

(٣) أخرجه مسلم (٢٨٧٣).

(٤) أخرجه البخاري (٤٨٧٥)، ومسلم (١٧٦٣).

وتضرَّعوا إليه، فأوحى الله إلى ملائكته أني معكم، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢]، وأوحى الله إلى رسوله ﷺ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

وبات رسول الله ﷺ يصلي، فلما أصبحوا أقبلَتْ قريش في كتائبها، واصطَفَّ الفريقان، فخرج عتبة وأخوه شيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة يطلبون المبارزة، فخرج لهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا: من أنتم؟ فقالوا: من الأنصار، قالوا: أَكْفَاءٌ كِرَام، وإنما نريد بني عمنا، فبرز إليهم عليٌّ وعبيدة بن الحارث وحمزة، فقتل عليٌّ الوليدَ، وقتل حمزةُ عُتْبَةَ، واختلف عُبَيْدة وشيبة ضربتَين، فكَرَّ عليٌّ وحمزةُ على شيبة فقتلاه، واحتملَا عبيدةَ، وقد قُطِعَت رِجله.

ثم حَمِيَ الوطيس، واستدارت رحى الحرب، واشتدَّ القتال، وأخذ رسول الله ﷺ في الدعاء والابتهال، ومناشدة ربه ﷻ حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فرَدَّه عليه الصديق رضي الله عنه وقال: كفاك مناشدتُك ربَّك؛ فإنه مُنْجِزٌ ما وعدك[1]، فأغفى

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٧٥)، ومسلم (١٧٦٣).

رســول الله ﷺ إغفاءةً واحدة، وأخذ القومَ النعــاسُ في حال الحرب، ثم رفَع رسول الله ﷺ رأسه وقال: «**أَبْشِر يا أبا بكر؛ هذا جبريل على ثناياه النقْــعُ**»، وجاء النصر، وأنزل الله جنده، وأيَّد رسوله والمؤمنين، ومنحهم أكتافَ المشركين أسْرًا وقتلًا، فقتلوا منهم سبعين، وأسَروا سبعين، فكان هذا اليوم المبارك يومًا عظيمًا للإسلام وأهله.



يوم حُنَيْن



هو يوم وقعة حُنَيْن التي كانت بعد فتح مكة في السابع من شوال سنة ثمانٍ من الهجرة، وذلك أن رسول الله ﷺ لما فرغ من فتح مكة، ومُهِّدت أمورها، وأسلم عامة أهلها، وأطلقهم رسول الله ﷺ، بلغه أن قبيلة هوازن جمعوا له ليقاتلوه، وأن أميرهم مالك بن عوف النضري، ومعه ثقيف بكمالها، وبنو جشم وبنو سعد بن بكر، وبعض بني هلال، وهم قليل، وناس من بني عمرو بن عامر، وعوف بن عامر، أقبلوا معهم النساء والولدان والشاء والنَّعَم، وجاءوا بقَضِّهم وقَضِيضهم[1]، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في جيشه الذي جاء معه للفتح، وهو عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار وقبائل العرب، ومعه الذين أسلموا من أهل مكة، وهم الطُّلَقاء في ألفين أيضًا، فسار بهم إلى العدو، فالتقوا بوادٍ يقال له: حُنَيْن، بين مكة والطائف قُرب ذي المجاز، فكانت فيه الوقعة في أول النهار في غَلَس[2] الصبح، عندما انحدروا في الوادي وقد

---

(١) أي: جاؤوا مجتمعين.

(٢) الغَلَس: ظلمة آخر الليل إذا اختلطت بضوء الصباح.

كمنت فيه هوازن، فلما تواجَهوا لم يشعر المسلمون إلّا بهم قد ثَاوَرُوهم(١) ورشـقوهم بالنبال، وشَـهَرُوا السـيوف، وحملوا عليهم حملة رجل واحد، كما أمرهم مَلِكُهم بذلك، فعند ذلك ولَّى المسلمون مُدْبِرِين، وثبت رسول الله ﷺ وهو راكب يومئذٍ بغلته الشَّـهْبَاء يسـوقها إلى نَحْرِ العدو، والعبـاس عمه آخذ بركابها الأيمن، وأبو سفيان بن الحارث آخِذ بركابها الأيسر، يثقلانها لئلا تسرع السير، وهو يُنَوِّه باسمه، ويدعو المسلمين إلى الرجوع للمعركة، ويقول لهم: «**أيـن يا عباد الله؟ إليَّ أنا رسول الله**»، ويقول في تلك الحال:

أنـا النبـي لا كَـذِبْ أنا ابنُ عبـد المُطَّلِبْ

وثبت معه من أصحابه قريب من مائـة، منهم: أبو بكر، وعمر، والعباس، وعلي، والفضل بن عباس، وأبو سفيان بن الحارث، وأيمن بن أم أيمن، وأسـامة بن زيد، وغيرهم ﵃، ثم أمر ﷺ عَمَّهُ العباس، وكان جَهِير الصوت، أن ينادي بأعلى صوته: يا أصحاب الشجرة ـ يعني شجرة بيعة الرضوان، التي بايَعه المسلمون من المهاجرين والأنصار تحتها على ألَّا يَفِرُّوا عنه ـ فجعـل ينادي بهـم: يا أصحاب السَّـمُرَة، ويقول تارة: يا أصحاب سـورة البقرة، فجعلوا يقولون: يا لبيك، يا لبيك، وانعطف الناس، فجعلوا يتراجعون إلى رسـول الله ﷺ، حتى

---

(١) أي: وَثَبُوا عليهم.

إن الرجل منهم إذا لم يُطَاوِعْه بعيره على الرجوع لَبِس درعه، ثم انحدر عنه، وأرسله ورجع بنفسه إلى رسول الله ﷺ، فلما رجعت جماعة منهم أمرهـم ﷺ أن يَصْدُقـوا الحملة، وأخذ قبضةً من التراب بعدما دعا ربه واستنصره، وقال: «**اللهم أَنْجِزْ لي ما وعدتني**»، ثم رمى القوم بها، فما بقي إنسـان منهم إلَّا أصابه منها في عينَيه وفمه ما شـغله عن القتـال، ثم انهزموا هزيمة شنيعة، فاتبع المسلمون أقفاءَهم يقتلون ويَأْسِرون، وما تراجَع بقية الناس إلَّا والأسارى بين يَدَيْ رسول الله ﷺ[1].

(١) أخرجه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (١٧٧٥).

أعلام

الأقوام والطوائف



قريش



هم حيٌ من عرب الحجاز الذين هم من ذرية معد بن عدنان، إلَّا أنه لا يقال: قرشي، إلَّا لمن كان من ذرية النضر بن كنانة، وهم ينقسمون إلى أفخاذ وبيوت، نحو: بني هاشم، وبني أمية، وبني مخزوم، وغيرهم، وقريش من أعظم قبائل العرب وأشرفها.

وإنما سُمِّيَتْ قريشًا لتجمُّعها من بعد تفرُّقها على يد قُصَيٍّ بن كلاب الذي لمَّ شعث قريش وجمعها من متفرِّقات البلاد، وأزاح يد خُزاعة عن البيت، وأجلاهم عن مكة، وصار سيد قريش على الإطلاق، أو سُمُّوا بذلك لتقرُّشهم، والتقرُّش: التكسُّب؛ فقد كانوا تجارًا يسكنون مكة، وكان لهم رحلتان في كل عام للتجارة: رحلةٌ في الشتاء إلى اليمن، ورحلةٌ في الصيف إلى الشام.

ويكفي قريشًا فخرًا أن منهم سيد ولد آدم رسول الله ﷺ، فهو خيرهم نفسًا، وخيرهم بيتًا، وأن الحِجابة والسِّقاية فيهم، وأن الله تعالى نصرهم على الفيل وأصحابه بطَيْر أبابيل، وأنهم عبدوا الله ﷻ عشر سنين لا يعبده غيرهم، وأن الله تعالى أنزل فيهم سورة من القرآن.

يأجوج ومأجوج

هما قبيلتان كافرتان من ذريـــة آدم موجودتان الآن، وهم عِـــرَاض الوجوه، صغار العيـــون، ذُلْف الأنـــوف[١]، صُهْب[٢] الشـــعور، كأن وجوههم الـمَجانُّ[٣] الـمُطْرَقة[٤]، على أشكال التُّرك وألوانهم، وهم الآن خلف الســـد الذي بناه ذو القرنَين يحجـــز بينهم وبين مَن اســـتغاثوا بــه منهم؛ لإفســـادهم في الأرض، فبناه بين جبلَين، فحبســـهم فيه، فلا يزالون يحفرونه حتى يأذن الله بخروجهم من المشرق بعد نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمـــان، فيَنْـــدَكُّ هذا الســـد، فيخرجون ويُفْسِـــدون في الأرض، ولا طاقـــة لأحـــد يومئـــذٍ بمواجهتهـــم، فينحـــاز[٥] عيسى عليه السلام والمؤمنون معه إلى جبل الطور، ويمرُّ أولهم على

---

(١) ذلف الأنوف: في أنوفهم فطس وقِصَر مع استواء الأرنبة وغِلَظها.

(٢) أي: شُقْر، والشُّقْرة: حُمْرة تعلو البياض.

(٣) المجان: جمع مِجَنٍّ، وهو التُّرس الذي يلبسه الفارس للحرب.

(٤) المطرقة: أي: أُلْبِسَـــت الأطرقة من الجلود، وهي الأغشـــية، وقد شـــبَّه وجوههم بالترس؛ لبَسْـــطها وتدويرها، وبالمطرقة؛ لغِلَظِها وكثرة لحمها ونتوء وجناتها.

(٥) أي: تركوا المكان الذي كانوا فيه.

بحيرة طَبَرِيَّة فيشـــربون ما فيها، ويمر آخرهم ويقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ثم يســـيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل ببيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هَلُمَّ فلنقتل مَن في السماء، فيرمون بنُشَابهم[1] إلى السماء، فيَرُدُّ الله عليهم نُشابهم مخضوبة دمًا، فيرغب عيسى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيُرسل الله عليهم النَّغَف[2] في رقابهم، فيصبحون فَرْسَى[3] كموت نفس واحـــدة، ثم يهبـــط عيســـى عليه السلام وأصحابه إلى الأرض، فلا يجـــدون موضع شـــبر إلَّا ملأه نَتْنُهـــم، فيرغب عيســـى عليه السلام وأصحابه إلى الله، فيُرســـل عليهم طيرًا كأعناق البُخت[4]، فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله تبارك وتعالى.

---

(١) النُّشَاب: السهام.

(٢) النَّغَف: دود تكون في أنوف الإبل والغنم.

(٣) فَرْسَى: قَتْلَى، مفردها: فَرِيس.

(٤) البُخْت: جِمال طوال الأعناق.

الروم

هي أمة مختلَطة من اليونان والصقالبة ومن الرومانيين الذين أصلهم من اللاطينيين سكان بلاد إيطاليا، نزحوا إلى أطراف شرق أوروبا، فقامت هذه الأمة المسماة بالروم على هذا المزيج، فجاءت منها مملكة تحتل قطعة من أوروبا وقطعة من آسيا الصغرى، وهي بلاد الأناضول، وقد أطلق العرب على مجموع هذه الأمة اسم الروم؛ تفرقةً بينهم وبين الرومان اللاتينيين، وسَمَّوُا الروم أيضًا ببني الأصفر، وسبب اتصال الأمة الرومانية بالأمة اليونانية وتكوُّن أمة الروم من الخليطين هو أن اليونان كان لهم استيلاء على صقلية وبعض بلاد إيطاليا، وكانوا في حروب وسِجَال مع الرومان، واتَّسعت مملكة الرومان تدريجيًّا بسبب تلك الحروب إلى أن بلغت سلطتهم إلى شمال أفريقيا ومصر وبلاد الشام وآسيا الصغرى، ووصلت إلى أرمينيا والعراق، وبذلك دخلت اليونان تحت سلطان الرومان، ومن أشهر المدن التي استولى عليها الرومان مدينة (بيزنطة)، وكان سكانها أهل تجارة عظيمة.

وفي سنة ٣٣٢ قبل ميلاد المسيح عليه السلام أُعجِب الإمبراطور

قسطنطين بموقع بيزنطة، وبنى فيها مدينة كبيرة، سمَّاها باسمه (القسطنطينية)، وجعلها عاصمة لدولته، وبعد وفاته انقسمت البلاد الرومية إلى قسمين: مملكة الروم في القسم الشرقي من الإمبراطورية، وعاصمتها القسطنطينية، ومملكة الرومان في القسم الغربي من الإمبراطورية، وعاصمتها روما، ويُعرَف الروم عند الإفرنج بالبيزنطيين نسبةً إلى بيزنطة.

الصابئون

هي أمة قديمة قبل اليهود والنصارى، وهم أنواع: صابئون حنفاء، وصابئون مشــركون، وكانت حَرَّان دار مملكة هؤلاء قبل المسيح عليه السلام، ولهم كتب وتآليف وعلوم، وكان في بغداد منهم طائفة كبيرة، فمنهم إبراهيم بــن هلال الصابئ صاحب الرســائل، وكان على دينهم، ويصوم رمضان مع المسلمين، وأكثرهم فلاســفة، ولهم مقــالات مشــهورة ذكرها أصحاب المقالات.

وجملةِ أمرهــم أنهم لا يُكذِّبــون الأنبيــاء، ولا يُوجِبون اتباعَهم، وعندهم أنَ مَن اتبع الأنبياء فهو سعيد ناجٍ، وأن من أدرك بعقله ما دَعَوْا إليه، فوافقهــم فيه وعمل بوصاياهم، فهو ســعيد، وإن لم يتقيَّد بهم، فعندهم دعــوة الأنبياء حق، ولا تتعيَّن طريقًا للنجاة، وهم يُقِرُّون أن للعالم خالقًا مُدَبِّرًا حكيمًا مُنَزَّهًا عن مماثلة المخلوقات، ولكن كثيرًا منهم، أو أكثرهم، قالوا: نحن عاجزون عن الوصول إلى جلاله بدون الوســائط؛ والواجــب التقــرُّب إليــه بتوسُّــط الروحانيين المقدَّســين الـمُطَهَّريــن عن المــواد الجســمانية، الـمُبَرَّئِيــن عن القوى

الجسـدية، الـمُنَزَّهين عن الحـركات المكانيـة والتغييرات الزمانية، بل قد جُبِلوا على الطهارة، وفُطِروا على التقديس.

فالصابئون فيهم المؤمن بالله وأسـمائه وصفاته وملائكته ورسـله واليوم الآخر، وفيهم الكافر، وفيهـم الآخذ من دين الرسـل بما وافَق عقولهم واستحْسَـنُوه، فدانُوا بـه ورَضُوه لأنفسـهم، وعَقْد أمرهم أنهم يأخذون بمحاسـن ما عند أهل الشـرائع بزعمهم، ولا يوالون أهل مِلَّةٍ ويعادون أخرى، ولا يتعصَّبون لملة على ملـة، والملل عندهـم نواميس لمصالح العالم، فلا معنى لمحاربة بعضها بعضًا، بل يؤخذ بمحاسنها وما تَكْمُل بـه النفوس، وتتهذَّب به الأخلاق، ولذلك سُـمُّوا صابئين؛ كأنهـم صبؤوا[1] عـن التعبُّد بكل ملـة من الملل، والانتساب إليها، ولهذا قال غير واحد من السلف: ليسوا يهودًا ولا نصارى ولا مجوسًا.

ولم يَبْقَ من الصابئين اليوم إلَّا أتبـاع الصابئة المندائية، وهي التـي تعتبر يحيـى عليه السلام نبيًا لهـا، ويُقـدِّس أصحابها الكواكب والنجـوم ويُعَظِّمونها، ويتَّجِهـون نحو نجم القطب الشمالي.

ومن طقوسـهم التعميد في المياه الجارية، والمندي هو

(١) أي: خرجوا.

معبدهم، وفيه كتبهم المقدسة كالكنزاربًّا، ويجري فيه تعميد رجال الدين، ويقام على الضفاف اليمنى من الأنهار الجارية، وله باب واحد يقابل الجنوب، بحيث يستقبل الداخل إليه نجم القطب الشمالي، ولا بدَّ من وجود قناة فيه متصلة بماء النهر، ولا يجوز دخوله من قِبَل النساء.

وصلاتهم تؤدَّى ثلاث مرات في اليوم: قُبَيْل الشروق، وعند الزوال، وقُبَيْل الغروب، فيها وقوف وركوع وجلوس على الأرض من غير سجود، يتوجَّه المصلِّي خلالها إلى الجَدْي بلباسه الطاهر، حافي القدمين، يتلو سبع قراءات يُمَجِّد فيها الرب مُسْتَمِدًّا منه العون، طالبًا منه تيسير اتصاله بعالم الأنوار.



المجوس



هم أهل دين وثني يُثْبِت إلٰهَيْن: إلٰهًا للخير، وإلٰهًا للشــر، وهم أهل فارِس، ثم هي تتشعَّب شُــعَبًا ترجع في نهايتها إلى هذَيْن الأصلَين، وأقدم النِّحَل المجوســية أَسَّسها «كيومرث» الذي هو أول ملك بفارس في أزمنة قديمة يُظَنُّ أنها قبل زمن إبراهيم عليه السلام، ولذلك يُلَقَّب أيضًا بلقب «جل شاه»، أي: ملك الأرض، وكان عصرُ «كيومرث» يُلَقَّــب «زروان»، أي: الأزل، فكان أصل المجوســية هم أهل الديانة المســماة: الزروانية، وهي تُثْبِــت إلٰهَين هما (يَزدَان) و(أَهْرُمُــن)، قالوا: كان يَزدان منفردًا بالوجود الأزلــي، وأنه كان نُورانيًّــا، وأنه بقي كذلك تسعة آلاف وتسعين سنة، ثم حدث له خاطر في نفسه: أنه لو حَدَث له مُنــازِع كيف يكون الأمر، فنشــأ من هــذا الخاطر موجود جديد ظُلماني سُمِّيَ (أَهْرُمُن)، وهو إلٰه الظلمة، مطبوع على الشر والضر، فحدث بين (أَهْرُمُن) وبين (يزدان) خلاف ومحاربة إلى الأبد.

ثم نشــأت على هذا الدين نِحَل خُصَّــتْ بألقاب، وهي متقاربة التعاليم أشهرها نحلة (زَرَادُشْت) الذي ظهر في القرن

السادس قبل ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبه اشتهرت المجوسية، وقد سُمِّيَ إلٰه الخير (أَهُورَا مَزْدَا) أو (أرمزد) أو (هرمز)، وسُمِّي إلٰه الشر (أَهْرُمن)، وجُعِل إلٰه الخير نورًا، وإلٰه الشر ظلمة، ثم دعا الناس إلى عبادة النار على أنها مظهر إلٰه الخير وهو النور، وأمر أتباعه بالصلاة أمام النار التي هي رمز للنظام والعدل في معتقدهم، وقد يُمَثِّلونها بنار دنيوية، أو بالشمس أو بالقمر، ووسع شريعة المجوسية، ووضع لها كتابًا سماه «زَندافستا».

ومن أصول شريعته تجنُّب عبادة التماثيل، ثم ظهرت في المجوس نِحلة «المَانوية»، وهي المنسوبة إلى (مَاني) الذي ظهر في زمن سابور بن أردشير ملك الفرس بين سنة ٢٣٨، وسنة ٢٧١ من ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وظهرت في المجوس نِحلة «المزدكية»، وهي منسوبة إلى (مَزدك) الذي ظهر في زمن قُبَاذ بين سنة ٤٨٧ وسنة ٥٢٣ من ميلاد المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهي نِحلة قريبة من (المانوية)، وهي آخر نِحلة ظهرت في تطوُّر المجوسية قبل الفتح الإسلامي لبلاد فارس.

وللمجوسية شبه في الأصل بالإشراك، إلَّا أنها تُخالِفه بمنع عبادة الأحجار، وبأن لها شبهة كتاب عن بعض العلماء، فأشبهوا بذلك أهل الكتاب، ولذلك قال النبي ﷺ فيهم: «**سُنُّوا**

بهم سُنَّةَ أهل الكتاب»[1]، أي: في الاكتفاء بأخْذ الجزية منهم دون الإكراه على الإسلام.

وحاصِلُ القول أن المجوسية ديانة شــركية وثنية لا يُعْلَم لها أصلٌ من كتاب سابق.

---

(١) أخرجه مالك (٦١٦)، والبيهقي (١٩١٢٥).

اليهـود

هم أتباع ديانــة العبرانيين المنحدِرين مــن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ والمعروفين بالأسباط من بني إسرائيل الذين أرسل الله إليهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مؤيَّدًا بالتوراة؛ ليكون لهم نبيًّا، وسُمُّوا يهودًا نسبة إلى يهوذا بن يعقوب، الــذي ينتمي إليه بنو إســرائيل الذين بُعِث فيهم موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فقلبت العرب الذال دالًا، أو نسبةً إلى الهَوَد: وهو التوبة، والرجوع.

واليهودية ديانة يبدو أنها منسوبة إلى يهود الشعب، وهذه بدورها قد اختُلِف في أصلها، وقد تكون نسبة إلى يهوذا أحد أبنــاء يعقوب، وعُمِّمَتْ على الشــعب على ســبيل التغليب، واليهودية ديانة باطلــة مُحرَّفة عن الدين الحــق الذي جاء به موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فموســى عَلَيْهِ السَّلَامُ جاء بالإســلام ـ بمفهومه العام ـ الذي يعني الاستســلام لله وحده؛ فهو دين جميع الأنبياء من لَدُن نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى محمد ﷺ.

وأهم عبادات اليهود عبادة الصــلاة: وهي مركبة من النثر ثم النظم، وتُتلى بالغناء بالابتداء، وعبادة الصوم تبدأ من قبل

غروب الشـــمس إلى غروبها من اليوم اللاحق، ويمتنعون فيه عن الطعام والشـــراب والجماع، ولهم أيام متفرِّقة يصومونها؛ كصوم يوم الغفران، وتموز، والتاسع من آب، ولليهود مواسم وأعياد: كيوم السبت، وعيد الفصح، ويوم التكفير والغفران.

وقد وصف الله تعالـــى اليهود في كتابـــه بأوصاف، منها: الكِبْر، والحسد، والظُّلم، والفســـاد، وكتمان الحق، وتحريف الكَلِم عن مواضعه، والخيانة، واحتقار الآخرين، وإثارة الفتن، والجَشَـــع، وقســـاوة القلب، وأكل الربا، وإشـــاعة الفاحشة، وغيرها من الأوصاف القبيحة والأخلاق الذميمة.

النصارى

هم أتباع الرسالة التي أُنزلت على عيسى عليه السلام، مكمِّلة لرسالة موسى عليه السلام، ومُتَمِّمة لِمَا جاء في التوراة من تعاليم، مُوجَّهة إلى بني إسرائيل، داعية إلى التوحيد والفضيلة والتسامح، ولكنها جابهت مقاومة واضطهادًا شديدًا، فسرعان ما فقدت أصولها، مما ساعَد على امتداد يد التحريف إليها، فابتعدت كثيرًا عن أصولها الأولى؛ لامتزاجها بمعتقدات وفلسفات وثنية، ويقال لهم: (النصارى)؛ لتناصُرهم فيما بينهم، وهذا يخصُّ المؤمنين منهم في أول الأمر.

والديانة النصرانية في أصلها دين مُنَزَّل من الله، لكنها غُيِّرت وبُدِّلت وحُرِّفت نصوصها، وتعدَّدت أناجيلها، وتَحوَّل أتباعها عن التوحيد إلى الشرك والتثليث، ثم نُسِخَت بدين الإسلام، فأصبحت باطلة؛ لتحريفها، ولنسخها كاليهودية تمامًا.

ومن أهم عقائد النصارى القول بالتثليث «الأب، والابن، والروح القدس إلٰهٌ واحدٌ»، والصَّلْب؛ فيعتقدون أن

المسيح ﷺ مات مصلوبًا، والفداء؛ فيعتقدون أن موت المسيح ﷺ كان كفَّارة لخطيئة آدم التي انتقلت إلى أبنائه بالوراثة.

والنصارى يُقدِّسون الرهبان ورجال الكنيسة، ويتخذونهم أربابًا من دون الله في التحليل والتحريم، ومغفرة الذنوب.

ومن شعائرهم: الصلاة، وهي سبع في اليوم والليلة بدعاء يختارونه في الغالب، والصوم: بالامتناع عن الطعام إلى ما بعد منتصف النهار، والتعميد: وهو مفتاح الدخول في النصرانية، بِرَشٍّ الماء على الجبهة، أو غمس أي جزء من الجسم في الماء، ولا يكون إلَّا في الكنيسة، وعلى يد كاهن، والعَشَاء الرباني: وهو قِطَع من الخبز مع كأس من الخمر، يتناوله النصارى في الكنيسة تذكارًا لصلبِ المسيح عندهم، وحمل الصليب وتقديسه، ويزعمون أن ذلك يُشْعِرهم بإنكار النفس، واقتفاء أثر المسيح، وتقديس يوم الأحد، والرهبانية التي لا تتحقَّق إلَّا بالعزوبة، والتجرُّد الكامل من الدنيا، والعبادة المتواصلة، والتعذيب الجنوني للنفس، وغيرها من الطقوس والعبادات الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

أعلام

متفرقة



الكوثر



هو نهرٌ عظيمٌ في الجنة، عليه خيـــر كثير، أعطاه الله لنبيه محمد ﷺ، وسَمَّى الله تعالى إحدى سور القرآن العظيم باسم هذا النهر؛ لفضله وعظمتــه، حيث يصُبُّ منــه ميزابانِ على حوض رسول الله ﷺ المورود، وماء هذا النهر أشدُّ بياضًا من اللبن، وأحلى مذاقًا من العســل، وأطيب رائحةً من المسك، وحَصْباؤه[1] اللؤلؤ، وحافتاه من ذهب وقباب اللؤلؤ، ومجراه على الـــدُّرِّ والياقــوت[2]، وفيه طيــر أعناقها كأعنـــاق الجُزُر (الإبل)، وإنما سُمِّي كوثرًا؛ لأنه أكثر أنهار الجنة ماءً وخيرًا، ولأن أنهار الجنة تتفجَّر منه.

---

(١) الحَصْباء: الحصى الصِّغار.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١)، ومسلم (٤٠٠).



تسنيم



هو عينُ ماء في أعلى الجنة، رفيعة القَدْر، تتنزَّل من عُلْوٍ، يشرب منها المقرَّبون صافية خالصة، ويشرب سائر المؤمنين منها مخلوطةً بغيرها، وهي من أشــرف شــراب أهل الجنة، والتسنيم في الأصل: العُلُوُّ والارتفاع.



النَّحْل



هو ذُباب له جسمٌ بقَدْرِ ضِعْفَي جسم الذُّباب المعروف، وأربعة أجنحة، ولون بطنه أسمر إلى الحمرة، وفي خرطومه شوكة دقيقة كالشوكة التي في ثمرة التين البربري (المسمى بالهندي) مختفية تحت خرطومه، يلسع بها ما يخافه من الحيوان، فتَسُمُّ الموضع سُمًّا غير قوي، وهو ثلاثة أصناف: ذكر، وأنثى، وخنثى، فالذكور هي التي تحرس بيوتها، ولذلك تكون محوِّمة بالطيران والدَّوي أمام البيت، وهي تُلَقِّح الإناث لقاحًا به تَلِد الإناث إناثًا، وهي أضخم حجمًا من الذكور، ولا تكون التي تَلِد في البيوت إلَّا أنثى واحدة، وهي قد تَلِد بدون لقاح ذَكرٍ؛ ولكنَّها في هذه الحالة لا تَلِد إلَّا ذكورًا، فليس في أفراخها فائدة لإنتاج الوالدات، والخنثى فهي التي تُفْرِز العسل، وهي العواسل، وهي أصغر حجمًا من الذكور، وهي معظم سكان بيت النَّحل.

والنحل تبني بيوتًا في الجبال والشجر والعُرُش بنظامٍ دقيق، ثم تُقَسِّم أجزاءَها أقسامًا متساوية بأشكال مسدَّسة الأضلاع بحيث لا يتخلَّل بينها فراغ تنساب منه الحشرات، ثم

تُغَشِّي على سطوح المسدَّسات بمادة الشمع، وهو مادة دهنية متميِّعة أقربُ إلى الجمود، تتكوَّن في كيس دقيق جدًّا تحت حلقة بطن النحلة العاملة، فترفعه النحلة بأرجلها إلى فمها وتمضغه، وتضع بعضه ملتصقًا ببعض لبناء المسدَّس المسمى بالشُّهْد؛ لتمنع تسرُّب العسل منها.

فسخَّر الله النحل لما خلقها له، وألهمها رُشْدَها، وقدَّر في نفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجِز عنها العقلاء من البشر، وذلك أن النحل تبني بيوتًا على شكل مسدَّس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض لئلا يحصل فيه خلل ولا فُرجة خالية، وألهمها أيضًا أن يجعلوا عليهم أميرًا كبيرًا نافذ الحكم فيهم، وهم يطيعونه ويمتثلون أمره، ويكون هذا الأمير أكبرَهم جُثةً وأعظمهم خِلْقَةً، ويسمى يعسوب النحل، أي: مَلِكُهم، وألهمها أيضًا أن جعلت على باب كل خلية بوابًا لا يُمَكِّن غير أهلها من الدخول إليها، وألهمها أيضًا أنها تخرج من بيوتها فتدور وترعى، ثم ترجع إلى بيوتها ولا تَضِلُّ عنها.



شجرة الزقوم



هي الشجرة الملعونة في القرآن، وهي في غاية النتن والمرارة، وهي طعام أهل النار، جعلها الله فتنة للظالمين، فإذا كُلِّفوا تناوُلَها في النار وشَقَّ عليهم ذلك فحينئذٍ صارت فتنةً في حقهم، وهي فتنة لهم أيضًا لَمَّا قالوا: كيف يكون في النار شجرة، والنار تحرق الشجر، ومحمد يُخوِّفنا بالزقوم وهو الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته وقال: يا جاريةُ، زَقِّمِينا، فأتتهم بالزبد والتمر، فقال أبو جهل: تَزَقَّموا، فهذا ما يوعدكم به محمد، استهزاءً برسول الله ﷺ وسخرية منه، فجعلها الله طعامًا لأثيمهم الأكبر أبي جهل وأضرابه من ذوي الآثام الكبيرة.

وهذه الشجرة الملعونة تنبت في قعر جهنم، فقد غُذيت من النار، ومنها خُلِقت، وأغصانها ترتفع إلى دَرَكاتها، وثمرها كأنه رؤوس الشياطين؛ لنهاية قُبْحه وبشاعة صورته، فأهل النار إذا جوَّعهم الله الجوعَ الشديد فَزِعوا في إزالة ذلك الجوع إلى تناوُل ثمر هذه الشجرة وإن كانت بتلك الصفة المذكورة، فسيأكلون منها ويملؤون من زَقُّومِها بطونهم، وتغلي في بطونهم كما يغلي الماء الحارُّ.

وقد قال فيها رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقّوم قَطَرَت في بحار الدنيا لأفسدت على أهل الأرض معايشهم، فكيف بمن يكون طعامه؟»[1].

(١) أخرجه الترمذي (٢٥٨٥)، وابن ماجه (٤٣٢٥).

وَدٌّ، سُوَاع، يَغُوث، يَعُوق، نَسْر

هي أســـماء رجال صالحين من قوم نوح، وكان لهم أتباعٌ يقتدون بهم، فلما ماتوا أوحى الشيطان إلى قومهم: أن انصبوا إلى مجالســـهم التـــي كانوا يجلســـون فيها أنصابًا وسَـــمُّوها بأســـمائهم؛ فإن ذلك أشـــوق إلى العبادة، فلم تُعْبَد، حتى إذا هلك أولئك ونُسِخ العلم، جاء آخرون فأوحى إليهم الشيطان فقال: إنما كانـــوا يعبدونهم، وبهم يُسْـــقَوْن المطر، فعبدوهم، وكانوا أوَّلَ مَن أشـــرك بالله فـــي الأرض، فلما جـــاء الطوفان اندثرت هذه الأوثان.

وفي الجاهليـــة كان هنالك رجـــل من العـــرب يقال له: عمرو بن لُحَيٍّ الخزاعي، وكان كاهنًا، ولـــه رَئِي[1] من الجنِّ فسمع قائلًا يقول:

ائـــــت ضَـــــــفَّ جـــدة

تـجـد فيها أصـنـامًـا مُـعَـدَّة

فـأَوْرِدْهـا تهـامـة ولا تَـهَـبْ

ثم ادْعُ العرب إلى عبادتها تُجَبْ

(١) أي: له قرين من الجنِّ يتراءى له ويخبره بأمور.

فأتى نهر جدة فاستثارها، ثم حملها حتى ورد تهامة، وحضر الحجَّ، فدعا العربَ إلى عبادتها قاطبة، فأجابه عوف بن عذرة، فدفع إليه وَدًّا، فحمله، فكان بوادي القرى بدومة الجندل، وسَمَّى ابنه عَبْدَ وَدٍّ، فهو أول مَن سَمَّى به، وأجابت عمرو بن لحي مضرُ بن نزار، فدفع إلى رجلٍ من هذيل يقال له: الحارث بن تميم «سواعًا»، فكان بأرض يقال لها: وهاط، من بطن نخلة، يعبده مَن يليه من مضر.

وأجابته مَذْحِج، فدفع إلى أنعم بن عمرو المرادي «يغوث»، وكان بأَكَمة(١) باليمن تعبده مَذْحِج ومَن والاها.

وأجابته همدان، فدفع إلى مالك بن مرثد «يعوق»، فكان بقرية يقال لها: خيوان، تعبده همدان ومَن والاها من اليمن.

وأجابته حِمْيَر: فدفع إلى رجل من ذي رُعَيْن يقال له: معد يكرب «نَسْرا»، فكان بموضع من أرض سبأ، يقال له: بلخع، تعبده حِمْيَر ومَن والاها.

فلم تَزَل هذه الأصنام تُعْبَد حتى بعث الله نبيه محمدًا ﷺ فهدمها وكسرها، ورأى رسول الله ﷺ عمرو بن لحي يجر قُصْبَهُ في النار جزاءً لما سَنَّهُ من عبادة الأوثان(٢).

(١) هي مكان مرتفع كالهضبة أو الجبل الصغير.

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٢٢)، ومسلم (٢٨٥٦).



بَعْل



هو اسم صنمٍ كان لقوم نبي الله إلياس عَلَيْهِ السَّلَامُ من الكنعانيين، وهو أعظم أصنامهم، وبه سُمِّيَت مدينة بعلبك التي كان فيها، وكان طوله عشـــرين ذراعًا، وقد مَثَّلُوه بصورة إنسان له رأس عِجْلٍ وله قرنان، وعليه إكليل، وهو جالس على كرســـي مادًّا يَدَيْه كمن يتناول شـــيئًا، وكانت صورته من نحاس، وداخلها مُجَوَّف، وقد وضعوها على قاعدة مـــن بناء كالتنُّور[1]، فكانوا يُوقِدون النـــار في ذلك التنور حتى يحمـــى النحاس، ويأتون بالقرابين فيضعونها على ذراعيه فتحترق بالحرارة، فيحسبون لجهلهم أن الصنم تقبَّلها وأَكَلَها من يدَيـــه، وكانوا يُقَرِّبون له أطفالًا من أطفـــال ملوكهم وعظمـــاء مِلَّتِهم، وقـــد عبده بنو إســـرائيل غيرَ مرة تَبَعًا للكنعانيين، والعمونيين، والمؤوبِيِّين، وكان لبَعلٍ من السَّدَنَة أربعُمائة وخمسون سادنًا.

---

(١) هو كانون أو فُرْن كالذي يُخْبَز فيه.

اللَّات

هي صنمٌ لثقيف من صخرة بيضاء منقوشــة وعليها بيت بالطائف، ولها أستار وسَــدَنة، وكان سَــدَنَتُها وحُجَّابها بني معتب، وحولها فناء مُعَظَّم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومَن تابَعها، وكانــوا يفتخرون باللات على مَــن عداهم من أحياء العرب بعد قريش، وكانوا قد اشــتقوا اســمها من اســم الله، فقالوا: اللات، يعنــون مؤنَّثة منه، تعالى الله عــن قولهم عُلوًّا كبيرًا.

وقيل: إنــه كان رجلًا يعجن العجيــن للحُجَّاج ويُطعِمهم إكرامًا لهم، فلما مات عَظَّمُوه وعكفــوا على قبره، ثم جعلوه إلٰهًا، وكان اسمه (صرمة بن غنم).

فلما أسلمت ثقيف في السنة التاســعة من الهجرة أرسل رســول الله ﷺ خالد بن الوليــد والمغيرة بن شــعبة وبعض أصحابه إلى الطائف لهدم اللات، فلما عمدوا إليها ليهدموها اجتمعت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان ينظرون إليهم، ولا يَرَوْنَ أنها ستُهْدَم، ويظنون أنها ستمنعهم، فأخذ المغيرة بن

شـــعبة رضي الله عنه الفأس، وقـــال لأصحابـــه: والله لأُضْحِكَنَّكُم من ثقيف، فضرب بالفأس، ثم سقط يركض، فارتجَّ أهل الطائف بصيحة واحدة، وقالوا: أَبْعَدَ الله المغيرة، قد قتلته الرَّبَّةُ ـ أي: اللات ـ، وفرحوا حين رأوه ســـاقطًا، وقالوا: مَن شـــاء منكم فليقترب وليجتهد على هدمها، فوالله لا تُســـتطاع أبدًا، فوثب المغيـــرة، وقال: قَبَّحَكُم الله يا معشـــر ثقيف، إنمـــا هي لُكاع حجارة ومَدَر[1]، فاقبلوا عافيةَ الله واعبـــدوه. ثم ضرب الباب فكســـره، ثم علا على سُـــورِها وعلا الرجال معـــه، فما زالوا يهدمونها حجرًا حجرًا حتى سَوَّوْها بالأرض، وجعل صاحبُ المفاتيح يقول: ليَغْضَبَنَّ الأســـاسُ فليُخْسَفَنَّ بهم، فلما سمع ذلك المغيرة قـــال لخالد: دعني أَحْفِر أساســـها، فحفره حتى أخرجوا ترابها، وانتزعوا حُلِيَّها، وأخذوا ثيابها، فبُهِتَت ثقيف، ورجع أصحـــاب رســـول الله ﷺ حتى قَدِمُـــوا عليـــه بحُلِيِّها وكسوتها، فقسمه رسول الله ﷺ من يومه.

---

(١) المَدَر: الطين.

العُزَّى

هو بيتٌ له أســتار بنخلةٍ بين مكة والطائــف يعبده أهل الجاهليــة، ويُعَظِّمُونه كما يُعَظِّمون الكعبــة، وهو على ثلاث شــجرات مقدَّســة عندهم، فيها شــيطانة، فيعبــدون البيت ويطوفون به، وتُكَلِّمهم هذه الشيطانة من داخله، فتزيدهم غَيًّا إلى غَيِّهم، وضلالًا إلى ضلالهم.

وقد اشتقوا اســمها من اســم الله العزيز ـ تعالى الله عما يقولون عُلُوًّا كبيرًا ـ وكانت قريش تُعَظِّم العُزَّى وتعبدها، كما قال أبو ســفيان يوم أُحُد: لنا العُــزَّى ولا عُــزَّى لكم، فقال رســول الله ﷺ: «**قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم**»[1]، وكانت سَدَنَتُها وحُجَّابها من بني شــيبان من سليم حلفاء بني هاشم، ولما فتح رســول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة، وكانت بها العُزَّى، فلما سمع حاجبها السُّلَمِيُّ بمسير خالد بن الوليد رضي الله عنه إليها علَّق سيفه عليها، ثم اشــتدَّ في الجبل الذي هي فيه، وهو يقول:

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣٩).

أيا عُزَّ شُـــدِّي شـــدةً لا شوى لها
على خالد أَلْقِي القناع وشَـــمِّري
أيا عُزَّ إن لم تقتلـــي المرءَ خالدًا
فبُوئِي بإثـــمٍ عاجـــلٍ أو تَنصَّري

فأتاها خالـــد ﵁ وكانت علـــى ثلاث سَـــمُرات، فقطع السَّـــمُرات، وهدم البيت الذي كان عليها، ثـــم أتى النبي ﷺ فأخبره فقال: «**ارجع؛ فإنك لم تصنع شيئًا**»، فرجع خالد ﵁، فإذا امرأة عريانة ناشـــرة شـــعرها تحفن التراب على رأســـها، فضربها بالسيف حتى قتلها، وجعل يقول:

يا عُزَّى كفرانك لا سبحانك   إنـــي رأيت الله قـــد أهانك

ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره، فقال: «**تلك العُزَّى**»[1].

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (٣٧٧٨٨)، والأزرقي في أخبار مكة ١/ ١٢٧.

مَنَـاة

هي صنمٌ من صخرة عبدها جمهور العرب، وكان موضعها في المشــلل حذوَ قُدَيْد بين مكة والمدينة، وكان ســدنةُ مناة الغطاريف(١) من الأزد، وكانــت مُعَظَّمة عند الأوس والخزرج يطوفون حولها في الحج عِوَضًا عن الصفــا والمروة، ويُلَبُّون قائلين: «لبيك اللهم لبيك، لــولا أن بَكْرًا دونك، يَبَرُك الناس ويهجرونك، وما زال حج عثج يأتونك، إنَّا على عدوائهم من دونك»، ولا يذبحون ويحلقون إلَّا عندها.

فلما حجَّ المســلمون وســعَوا بين الصفا والمروة تحرَّج الأنصار من الســعي؛ لأنهم كانوا يسعون بين الصفا والمروة، فنزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقــرة: ١٥٨]، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث ســعدًا الأشهلي لهدم مناة، فخرج في عشرين فارسًا حتى انتهى إليها، وعليها سادِن، فقال الســادن: ما تريد؟ قال ســعد: هَدْمَ مناة. فقال الســادن: أنت

(١) الغطاريف: السادة، ومفردها: غِطريف.

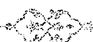
وذاك. فأقبل سعد يمشي إليها، وتخرُج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس، تدعو بالويل، وتضرب صدرها، فقال السـادن: «مناة دونك بعض غضباتك»، ويضربها سعد بن زيد الأشهلي فقتلها، ويُقْبِل إلى الصنـم معه أصحابه فهدموه، ولم يجد في خزانتها شيئًا، وانصرف راجعًا إلى رسول الله ﷺ.

المراجع

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: محمد بن جرير الطبري.
- تفسير القرآن العظيم: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
- الجامع لأحكام القرآن: محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي.
- معالم التنزيل: الحسين بن مسعود البغوي.
- زاد المسير في علم التفسير: عبد الرحمٰن بن علي بن محمد الجوزي.
- التسهيل لعلوم التنزيل: محمد بن أحمد بن جزي الكلبي.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: عبد الحق ابن عطية الأندلسي.
- البحر المحيط: محمد بن يوسف بن حيان الغرناطي.
- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني.
- فتح البيان في مقاصد القرآن: محمد صديق خان الحسيني القنوجي.
- التحرير والتنوير: محمد الطاهر بن عاشور التونسي.
- التفسير الكبير: فخر الدين الرازي.
- محاسن التأويل: محمد جمال الدين القاسمي.
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: محمد العمادي الحنفي.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي.

- روح المعاني في تفســير القرآن العظيم والســبع المثاني: محمود بن عبد الله الآلوسي البغدادي.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: عبد الله بن عمر الشيرازي البيضاوي.
- تفسير القرآن العزيز: محمد بن عبد الله بن أبي زمنين.
- تيسير الكريم الرحمٰن في تفســير كلام المنان: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي.
- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير: أبو بكر جابر الجزائري.
- البداية والنهاية: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
- تاريخ الأمم والملوك: محمد بن جرير الطبري.
- قصص القرآن الكريم: فضل حسن عباس.
- تيسير المنان في قصص القرآن: أحمد فريد.
- المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة: عبد الكريم زيدان.
- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث: صلاح الخالدي.
- مع قصص السابقين في القرآن: صلاح الخالدي.
- مواقف الأنبياء في القرآن: صلاح الخالدي.
- الأعلام الأعجمية في القرآن تعريف وبيان: صلاح الخالدي.
- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: عبد الرحمٰن بن ناصر السعدي.
- معجم البلدان: ياقوت بن عبد الله الحموي.
- ذو القرنين القائد الفاتح والحاكم الصالح: محمد خير رمضان يوسف.
- ويسألونك عن ذي القرنين: مولانا أبو الكلام أزاد.
- الرأي الصحيح في من هو الذبيح: عبد الحميد الفراهي.

ـ فك أسرار ذي القرنين ويأجوج ومأجوج: حمدي بن حمزة أبو زيد.
ـ حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح: محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية.
ـ أشراط الساعة: يوسف بن عبد الله الوابل.
ـ التيجان في ملوك حمير: عبد الملك بن هشام الحميري.
ـ دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية: سعود بن عبد العزيز الخلف.
ـ مقدمات في الأديان: محمد بن إبراهيم الحمد.
ـ الملل والنِّحَل: محمد بن عبد الكريم الشهرستاني.
ـ حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: جلال الدين السيوطي.
ـ الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: مانع بن حماد الجهني.
ـ مباحث في التفسير الموضوعي: مصطفى مسلم.
ـ أطلس تاريخ الأنبياء والرسل: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ الأطلس التاريخي لسيرة الرسول ﷺ: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ أطلس الأماكن في القرآن الكريم: سامي بن عبد الله المغلوث.
ـ أطلس القرآن: شوقي أبو خليل.
ـ الحبائك في أخبار الملائك: جلال الدين السيوطي.
ـ فضائل مصر المحروسة: محمد بن يوسف الكندي المصري.
ـ المدينة المنورة النبويَّة فضلها، فضل ساكنيها، زيارتها: أبو بكر جابر الجزائري.
ـ الفصول في سيرة الرسول: إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي.
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات ابن الأثير.
ـ غريب القرآن: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري.



ـ تاج العروس: المرتضى الزبيدي.
ـ لسان العرب: ابن منظور الأفريقي.
ـ مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الرازي.
ـ تفسير الجلالين: جلال الدين المحلي، وجلال الدين السيوطي
ـ مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني.
ـ السيرة النبويَّة: عبد الملك بن هشام المعافري.
ـ مسند أبي يعلى: أبو يعلى التميمي، الموصلي.
ـ شعب الإيمان: أحمد بن الحسين البيهقي.
ـ مسند البزار المنشــور باســم البحر الزخار: أبو بكر أحمد بن عمرو المعروف بالبزار.
ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: محمد بن حبان أبو حاتم البُستي.
ـ السنن الكبرى للبيهقي وفي ذيله الجوهر النقي: لابن التركماني.
ـ السنن الكبرى: أحمد بن شعيب النسائي.
ـ موطأ الإمام مالك: مالك بن أنس أبو عبد الله الأصبحي.
ـ سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني.
ـ سنن الترمذي: محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي.
ـ الجامع الصحيح: محمد بن إسماعيل البخاري.
ـ المسند الصحيح المختصر: مسلم بن الحجاج النيسابوري.
ـ سنن أبي داود: سليمان بن الأشعث السجستاني.
ـ مُصنف ابن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي.
ـ أخبار مكــة وما جاء فيها مــن الأثار: أبو الوليــد محمد بن عقبة بن الأزرق المعروف بالأزرقي.

فهرس المحتويات